

مُشَرِّحات

وَلَيْمَ شَكَّابِي

الكَامِلَة

لِلْكَلاهِ

تَرْجُوم

أ. ر. مَشَاوِي ج. يُونُس

إِشْرَافُ وَتَشْرِيفُ
نُظَرُ يَرْصُدُ

تَوْزِيْعُ
دَارُ الْجَيْلِ

الامير



مفتي خُطاب

هنا سور الأزبكية غواص في بحر الكتب باحثون

مَسْرَحِيَّات
وَلِيَمْ شَكْسِير
الْكاملَة

لِلْاَلَاهِي

③

تَعْدِيب
أ. ر. مشاطي ج. يُونِس

إشراف وتقديم
نظير عبود

دار نظير عبود

مؤسسة الزهراء منقطة
لدارتظير عربى
سجود

مؤب : ٨٠٨٦ / ١١ متاخرى : ٩٢٦٧٧٢ - ٩٢٦٧١٤

يحتوي هذا المجلد على :

٧ ترويض الشرسة
٩٥ العبرة في النهاية
١٩١ الليلة الثانية عشرة
٢٦٧ حكاية الشتاء

ترويض الشرسة

تعريب

أ. ر. مشاطي

أشخاص المسرحية

المقدمة :

لورد.

كريستوفر إسلاي : نحاس مكبر.

مضيفة في حانة.

غلام.

ممثلون.

وُصفاء — صنادون — خادم.

المسرحية :

باتيسا : غني من أعيان بادوا.

فستيو : عجوز من أعيان يزا.

لوستيو : ابن فستيو، وعاشق يانكا.

بروسيو : من أعيان فيرونا، وعاشق كاترينا.

جيراميو : عجوز من الأعيان، وعاشق يانكا.

هورتنسو : شاب عاشق يانكا

ترانير : وصيف لوستيو.

يونداو :

كريميو: {
كوتيس: { وصيفا بتروسيو.

موني:
كاترينا: {
يلنكا: { ابنتا باتينا
ارملة:

غياط — صانع قبعات — مدعوون الى العرس — خدم

تجري الأحداث تارة في بادوا، وطوراً في بيت ريفي يخص بتروسيو.

المقدمة

المشهد الأول على العشب، أمام حانة

(تدخل المضيفة ويحدها اسلاي)

اسلاي: (بصوت مخمور) قساً بشرفي، سأقص عليك.
المضيفة: اذهب إلى الجحيم، أيها المتشرد
اسلاي: يا لك من سافلة. ان أسرة إسلاي ليست من المتشردين. اطلعي على
الأحبار، تجدي أننا جئنا بعمية ريكاردوس الفاتح. عليك أن ترحبي الناس من
شرك، يا منافقة.
المضيفة: ألا تريد أن تدفع ثمن ما كسره من أفداح؟
اسلاي: كلا. لن أدفع فلساً واحداً. بربك، اذهبي عني وانديسي في فراشك
البارد لتعفي جسدك القذر.
المضيفة: أنا أعرف دوايك. سأستدعي العريف.
اسلاي: استدعي العريف والرقيب ثم التقب ان شئت، فأرد عليهم جميعاً،
ولن أترشح قد أتمل، شرط أن يلتزموا الأدب.

(يتمدد على الأرض لينام)

(يسمع صوت غير . يدعى لورد بناب القنص ويجه صياحون ووصفاء .)

اللورد : أيها الصياد ، أوميك بأن نعمتي جداً بكلاي ، ولا سيما المدعو « نشيط » لأن الحيوان المسكين قد أنهكه القنص . وأزواج كلبتي « صنة » وذاك الكلب المريض الشقي . هل رأيت ، يا غلام ، كيف أسرع « الأسود » واكضاً إلى زاوية السياج حين قصر سائر الكلاب ؟ (إني مصمم على أن لا أفقد هذا الحيوان الفريد ولو كلفني عشرين ديناراً .

الصياد الأول : إن الكلب « سريع » يساويه ، يا مولاي . فقد نبح حالما انصرفت الطريدة . واليوم هدانا مرتين إلى الدرب المغطى بأوراق الشجر المتناثرة . صدقوني ، إنه أmeer كلاب الصيد طرّاً .

اللورد : ما أفيك ! لو كان الكلب « كاسر » أوشق قليلاً لساوى حسب تقديري عشرة من أمثال « سريع » . على كل حال ، قدّم للكلاب عشاءً جيداً واسهر عليها جميعاً ، لأنني أنوي الذهاب إلى القنص غداً أيضاً .

الصياد الأول : أترك مطاع ، يا مولاي .

اللورد (وهو يبصر إسلامي) : من هذا ؟ هل هو رجل ميت أم سكران ؟ تتخصه . هل يتنفس ؟

الصياد الثاني : نعم ، يا مولاي ، يتنفس ، ولولا الجملة التي غلأ رأسه بأخيرة الكحول لأوى إلى فراشه كي يستريح .

اللورد : تباً له من مسئول شره ! إنه متمرغ في القرب كالخنزير القذر . كم صورتك كريهة وممجة أيها السكر الشيب بالموت ! أود أن ألهو بهذا الفعل ، يا سادة ، ضاً رأيكم ، لو نقلناه إلى سرير مغطى بشراشف ناعمة واستيقظ ووجد عواتم في أصابعه ومائدة عامرة بالمأكّل الفاخرة إلى جانب سريريه ولقي حوله أشخاصاً يرتدون بَرّات ثميّة ، هل ينسى هذا المسئول من هو ؟

الصياد الأول : بكل تأكيد ، يا مولاي .

الصياد الثاني : وسنستولي عليه الدهشة عندما يستيقظ .

اللورد : سيحتر ذلك بمثابة حلم مشوّ أو حية مريّة . هيّا ، ارفعوه من هنا ورتبوا له « القلب » بشكل مناسب . احمّلوه برفق إلى أجمل غرفة في

قصري، وزينوها بأروع لوحاتي الفضية. طهروا رأسه الوسخ بأردء المطور، واحرقوا أوكي الأعشاب رائحة لتضفيخ الجناح الخاص به. واحضروا جوقة موسيقية لتعرف فور استيقاظه أعذب الألحان، وإذا اتفق له أن يتكلم بفتنة، فدعوا له حالاً، بكل تواضع، أسمى تحيات الإجلال، واسألوه : بماذا تأمر يا صاحب العظمة ؟ ولتقدم واحد منكم بحمل طشتاً من الفضة مملوفاً بماء الورد تمسح على صفحته الزهراء، وثلاث يحمل أبريقاً، وثلاث منشفة كبيرة، ويطلب من سيادته أن يتفضل ويمسح يديه الكرستين، وليهيئ احد مجسوة من الألبسة الفخمة ويسأله أية حلة يؤد أن يلبس، ويكلمه آخر عن كلابه وحيوله وعن صحة حرمه المصون التي يزوجه مرضها، وليقنعه أحدكم بأنه متقلب الأهواء وإن رد بالإيجاب، فقولوا له أنه يحطم، وإنه لا يقبل نبلاً ومهابة عن أي سيد آخر، اضلوا ذلك يا خلاني بكل طبيعة، وسيكون المشهد لو فر تسلية إذا تم كل هذا بدقة وعذوة.

الصيد الأول : ثقب بنا يا مولاي، سنقوم بأدولنا على أكمل وجه، نعتقد بأن معاملتنا له هي بالفعل حقيقة واقعية.

اللورد : احملوه برقى ومددوه على السرير، ولتقف كل منكم في مكانه حالما يستيقظ. (يحمل الوصفاء إسلاي. ويسمع صوت بوق. لوصيف) يا غبي، انظر ما هو مصدر صوت البوق هنا. (يخرج الوصيف) هذا بدون شك أحد الأعيان يستريح هنا أثناء سفره. (يعود الوصيف) لماذا رأيت ؟
للوصيف : هناك فرقة منسولين يعرضون خدمايتهم على سيادتك.
للورد : قل لهم أن يقربوا.

(يدخل المنسولون)

اللورد : أهلاً بكم يا أصحاب.

المنسول الأول : نشكر سيادتك.

اللورد : هلأ قبلتم أن تؤاتسروا هذا المساء ؟

المنسول الثاني : نساك يا مولانا أن تقبل خدمايتنا.

اللورد : بكل طيبة خاطر (يشير إلى الممثل الأول) أنا أذكر يا فتى أنني شاهدتك تتجلى مرة دور ابن أحد المزارعين، وذلك في مسرحية كنت تتناول أثناءها السيدة الكبيرة. لقد نيت اسمك، اسما أنا وأنت بأنك أديت دورك بمهارة.

الممثل الأول : أظن أن سيادتكم تتكلم عن ديونو.
اللورد : حقاً كنت ممتازاً، لقد أنيتم في الوقت المناسب، لا سيما أنني أنوي احياء حفلة يكون حسن تصرفكم فيها عوناً كبيراً لي، هنا مولى يود أن يشاهد تمثيلكم هذا المساء، غير أنني أخشى أن لا تتمالكوا عن الضحك لدى ردة الفعل الغريبة من قبله، لأن سيادته لم يشاهد قط مسرحية، غطى عليكم موجة مرح عارمة فتضبطوه، إذ انه يتناظ لسجود رؤيته لباكم تضحكون.
الممثل الأول : لا تخشى شيئاً، يا مولاي، سعرف كيف نضبط أنفسنا حتى ان كان أشد رجل في العالم أجمع.

اللورد (لوصيف) : اذهب، أيتها الفتى، وسر بهم إلى المشرّب وقدم لكل منهم ضيافة ودية، ولا تدعهم يحتاجون الى أي شيء يمكن أن يوفره لهم قصرى. (يخرج الوصيف والمطلون. يوجه كلامه إلى وصيف آخر) وأنت أيتها الأبله، اذهب وادخل علامي يرتلموس وألبسه ثياب سيدة من قمة رأسه إلى احمص قدميه، يمدد هذه الى غرفة السكر، وادعوه كلكم يا سيدتي، وقدموا له أسى مظاهر التكريم، وقولوا له من قبلي : إذا أراد أن ينال حظوة في جيتي، عليه أن يصرف بموجب أنبل سلوك تتحلى به أرقى السيدات في علاقاتهم بأزواجهن، وعاملوا السكر بطريقة مماثلة، واسألوه بلطف وتواضع : بماذا تأمرنا يا صاحب السيادة ؟ كيف تريد أن نظهر لك زوجتك المصون اخلاصها وحبا وخضوعها ؟ وإذا تعلقه بحتو وتقبله بشوق ورأسها مستد الى صدر زوجها تسيل دموع الفرح من مآقيها وهي تبصر فرينها يستعيد صحته الغالية، بعد أن يحلّ اليه خلال زهاء خمسة عشر عاماً انه ليس سوى مشول حقير بالسر، وإذا فقد علامي مقلته على درف وليل من الدموع كالنساء حين يشاء، فإن رائحة البصل التي تغشي عينه كغيلة بأن تبكيه، نفلوا مطلبي هذا بأقصى ما يمكن من الدقة والسرعة، وسأؤوّدكم بعد هنيئة بتعليماتي الجديدة.

(يخرج الوصيف) أنا واثق جيداً بأن الشاب الذي أكلته بالأمر سيبلغ في اصطناع الرقة والصوت والحركة التي تتنازع بها المرأة الفطنة، إنني أترقب بفارغ الصبر أن أرى السكر يتادي زوجته، وأن أشاهد رجالي كيف يضالكون عن الضحك وهم يقدمون واجب الاحترام لهذا الجلف المغرور، وأنا حاضر لألقي عليهم درساً في هذا الموضوع، وربما كفى حضوري لجملهم يضغطون شعورهم بنية المحافظة على المرح الذي يؤدي إلى انفجار قهقهتهم وتعذيبهم المحمّد الذي عليهم أن ينفقوا حننه.

المشهد الثاني

حجرة نوم في أحد القصور

(يشاهد إسلامي لاجئاً رداءه فضفا داخل البيت، يحيط به وسطاه، مصحوب بسلامة خيفة ومنهم من يمسك طناً وبريقاً ولؤلؤاً شتى الزينة يدخل اللورد مرادياً قباب الخدم)

إسلامي : بالله عليكم، أيجدونني بقليل من الجمعة.
الوصيف الأول : هل تريد سيدتك أن تشرب كأساً من بيذ جزر الكناوي ؟
الوصيف الثاني : أتود سيدتك أن تلوق هذه المسكولات ؟
إسلامي : أنا كريمستوفر إسلامي، ولست مولى ولا سيّد، ولم أشرب في حياتي أي خمر من جزر الكناوي. وإذا شقم أن تطعموني، فأحب أن أكل قليلاً من لحم البقر. ولا تسألوني أي رداء أردّ أن ألبس، لأن ليس لي كرش وجاعة، ولا جراب يستر ساقي، ولا حذاء بقي وجلّي ولو برزت من خلاله أصابع قدمي.
اللورد : أضرع إلى السماء أن يحمي مولاي من شر هذا المزاح الضيق. هل يعقل أن يتصف رجل بمثل ذكائك وعراقة محضك وثروتك الطائلة وعلو مقامك بما تدعيه الآن من شكاة صميّة لا تليق بشخصك الكريم.

إسلامي : هل تريدني أن أنفذ عقلي ؟ أولست أنا كريسوفر إسلامي من برتلماوس إسلامي المعجوز الذي ولد على حصر الفاقة وترى على رسم الخرائط وكُلف برقص الدبة، وحالاً يتعاطى صنع القدور النحاسية ؟ أسأل عني مريانا هاكيت صاحبة نزل « ديلم كوث » البديعة، فهي تعرض حق المعرفة لأني مدين لها بأربعة عشر ريالاً، وإلا اعتبروني أكذب خلق الله. صدقوني أنا لا أهذي، ولا أقول إلا الحقيقة.

الوصيف الأول : هذا يغيظ مولائي.

الوصيف الثاني : بل بضائق خدمك أيضاً.

اللورد : وهذا بالذات يجعل أملاك يهويون من فصرك بسبب زوجانك المريب الذي يعمل على إبعادهم عنك. أيها المولي النبيل، فكّر بعراقة أصلك وحاول أن تتخلص من حراطرك القديمة، وبدّد عنك هذه الأحلام السخيفة المشية. انظر كيف يبادر خدمك إلى إحاطتك بالتبجيل وإلى تنفيذ أوامرك السنية. هل تريد أن تسمع شيئاً من الموسيقى ؟ انصت (تسمع أنغام موسيقية)، ها هو الإله أبولون يهزف والبلابل تحرّد في القفص. هل تريد أن تنام، فتمدك على فراش وثير أنعم من الذي أعد خصيصاً لسميراميس ؟ قل أنك تريد أن تتنزه، ففرش لك الطرقات بالسجاد. هل تريد امتطاء جواد، فسرّج لك واحداً بردهة مزينة بالذهب والآليء ؟ هل تريد أن تصطاد الطيور، فحضر لك صقوراً مروّضة تنشط باكراً عند ابتلاج الصباح ؟ هل تريد مطاردة ضواري الغابة، فتأتبك بمجموعة كلاب ماهرة يملأ نباحها أجوار القضاء وتردد صلاها الوديان والكهوف ؟

الوصيف الأول : قل أنك ترغب في القنص، فحضر لك كلاها أسرع من السهم وأرشق من الغزالان.

الوصيف الثاني : هل تحب اللوحات، فنذهب حالاً لنجلب لك رسم أدونيس، وهو على ضفة الساقية وفنوس مخيطة بين الغزار الذي يتمايل لدى نفسها نظير القصب الذي يحنّى أمام العاصفة ؟

اللورد : سترك رسم الإلهة « يو » حين كانت لا تزال عذراء، وقد جرحتها

الشهوات والمسلات، فبدت ألوانها الزينة زاهية نضرة كأنها تنبض بالحياة.
الموصيف الثاني : أو الإلهة « دفة » تأنث في أرض مليحة بالشوك الذي جرح
سانها، فتألمها في هذا المشهد وهي تنزف وتوجع، وإلهة أبولون يرثي
لحالها، ويندب دماها السائلة ودموعها المنهمرة البارزة في الرسم بألوان
ساحرة تضخ المأ وكآبة.

اللورد : يا مولاي، ما أنت إلا لورد، ولك زوجة أجمل من جميع نساء هذا
الجيل القاسد المنحل.

الموصيف الأول : قبل أن تلهج الدموع على معيها الصبور، كانت أجمل
مخلوقات العالم، وليس من امرأة تفوقها أدياً وورثانة.

إسلاي : هل أنا حقاً لورد، ولي زوجة هي سيدة مبجلة ؟ هل أنا أحلم ؟ ألا
أزال راقداً إلى هذه اللحظة ؟ أنا غريم نائم لأنني أبصر وأسمع وأتكلّم وأشم
الروائح العطرية، وألمس الأشياء الناعمة. لعمري أنا إدا في الواقع لورد، ولست
نحاشاً ولا أدعى كرويسوفر إسلاي. هيا فتعني زوجتي السيدة النبيلة، واحلوا
لي كأساً من الجعة.

الموصيف الثاني : هل تريد يا صاحب العظمة، أن نطعم يدك ؟ (يقدم له
الوصفاء أريقاً وطستاً ومنشفة) كم نحن محباء برؤيتك، قد عدت إلى
رشدك. وكم بود أن نراك قد عرفت من أنت حقاً، يا مولاي. فصد عجمة
عشر عاماً قد عصت في حلم طوي عريب أتر على مجرى حياتك، فظلمت
بعد استيقاظك كأنك لا تزال نائماً.

إسلاي : منذ عجمة عشر عاماً ؟ لعمري هذا رقاد غير. وأنا لم أتل شيئاً
نطوال هذه المدة !

الموصيف الأول : أجل يا مولاي. إنما كلامك كان بهيماً عن الواقع وأثناء
نومك هنا في هذه الحجرة البديعة كنت لا تفك عن نردب ادعائك بأننا
طردناك وكنت تهاجم مضيفتك وتعلن أنك متلاحقها أمام القضاء لأنها
جائت بك بجرار من الفخار بدل القاني الناعمة. وكنت أحياناً تنادي « سيسيل
هاكيت ».

إسلاي : أجل، هيا خادمة الحانة.

الوصيف الثاني : أنت يا مولاي، لا تعرف حانة ولا عيادة ولا جميع هؤلاء الرجال الذي نسميهم، نظير اسطفان إسلاي والمجوز جون ناس ويطرس تورف وهنري شيرنيل وغيرهم من الأشخاص الذين لا وجود لهم، ولا سمع بهم أو رأيهم أحد.

إسلاي : الحمد لله على عودتي إلى صولتي.

الموصيف : الحمد لله.

إسلاي (لوصيف) : أشكرك وسأُكافئك.

(يدخل الفلام مراداً وي مرلة واقية مع حاشيتها)

الفلام (لإسلاي) : كيف حال سعادة اللورد النبل ؟

إسلاي : لعمري. إني هنا أأكل وأشرب كما أشتهي. أين زوجتي ؟

الفلام : ها هي ذاك أيها اللورد. ماذا تريد منها ؟

إسلاي : أنت زوجتي، وأنا زوجك. وجعل أن تدعوني يا رجالي. مولانا اللورد ؟ ما دعت سيدكم الكريم.

الفلام : زوجي ومولاي اللورد، مولاي اللورد وزوجي، ها أنا ذا قرينتك المطيعة.

إسلاي : إني أعرف ذلك، فكيف يجب أن أدعوك.

اللورد : يا سيدتي.

إسلاي : سيدتي ؟ ليس ، أو سيدتي ؟ جاتوتون ؟

اللورد : سيدتي فقط. هكذا يدعو اللوردات زوجاتهم.

إسلاي (للفلام المتكرر بزي امرأة) : أيها السيدة زوجي، يقال إني حللت ونمت مدة أكثر من خمسة عشر عاماً.

الفلام : أجل، وهذه السنين الخمسة عشرة غلبتها ثلاثين عاماً لأنها أبعدتني طويلاً عن سريوك.

إسلاي : هذا كثيراً. دعني ألتفد بها أيها الخادم. يا سيدتي، اخضعي ملابسك وأسرعني حالاً إلى الفراش.

الفلام . أيها اللورد المثلث النبل، ألتمس منك أن تعطيني ليلة أو ليلتين أو على

الأكل حتى تغيب الشمس، لأن أطباءك أوصوني بأن أظل غائبة بعض الوقت أيضاً عن فراشك، وإلا عرضت صحتك إلى الانتكاس. فأظلي أن تعتبر هذه الحجة كعذر مقبول.

إسلامي : وضميني لا تسمح لي بالانتظار وقتاً أطول. خير أنني لا أرغب في العودة إلى أحلامي، مما علي إلا الانتظار رغم شوقي وتلهفي.

(يخل وصف)

الوصيف : إن مغلي سمادتك، عندما علموا بتحسن صحتك، رجعوا لتقديم صريحة رائعة ترميها عن سيادتك حسب نصائح أطباءك الجازمة. وإذا لاحظوا تفانم حزنك الذي جمّد الدم في عروقك، وبما أن الكتابة هي مصدر كل هوس، رأوا من الأنسب أن نحضر التمثيلية لتستعيد ما فاتك من المرح والسرور الذي بقي من ألف شرّ ويطيل العمر.

إسلامي : حقاً، أنا أفصل ذلك، فليقوموا إذاً بأدوارهم. لأن التمثيلية هي ملهاة بهيجة وتملية مفيدة، أليس كذلك ؟

الغلام : أجل، يا مولاي الكريم هي تمليّة من أحبّ التسلّيات البهيفة.

إسلامي : بدون شك، ومن أروعها دعابة.

الغلام : هي مظهر من مظاهر المدنية.

إسلامي : حسن، سنرى ذلك. هيا يا زوجتي الحبيبة، اجلسي إلى جانبي وتركبي الفلك يدور، لأننا لن نتمتع بشبابنا أكثر مما تفعله الآن (كل منهما يجلس على مقعد).

الفصل الأول

المشهد الأول

بادوا — أمام منزل باتستا

(يصل ترابيو ولوستيو)

لوستيو : أخيراً يا ترابيو، أنا الذي طالما نقت الى رياره بادوا الجميلة، مهد الفنون، أجدني قد وصلت الى لومبارديا الحصينة، حديقة ايطاليا المزدهرة العظيمة، بعد أن نلت موافقة أبي ورصاه مروداً بدعائه وبصحبتك أنت يا حادمي الأمين، الذي لا يرضى بأية تصحية في سبيلي، ولتفسد الصلحاء اداً ولينأ حياة سعيدة في ظل العلم والأدب، ان مدينة ييزا المشهورة بصرامة مواطنيها هي مسقط رأسي، والدي فستيو الشاعر المعروف المتشرة أعماله في معظم أنحاء المعمورة، هو سليل أسرة سنيغوليو العريقة، وأنا ابن فستيو قد نشأت في فلورنسا، وعلى الآن أن أحسّر وصعي وأعلي شأني بأفعال مشكورة تحقق الآمال المعلقة على شخصي، لذلك أبوي يا ترابيو أن أتشت بأهداب الفضيلة طوال مدة دراستي في قسم الفلسفة التي ندعو إلى الإصلاح وتحرس على عمل الحبر. قل لي ما هو رأيك بمفادرتي ييزا وقدمومي الى بادوا نظير رجل هجر غديراً قليل العمق لخصوص الأوقيانوس بية اطفاء لظي ظمأه الى العلم والمعرفة.

ترائيو : أعزوبي، يا سيدي الكريم، ان لم أتمكن من مجازاتك في أفكارك،
 انما يسرني أن تظهر علي مفصداك في تقدير الحكمة والفلسفة العميقة، لأننا
 رغم تعلقنا بأعذاب المضيلة والنظام وسوء الأخلاق، يجب علينا، أن لا نكون
 متردتين جامدين، وأن لا ننسك كالعميان بمبادئ أرسطو أو أرفيد التي
 يحسم علينا ان نستكرها الى الأبد، أرجو أن نورد معلوماتك بطريقة منطقية،
 وأن تلجأ الى أساليب البلاغة في أحاديثك حتى العادية، مستجداً بالموسيقى
 والشعر في ما نستوحده، أما الرياضيات وما وراء الطبيعة، فيمكنك أن تتناول
 منها ما يستطيع ذلكوك هضمه لأن لا غير يرجى من الدروس التي لا تجد فيها
 لذا، وبكلمة مختصرة عليك أن تختار منها يا سيدي ما يجتنبك أكثر من
 سواد.

لوسيفو : شكراً جزيلاً لك، يا ترائيو، على هذه النصائح القيّمة. لماذا يا
 يوبندلو لم تأت بعد الى هذا الشاطئ المضياف حيث يمكننا أن نتخذ فوراً
 جميع التدابير وننم الاستعدادات اللازمة لاستقبال الأصحاب الذين لن نلبث
 أن يلغاهم هنا في بلادنا، ولكن لتعوق لحظة. ما هذه الفرقة ؟
 ترائيو : هذه يا معلمي، بدون شك، إحدى تظاهرات الحفاوة بوصولنا الى
 المدينة.

(يصل بلينا وكاترينا وديكا وجيرامو وهورتسيو.
 يلف لوسيفو ورايو جالياً)

باتيسا : يا سادة، لا تمنعوا في مضافتي، أنتم تعلمون تصميمي الأكيد على
 عدم تزويج ابنتي الصغرى قبل شقيقها الكبرى، فإذا أحب أحدكم كاترينا، لا
 مانع عندي من أن يبادر الى طلب يدها، لأنني أعرفكم كلكم جيداً.
 جيرامو : الأولى أن نودعها في محجر، لأنها عشتة جداً حيالي. يا هورتسيو
 هل تريدها زوجة لك ؟

كاترينا (لباتيسا) : استحللك يا سيدي أن تقول لي، هل تريد حقاً أن
 تبحني لهؤلاء المغالين ؟

هورتسيو : هل تجربتي مغالاً ؟ يا حلوة، كيف تصفيني بهذا التمت ؟
 اعلمي اني لن أسعى الى التقرب اليك، ان لم تصبحي لطف وأوف طباعاً.

كافرياً: بدمتي، يا سيدي، ليس هناك ما تخشاه، فأنت لم تصل بعد إلى منتصف طريق مواطني، وإن بلغت منتصفك يوماً، فإن أول ما سأفعله بك هو تهشيم رأسك بهذا المقعد العالي ومرغ وجهك بالتراب ثم طردك من هذا المكان.

هورنيسيو : نَجِّنِي اللَّهُمَّ من هذه الحَيَّة الرقطاء.

جيراميو : وسجى أنا أيضاً يا إلهي.

لوانيو (بصوت خافت للوستيو) : اصمت يا معلمي، هذا مشهد بهيج، لأن هذه الفتاة لا بد من أن تكون إما مجنونة خطيرة، وإما داهية مخيفة.

لوستيو (بصوت خافت لتراتيو) : إني أجد في سكوت شقيقتها تعقلاً وتحفظاً هما أجمل ما تحلى به عذراء لطيفة. اصمت يا تراتيو.

تراتيو (بصوت خافت للوستيو) : قولك في محله يا معلمي، فابق على موقفك وتملك نفسك.

باتيسا : يا سادة، أنا مصر على أن أقرن القول بالفعل. ادخلي يا بيانكا، وهذئي روعك أيتها الصبية الكريمة، ان حيي الأبوي لك لن يفر أبداً يا بيتي. (تهشيم بيانكا في البكاء).

كافريتا : مهلاً يا صغبرني الجميلة. (لباتيسا) يجعل بك أن تنظر إلى عينيها فصرف لساناً نيكياً.

بيانكا: هوئي عليك يا أنثي، ولا تحنتي. (لباتيسا) يا سيدي، أنا أشاركك حرامض كل ما يسر خاطرك، ان كسي ولوازم دراسي لن تفارقني، وسأدرس وأتمرن وحدي تحت اشرافها.

لوستيو (على حدة) : اسمع يا تراتيو أنت تستطيع أن تصغي إلى ما تقولونه منرفاً.

هورنيسيو : منور باتيسا، هل أنت غريب الأطوار حتى ترضي مول الشيطان الهارب من جهنم ؟ يؤلمني أن يلحق بابتك بيانكا كل هذا الحزن من جراء اهتمامنا بها هكذا.

جيراميو : هل تريد أن تحبسها في قفص، يا منور باتيسا، إكراماً لإلهيس هذا المظلم من كوة الجحيم، ولتعاقبها بسبب طول لسان شقيقتها اللاذع ؟

بالتس : تصرفوا كما يحلو لكم يا سادة، فأنا قد اشغلت قرارى لدخلى يا
بيانكا (تخرج بيانكا) أنا أعرف انها مولمة بمذوبة الموسيقى ورقة الشعر،
وسأستدعي أستاذة جديدين لتثقيفها، فإن كنت تعرف، يا هورتسيو، لو كنت
يا جيراميو، أستاذاً ماسياً فقمه لي، لأنى أقدر وأجل أصحاب النبوغ، ولا سيما
إذا كان الأمر يتعلق بتثقيف أولادي، وعليه أستودعكم الله أما أنت يا كاترينا
فيمكنك أن تبقى، لأنى أودّ معاملة بيانكا. (يخرج)

كاترينا : يدو لي أمي أنا أيضاً أستطيع أن أذهب، أليس كذلك ؟ هل في ريتك
أن تتصّن لي مواعيد، كما لو كنت لا أدري ماذا عليّ أن أفعل. (تخرج)
جيراميو : يمكنك أن تدلّص امرأة شيطانية، فأنت لك صفات حميدة عديدة
لا تدع أحداً يفر منها، وحيناً ليس كبيراً يا هورتسيو إلى حدّ يساعدنا على
الامتناع عن مسامرة أهواتنا، وفرص الحلوى الذي نفهق اليه ليس سهلاً كما
يجب، فالوداع إزاء، أما في ما يتعلق بالمودة التي أحفظها لعزيزتي بيانكا، فإن
أنا وقت على أستاذ جدير بتعليمها الفنون التي نحبها فلي تأتخر عن إرساله
الى والدتها.

هورتسيو : أنا أيضاً أتعهد بذلك يا سيور جيراميو، ولكن، لي كلمة أخرى
أقولها، إذا سمحت، فمع ان طبيعة تافلت لا تتيج لنا التفاوض والمساومة،
فإنى بعد التفكير والفروى أعتقد أن من واجبي أن أصارحك بأنا، ان أردنا أن
نعود الى خدمة معلمتنا مهما ادعت أننا سجدان بتزاحمتنا على عطف ود
بيانكا، علينا أن لا ننسى أن هناك أمراً خاصاً هاماً لا بدّ لنا من أن نحاول
تحقيقه.

جيراميو : أرجوك أن تقول لي ما هو ؟

هورتسيو : إيجاد زوج يرضى بأعنتها.

جيراميو : زوج ؟ لا، بالأحرى إيجاد شيطان.

هورتسيو : أقول يجب إيجاد زوج.

جيراميو : بل إيجاد شيطان، صدقتي يا هورتسيو، مهما كان والدنا غنياً
وطلبه بامطأ، هناك رجل على قدر كاف من الغباء ليتزوجها ويترج بنفسه في
الار.

هورنيسيو : حقاً يا جيراميو، مع أن تحمل هذه الجولات المشبوهة يفوق طاقة صبري وصبرك، ثق يا عزيزي بأن في العالم شأناً — المهم العنصر عليه — يتزوجها بالرغم من كل مساوئها فظراً إلى ما تملكه من مال وافر.

جيراميو : قفا لا علم لي بذلك، إنما من جهتي أفضل أن أحصل على الباكته بدون العتاة، حتى إن فكر لي أن أجلب كل صباح في الساحة العامة.

هورنيسيو : في الواقع كما تقول، يصعب الاختيار بين التفاحات المسوسة ولكن بما أن هذا المانع الشرعي يجعلنا أصدقاء، فليحافظ على مودتنا إلى اليوم الذي يتسنى لنا فيه العنصر على عريس لينة باتيسا البكر، فكون قد حررنا الابهة الصغرى كي تتزوج بلورها. عتلتك يحرز قصب السبق من يستطيع المدة أسرع من سواء، ويفوز الأوفر حظاً بخطوبتها، فما رأيك يا جيراميو ؟

جيراميو : نحن على اتفاق تام، وأنا مستعد من جهتي للتضحية والسماح لأمبر فعل في بادوا بمنازلتها واستمالتها واستدراجها إلى السرير، وتظهر البيت من شراستها (يخرج جيراميو وهورنيسيو).

(يعود ترائيو ولويسيو إلى مقعد المسرح)

ترائيو : باقة عليك، قل لي، يا سيدي، هل يفرض الحب فجأة على الإنسان مثل هذه السيطرة ؟

لويسيو : يا ترائيو، قبل أن أخبر ذلك بنفسي لم أكن أعتقد أبداً بأن الأمر ممكن أو مرجح الحدوث، ولكن أعلم أنني عندما كنت أتأمل فيها بدون ميالة شعرت بأن سهام حبها قد أصابني؛ وأعترف الآن بكل صراحة، لك أنت ترائيو مستودع سري الغالي على قلبي بقدر ما كانت حنة ملكة قرطاجة، بأني سأحرق وأقتل وأهلك، إذا لم أحظ بهذه الصبية الفتاة، لبي ألتبس نصحك وأوشاك يا عزيزي ترائيو، وأنا على يقين بأنك قادر على توجيهي، فساعدني إذا لأني أعلم جيداً بأنك تريد نجاتي.

ترائيو : يا ملمي، لا وقت الآن لتوبيخك، لأن المحبة لا يطردها من القلب أي تعنيف؛ وإذا استولى الحب على قوادك فلا يبقى أمامك إلا متعده واحد هو : أن تسلك الطريق الذي يدلك عليه هؤلاء.

لوستيو : شكراً جزيلاً يا بني، لا تغير رأيك لأن ما نقوله ليس يرضيني، ولكني
أعزّ على نفسي، لا بد لي من الاعتناء إلى إرشادك.
ترانيو : يا معلمي، كنت تنظر إلى هذه الفتاة بحثاً مفروط حتى كدت لا
تلاحظ المشكلة الأساسية.

لوستيو : أجل، هكذا كان واقعي، لأني أبصرت على محبتها جمالاً ملائكياً
يحكي جمال ابنة « أجيور » الذي حدا بالإله المشتري العظيم أن يخلل
أمانها ويقتل قدميها جالساً عند شاطئ جزيرة « كريت ».
ترانيو : ألم تر أكثر من ذلك ؟ ألم تلاحظ كيف صارت أختها عرج ؟ لقد
أثارت عاصفة من الهويل تكاد آذان البشر لا تتحمل صخبها.

لوستيو : يا ترانيو، هي بعكس أختها تماماً، وقد شاعرت شفتيها بلون
المرجان تتحركان وتتمسان كلاماً غزياً، وكانت تغمّر الجو بشذى أنفاسها،
وكل ما أبصرته فيها كان رؤيا مسلوقة لا يفيها حقا أي وصف.
ترانيو : لقد حان أوان انتشاله من غيبوبة تأملاته، أوجوك يا سيدي أن تستيقظ.
إذا كنت تحب هذه الفتاة، وجه تفكيرك وأشعل ذكائك لكسب ردها،
فالوضع هو كما يلي : أن أختها الكبرى فظة الطباع، صعبة العرس بشكلي
يستعدي لذهلك، يا معلمي، واعتصامك بالفة في مرلة لي أن يتخلص والدها
منها، وحتى ذلك الحين سيحبب الأب ابنة الصغرى من طريقي الزواج الذين
يقصدونها.

لوستيو : ما أظلم هذا الولد، يا ترانيو ! ولكن ألا تلاحظ أنه يهتم بإيجاد
أساتذة ماهرين لتضييمها ؟

ترانيو : حقا يا سيدي، الآن وجدنا الحطة اللازمة.

لوستيو : وأنا اعتديت إلى الحل المناسب يا ترانيو.

ترانيو : يا معلمي، أقسم لك بأن أفكارنا نحن الاثنين منسجمة ومتناسقة دائماً.
لوستيو : قل لي أولاً، بماذا تفكر ؟

ترانيو : صبح أنت أستاذ هذه الفتاة، وستولي تلقبها بفضلك، كما تثنى.
لوستيو : أجل، ولكن الأمر ليس سهلاً !

ترانيو : أجل هذا عسير، فمن الذي يحل محلك هنا ؟ ومن سيكون في بادئ

نحن نستثمر المشغول بإدارة البيت، ومتابعة الدروس واستقبال الأصحاب
وزيارة المواطنين وتكريسهم.

لوستيو : كن على يقين بأن المخطئة جلعزة ؛ هنا لم يشاهدنا أحد قط في أي
مكان، ولا أحد يتنسى له أن يمر وجوهنا ويغني عنك صفة الأستاذ، إليك ما
يجب عمله : أنت يا ترانيو ستصبح المعلم مكاني، وسيكون لك منزل وحيمة
خاصة وأنصار كما هو الحال أثناء وجودي هناك، وأنا سأنتحل شخصية
أخرى، مثلاً شخصية رجل من غورنسا أو من نابولي أو أي رجل فقير من يزا
لقد انحسرت الفكرة في رأسي، فهيا إلى العمل. اخلع ملابسك غوراً يا ترانيو
وضع قبعتي على رأسك، وليس معطني الملون. وحالما يصل يوندالو سأضعه
تحت امرتك، وسأوصيه أولاً بأن يصرن لسانه. (يتبادلان ملابسهما).

ترانيو : هذا ضروري وهام جداً، بما أن هذا يلد لك يا سيدي، فأنا ما عليّ إلا
أن أطعمك، ما دام والدك قد أوعز إليّ بذلك عند ذهابنا قاتلاً : قدّم جميع
الخدمات لاني، بالرغم من أنه يفهم الأمر بالعكس على ما أعتقد، وأنا أوافق
على أن أتحوّل إلى لوستيو اكراماً للوستيو.

لوستيو : عليك أن تمثل دوره يا ترانيو، اكراماً للحب الذي يسيطر على
جولرج لوستيو، أما أنا فستعد أن أقبل بالعبودية للحصول على هذه الطغراء
للظيرة التي أسرت قلبي وغلبت لي.

(يدخل يوندالو)

أهذا أنت يا غبي ؟ أين كنت يا حلمون ؟

يوندالو : أين كنت أنا ؟ بل بالحري أين كنت أنت يا معلمي ؟ هل سرق لك
ثيابك دهقي ترانيو و أو سرق كل منكما ملابس الآخر ؟ قل لي ماذا حدث ؟
لوستيو : اقرب يا مغفل، هذا ليس وقت المزاح، تعلم كيف تطبق تصرفاتك
على الظروف؟ إن دهقيك ترانيو الحاضر هنا، لرتدي ثيابي وأخذ مكاتي لينتقد
حياتي، وأنا ارتديت ثيابه لكي أتمكن من الهرب، لأبي في ماضي أبياني على
هذه الأرض قتلت رجلاً إثر شجار، وأخشى أن يكون قد شاعدي أحد. لذا

اسألك أن نخدمه بإخلاص، بينما أنا أسعى للإعتماد من هذا المكان لأنجو
بنفسي، هل فهمت ما أقول ؟

يونثالو : أنا يا سيدي طوع قوامرك.

لوستيو : ولأوصيك بنوع خاص أن لا تلفظ اسم تراتيو، لأن تراتيو تحول
وأصبح لوستيو.

يونثالو : هذا أوفى له. وثم أيضاً أريد أن أتحوّل.

تراتيو : أنا أرحب في ذلك، يا بني، ولو كان شرط تحقيق هذه الرغبة أن
يتزوج لوستيو ابنة باتيستا الصغرى؛ فأصحبك يا حبي، احتراماً ليس لشخصي
بل لشخص مطلي، بأن تتصرف برصانة وحذر في كل المجسمات؛ أنا عندما
أكون وحيداً أطل تراتيو، إسمي ما عندنا ذلك فأننا لا نزال مملوك لوستيو.
لوستيو : لنذهب، يا تراتيو. لم يبق أمامك إلا أمر واحد للتنفيذ. وهو أن تأخذ
مكالمك بين الراعيين في الزواج. وإذا سألتني لماذا، فيحكّمك أن تعلم أن حبي
داممة ومقمة (يخرجان).

(أشخاص النقطة يفرون وحدهم)

الوصيف الأول (لإسلاي) : يا مولاي اللورد، أراك تنفخ ولا تدير انتباهك
إلى المسرحية.

إسلاي : وإن صح ذلك، فبربك، هل ترى المسرحية جميلة حقاً ؟ هل هي
بعد طويلة ؟

الغلام : يا مولاي، انها تكاد أن تبدأ.

إسلاي : هي مسرحية رائعة، يا حرمنا المصون، وكم أود أن أتاها حتى
نهايتها !

المشهد الثاني أمام منزل هورتسيو

(يدخل بروسو وكريمو وروميلا)

بروسو : أستاذك، يا مدونة فيرونا، بالتفّيب عنك بعض الوقت، أنا آتٍ إلى
بافوا لأشاهد غلاتي، ولا سيما صديقي الحميم الوفي نورتسيو، أعتقد أنني
الآن أمام سرله، فف هنا، أيها الخبيث كريمو، ها اطرُق.
كريمو : اطرُق ماذا يا سيدي ؟ أضرب من ؟ هل أهلك أحد يا صاحب
السيادة ؟

بروسو : يا محتال اطرُق هنا، وبشدة (يشير إلى رأسه).
كريمو : أأضرب هنا يا سيدي ؟ رس أنا حتى أجسر على ذلك ؟
بروسو . قلت لك اطرُق هذا الباب يا مغفل، واطرُق بقوة، وإلا حطمت
رأسك القلرغ.

كريمو : هل أصبح مطمي مشاغياً ؟ اذا طرقت هنا، فأنا أعرف من الذي
ستنال الضربات على رأسه.

بروسو : ألا تريد أن نصرب يا منحوس ؟ إذا لم تطرُق انتلعت أذنك، وإن
أحسنت الإنشاد طلبت منك مواصلة الفناء (يشد له أذنه).

كريمو : النجدة، النجدة، أرى العصف قد تملك سيدي
بروسو : هذا يملكك أن تطرُق حلقاً أطلب منك ذلك أيها الغبي المنحوس.
هورتسيو . ما الخبر، يا صديقي العزيز كريمو ؟ وأنت يا هريزي بروسو،
كيف حالك في فيرونا ؟

بروسو : سيور هورتسيو، لقد وصلت في الوقت المناسب لوضع الأمور في
نصابها.

هورتسيو . أهلاً وسهلاً بك في بيتي يا سيور بروسو، انهض يا كريمو
لسوي هذا الخلاف.

كريميو : كلا لا يهمني ماذا يتحجج به هذا العبر، قل لي بريك أوليس هذا سبباً كتابياً لكي أترك الخدمة ؟ اسمع يا سيدي لقد أمرني بأن أطرق بنفسه، فهل من المعقول أن يعامل عظام هكذا معلمه البالغ من العمر اثنين وثلاثين عاماً ؟ ولو تحاسرت وضربت كما طلب مني كريميو، أما كان هشام رئيسي ؟ بتروسيو : يا لك من دجال صافق ! يا عزيزي هورنسيو، كنت أقول لهذا البهلول أن يطرق بابك ولم يلبّ طلبي.

كريميو : أنا أطرق الباب ؟ بريك، ألم تقل لي حرمياً : اطرق هنا واطرق بشدة، مشيراً إلى رأسك، والآن تدعي أنك طلبت مني أن أطرق الباب. بتروسيو : أنت حقاً غبي، أنصحك بأن تذهب لو تسكت.

هورنسيو : صبراً يا بتروسيو، أنا راضٍ إشارة كريميو، هذا في الحقيقة خلاف يرثى له بينك وبينه هو صديقك القديم وحادمك الوفي الذكي كريميو، ولكن قل لي يا صاحبي الودود أمة رياح سيئة دفعتك للصجيء من فيرونا إلى بادوآ ؟ بتروسيو : الرياح التي تهب على الشباب في جميع أنحاء الدنيا وتدفعهم للبحث عن الثروة خارج مسقط رأسهم حيث لا يكسب الثراء إلا القليل من الخبرة والمال، فيكلمات وجيزة هذه هي وظيفتي يا سيور هورنسيو، لقد مات والذي أنطونيو، فانتقلت في مجاميل الحياة ساعياً وراء الزواج والتجاح المشهود، لدي مال وولي أملاك في بلدتي، وما أنا أسافر لأشاهد العالم.

هورنسيو : أتريد أن أصارحك بدون مؤامرة يا بتروسيو ؟ باستطاعتي أن أؤشدك إلى امرأة سفيهة مقيمة، لا يسهل أن تشكرني علي إرشادك إليها، ومع ذلك أعدك بأن يكون عرضي هذا سخياً بل سخياً جداً، إنما لمصلاحي لك بردعني عن تمهيتها لك كزوجة.

بتروسيو : يا سيور بتروسيو، بين أصدقاء نظيرنا، تكفي كلمات قليلة للتفاهم، فإن كنت تعرف صبية غنية ترضى بأن تصبح زوجتي أنا بتروسيو، ربما أن المال هو غايي الأولى في الزواج حتى إن كانت العروس قيمته بمقدار فيج حبيبة فلوران، وعجوزاً نظير سيبيل، ومحدودة الفهم مستبلة مثل « كرايت » امرأة سفراط أو أسوأ، وإن كانت أعنف من هدير أمواج بحر الإديراتك أثناء هباجه، فإنها لن تثبط عزيمتي، كما أنها لن توقف في لهفة الأشواق، أنا قادم

إلى بادوا لأعقد غراماً ثرياً لأنه بقدر ما يكون غنياً يكون في نظري حماً
سعيداً.

كروميرو : كما ترى يا سيدي، هو يفصح لك عن نيته بكل صراحة، فامنحه ما
يتوق إليه من الذهب بتزويجه دمية أو مهرجة أو عجوذاً شمساً ليس في نفسها
أسنان وفيها كل عيوب البشر نظير حصان مسن، فلا أحب إليه من صفقة
مماثلة تتدفق عليه المال الوفير الذي يحلم به.

هورتسيو : يا بروسو، بما أنا قاطن هكذا شوطاً بعيداً في هذا الموضوع
فإني أصر على تنفيذ الخطة التي اقترحتها أنا على سبيل المزاح، وبمكنتي أن
أدلك على المرأة الغنية التي كنتها، ما دمت لا تبحث عن صبية جميلة لأقفة
توحي سدياً أن تكون روجة صالحة، إنما أبرز عللها الكثيرة هي أنها محدودة
الإدراك مزعجة وعينده إلى حد لا يطاق، حتى أنني رغم وضعتي المالية الهزيلة
لن أقبل بها حليقة، وإن ملكتي متجماً من الذهب.

بروسو : اصمت يا هورتسيو، يظهر عليك أنك لا تعرف فضائل الذهب
لرجوك أن تقول لي من هو والدها، وأنا متأكد أن أواجه ابنته وإن كان كلامها
لقد وطأة من هزيم الرعد الذي يمزق غيوم الخريف.

هورتسيو : والدها يدعى باتستا فينولا، وهو من الأعيان الظرفاء، واسمها
كاترينا فينولا وهي شهيرة في بادوا بطول لسانها الجارح.

بروسو : أنا أعرف أباه، وإن كنت لا أعرفها هي، فقد كان من أصحاب
المرحوم والدي، ولن تذوق أجماني طعم النوم قبل أن أراها يا هورتسيو،
فاعلمني على السماح لنفسي بمناذرتك عاجلاً أثناء لقائنا الأول هذا، إلا إذا
شئت أن تراقبني في ذهاني إليها.

كروميرو (لهورتسيو) : أرجوك يا سيدي، أن تدعه يراقبك ما دام لديه مثل
هذه الرغبة، وثق بأنها متى عرفته كما أعرفه أنا ستبين لها سرياً عدم جدوى
الاستياء منه، وستدعه عشر مرات بالظرف وبألف صفة أخرى غير مستحسنة،
ولن يضيره ذلك ما دام قادراً على رد المصاع صامتين لها هي لثة الشتام
والنموت المهينة، أتريد أن أصرح لك يا سيدي بأنها قلوبه وإنه سيرك على

محبها أثر لقلته بها، وستظل حونها الواسعة تحمق به نظير حرة مذعورة،
فأنت لا تعرفها بعد يا سيدي.

هورتسيو : انظر يا بروسو، أما ذاهب برقتك لأي أجد ذلك ضرورياً، فإن
باتستا يحتفظ بكزري، وبين يديه أمل حياتي وسعادتي، ابنته الصغرى الحسنة
ببانكا، وإن كان يحجبها عن أنظار أخصائي في الحب، مقترصاً أن أحداً منا
قد يطلب يد كاترينا في هذه الأثناء، مع أن هذا من رابع المستحيالات، لأن
باتستا مصمم على عرقة مسمى كل عريس للوصول إلى بيانكا قبل أن تتزوج
كاترينا الفجة الطباع أولاً.

كريميو : النجمة الطباع الصري، هذا اسماً ما وصفت به امرأة من بعوت
معية.

هورتسيو : والآن جاء دور صديقي بروسو كي يؤدي لي خدمة، سيفضي
إلى العجوز باتستا، وأنا متكرر كأستاذ موسيقى يعرض خدماته لتثليف بيانكا،
فعلى الأقل، بهذه الحيلة تنسني لي فرصة مغازلتها بحربة تامة والتفاهم معها
على الانفراد بعيداً عن النظرون والشكوك.

(يدخل جيراسو ويجه لوستيو المعكر حاملاً تحت ابطة بعض الكب).

كريميو : ليست هناك أية خدمة، انظر كيف يجيد الشبان معاملة المسنين،
(يشاهد جيراسو ولوستيو) معلبي، يا معلبي، انظر إلى من يمشي وراؤك؟
هورتسيو : أصمت، يا كريميو، هذا مزاحمي، لتشف جانباً بعض الوقت يا
بروسو.

كريميو : هو شاب يهوى الطلعة، وعاشق لطريف، على ما أرى (يتحسني
بروسو وهورتسيو وكريميو جانباً).

جيراسو (للوستيو) : ليس بالإمكان أحسن مما كان، لقد راجعت القائمة،
اسمعي جيداً يا صدي، أريد أن تكون الكب مجلدة تجلداً فحماً، وأصر
على أن تكون كلها كتباً غرامية مهما كلف الأمر، وحاول أن لا تقرأ لها أي
موضوع لا يتحدث عن الحب، أفهمت ؟ وفوق ما ينجح لك السنيور باتستا
من حرية، أنا أزدك بصلاحيات إضافية، لتكن أوراقك الخاصة مضمخة

بازكى أريج، لأنّني مستشفة هي أطيب من كل ما في الدنيا من عطور،
أنصبرني ماذا سيكون موضوع دروسك ؟

لوتسيو : مهما تقلبت الأحوال، سأدافع عن قضيتك، فكن على يقين بأنني
نظيرك يا معلّمي، سأنصرف كما لو كنت حقاً أنت ذاتك، لا بل سأستعمل
الفاظاً معسولة مُقَمَّعة أكثر مما ستلجأ إليه أنت ولو كنت من ألفصح المفوهين.

جيراميو : ما أعظم بلاغتك ! وما أدهى بيانك !

كريميو (على حدة) : يا له من حمار جاهل ؟

هورتسيو : اصمت يا غبي.

هورتسيو : كريميو، اسكت (يذهب إلى جيراميو) حفظك الله يا سنيور
جيراميو.

جيراميو : يسلمني أن أعترف عليك يا سيور هورتسيو، هل تعلم إلى أين أنا
ذاهب ؟ إلى بيت باتستا مبولاً، لقد وعدته بأن أجده له أستاذاً يعلم ابنته
الحلوة بيانكا، وتوفقت في العثور على هذا الشاب الذي، بسعة معرفته وحسن
تدبيره، أجده فيه الأستاذ المشهود الذي لا يشق له غبار في ميدان الشعر
والتأليف وسائر الفنون على ضمائتي.

هورتسيو : جيد جداً، وأنا من جهتي، التقيت بأحد الأعيان وودعني بأن
يملأني على موسيقي ممتاز لتلقيف معلّمتي، وهكذا لن أكون مقصراً في
واجباتي نحو المحمّنة بيانكا التي يهيم عليها مؤلدي بحنو وإخلاص.

جيراميو : وأنا ألبساً، كما ترى ذلك من تصرفاتي.

كريميو (على حدة) : وكما تدل على ذلك أكياسه الصكدة.

هورتسيو : يا جيراميو، الآن ليس وقت تبديد عواطفنا سدى، اسمعني جيداً،
وإذا أصغيت إليّ رويت لك حبراً يسرنا كليتنا معاً، ها هوذا أحد الأعيان وقد
صادفته عرضاً، وحسب ما تمّ بيننا من اتفاق، يتكفل هو بأن ينازل اللصبة
كاثريتا، بل أن يتزوجها إذا ناسبته باستنها.

جيراميو : وهكذا يقرن القول بالفعل ويتم الأمر على أكمل وجه، هل عددت
له يا هورتسيو كل عيوبها.

هروسيو : أولا بحق لي أن أعيش ؟

كريميو (على حدة) : إذا عازلناه، حتماً سأشتقه باكراً.

هروسيو : لماذا جئت أنا الى هنا ان لم تكن هذه هابتي ؟ هل تظن أن قليلاً من الصبغة يزعج أذني ؟ ألم يملأ سمعي في الماضي زهر الأسود ؟ ألم أ شاهد أمواج البحر ترفعها الرياح العاتية، فيثور فائرها وتزهد وترعي مثل مجنون هائج ؟ ألم تصم أذني يوماً لعلعة المصانع في السهول وقد اخترق دوتها عنان النساء ؟ ألم يخلش سمعي في معركة صائفة نعيم اليوم وصهيل الخيل ودق النفر ؟ وثأتي أنت لتحديثي عن لهجة امرأة لا يشتف صوتها الأذان أكثر من فرقة الكشتاء في موقعة مناجمة النيران ؟ دع عنك وسائل الارهاب هذه التي لا تخيف حتي الأولاد الصغار.

كريميو (على حدة) : نأ ! إنه هو ذاته يفرغ منها.

كيرايمو : اسمع يا هورتيسيو، لقد جاء هذا الرجل في الوقت المناسب على ما أعتقد لصالحه وصالحنا أيضاً.

هورتيسيو : لقد وعدته بأن نساهم في مجهوده بمغازلتها ففاسمه تمكاليته.

جيراميو : أنا مولق، شرط أن يفلح في التقرب اليها.

كريميو (على حدة) : لود أن أكون حلي يقين أيضاً بأنني سأتناول غداً لهذا.

(يدخل ترفو مولداً نأاً غالية وجهه يوندالو)

توانيو : الله معكم يا سادة، سامحوني على ما أستطيعه لنفسي من حرية، وأرجوكم أن تقولوا لي ما هو أقصر طريق للذهاب الى منزل السيور باتيسنا موندلا.

يوندالو : الذي له أيتان جعيلتان (لثانيو) والذي تبحث أنت عنه بالذات.

توانيو : هو بعينه يا يوندالو.

جيراميو (لثانيو) : اسمع يا سيدي، أنظرك لا تريد أن تتكلم عن التي...

توانيو : س المحتمل أن يكون كلامي عن الواحدة أو عن الأخرى يا سيدي،

لما الفرق بينهما في نظرك ؟

هورتسيو : على كل حال، أنت لا ترضيك المرأة المشاكسة العتيقة، أليس كذلك ؟

ترائيو : أنا لا أحب المشاكسات، يا سيدي، نعال نذهب يا يوندالو.

لورستيو (على حدة) : المقدمة لا يأس بها يا ترائيو.

هورتسيو (لترائيو) : من فضلك اسمح لي بكلمة واحدة قبل أن تمضي، هل تميل الى الصبيّة التي تتكلم عنها ؟

ترائيو : ان كان الأمر كذلك، هل ترى فيه ضرراً يا سيدي ؟

جيراميو : كلا، شرط أن نتسحب فوراً عند اللزوم بدون أن تنسى بيت شقة.

ترائيو : بربك يا سيدي، أسألك أن تنهني عما اذا كان الطريق سهلاً أمامك كما هو أمامي ؟

جيراميو : أتمنى لك تحقيق رغبتك، اما الفتاة ليست حرة.

ترائيو : وما السبب ؟ أوجوك أن تبني لي.

جيراميو : ها هو السبب، اذا كنت فعلاً تريد أن تعرفه : انها حبيبة المنجور جيراميو.

هورتسيو : بل هي الفتاة التي يفضلها هورتسيو.

ترائيو : تمهلوا يا سادتي، ان كنتم مخلصين، أوجوكم أن تستمعوا إلي بزملة وطول أنفة، إن ياكستا رجل نبيل رصين، ولا يجهل والدي، فعندما تصبح ابنته أجمل مما هي، يمكنها أن تجتذب أنظار طلاب الزواج، وأنا أخدمهم، لأن للصبيّة الحسنة ألف محب، والحلوة ياتكا يسرها أن تجد حولها معجباً جديداً، هو لورستيو الذي يظهر أنه سيحصل عليها والذي سيفتح في صف المعجبين بها وله كبير الأمل بأن يظفر وحده بها حتى ولو تقدم أمير من الأمراء لطلب يدها.

جيراميو : ماذا تقول ؟ هل يقوى هذا الشاب على كم أنوالنا جميعاً ؟

لورستيو : يا سيدي، اترك له الحبل على الفارب فلا يلبث مع ذلك أن يهرب منها.

هورتسيو : ما الفائدة في كل هذا الكلام، يا هورتسيو ؟

هورتسبو (لترانو) : اعفوني على الحرية التي ألجأ إليها في سؤالي : هل شاهدت بحياتك ابنة بائيسا ؟

لترانو : كلا يا سيدي، لكنني أعرف أن له ابنتين : الواحدة شهيرة بأساتها اللاذع السليط، والأخرى بوداعتها وسحر جاذبيتها.

بتروسبو : سيدي، سيدي، دع الأولى لي ولا نهتم أبداً بها.

جيراميو : أجل أترك لي هذا العمل الشاق الذي يفوق قدرة أعظم الأبطال. بتروسبو : سيدي، أنهم جيداً ما أقوله لك، ان الابنة الصغرى التي تسمى للحصول عليها يحجبها أبوها عن كل الراغبين في طلب يدِها، لأنه لا يريد أن يزوجه قبل أن تزف شقيقتها الكبرى، حيث لا فقط تصبح حرة لا اعتراض على رواجها.

لترانو : اذا كان الأمر كذلك، يا سيدي، وإذا كنت الرجل الذي سيدي إلينا جميعاً، وإلى أنا قبل غيري، خدمة جليظة كهذه، وإذا توصلت إلى اذابة الجليد ونجحت في سعيك المشكور إلى احتكار قلب الابنة الكبرى، وتمهيد الطريق أمامي للوصول إلى قلب أختها الصغرى، فإن الذي سيسعد بامتلاكها لن يكون عديم التقدير إلى حد جمود فضلك عليه.

هورتسبو : كلامك ظريف يا سيدي، ولتفكر صائبة ما دمت تصرح بأنك تود أن تكون في صف طالبي يدِها نظيري، فتظهر امتنانك وعرفانك جميل هذا الرجل الذي ندين كلنا لفضله.

لترانو : لن أنأخر يا سيدي عن المباشرة بمحاولتي، وأقترح عليك أن نمضي معاً بعد ظهور هذا اليوم لنفرغ بعض الكؤوس نخب حاجتنا فنصرف كالمحامين الذين يتظاهرون بالخصام أمام القاضي، وبعد المحاكمة يترافقون للأكل والحرب معاً كأول الأصدقاء.

كريميو ويونداو : ما أنجح هذه الخطة ! ها بنا.

هورتسبو : الخطة محكمة حقاً، فتمثل نفعها يا بتروسبو وسأكون ضيفك وساعدك الأيمن

(بترامو).

الفصل الثاني

المشهد الأول

دوما في بادوا عند باتستا

(لداسل كاترينا، تاجر ورفيعا ييانكا مفيدة الجبس)

يانكا : أختي العزيزة، لا تحقريني، ولا نسعي إلى بسك بمعاملتني كسجينة مستعبدة، لأنني أجد ذلك غير لائق، أما هذه القلادة فأرجوك أن تفككيها من يدي، وإلا انتزعنها أنا بعصي، ثم اخلعي عني كل زينة حتى ردائي، أجل سأفقد كل ما تأمريني به ما دمت أعرف واجباتي نحو شقيقي الكبري.

كاترينا : من بين المعجبين بك أصر على أن تقول لي من هو الذي تحب أكثر من غيره، ولا تحاولي إخفاء الأمر عني.

يانكا : صديقي يا أختاه ! اني من بين جميع الأحياء لم أجد إلى الآن وجهاً أفضله على سواه.

كاترينا : ماذا دهاك يا سافقة ! أليس كذلك، يا هورنسيو ؟

يانكا : ان كنت تميلين إلى هذا الرجل، يا أختي، أقسم لك بأنني سأبدل جهدي لمساعدك على استمائه اليك.

كاترينا : يبدو أنك تفضلين الغني، وترغبين في الحصول على جيراسيو بدلاً.

بياتكا : هل من أجله تراجعتي وغلاصمتي؟ انك حتماً تمزحين، وأنا ألاحظ أن تصرفك حتى هذه الساعة لم يكن إلا من قبيل المزمار أرجوك يا أنجي كاتي أن تفكي قيد يدي.

كاترينا : ان اعتبرت هذا مزاحاً فكل ما سبقه من بولدر، هو أيضاً كذلك.

(دخول باتيسا)

باتيسا : ما قولك يا آنسة؟ من أين لك هذه الجمارة؟ اجعدي عنها يا بياتكا، يا لك من مہرجة! ما لك تبكين؟ انصرفي الى اميرتك ولا تشغلي بعد الآن في شؤون أعطت، بل تجني ألامها الجهنمية، لماذا تضايقنها وهي لم تحاول قط أذيتك، ولم يسبق لها أن وجهت إليك أية كلمة نابية؟

كاترينا : ان مجرد سكوتها اتهام لي، وأنا مصممة على الاقتصاص منها (نهجم على بياتكا).

باتيسا (يقف حائلاً في طريقها) : حتى أمامي ا اذهب يا بياتكا الى حجرتك

(تخرج)

كاترينا : أنا واثقة بأنك لم تعد تطيق حتى مشاهدتي، بينما أنت ترى فيها كنزك القالي وترغب في إيجاد عريس لها، وهكذا تعرض علي أن أرقص حافية في حفلة زفافها لإكرامها، ويحق لها أن تسعديني لأجل خدمتها، لا تكلمني بعد الآن، سأحس ذاتي في غرضي وسأظل أبكي حتى تحسن لي أن أتقم منها لكرامتي

(تخرج بياتكا)

باتيسا : هل في الدنيا رجل عفجوع نظيفي؟ من القادم الى هنا؟

(يدخل جيرامو مع لوستير في ثياب رجل فقير، ثم يترش مع هوراسيو في لير)

موستي، ثم ترش مع يخلطو حائلاً عوداً وبعض الكتب.

جيرامو : نهارك سعيد يا باتيسا.

باتيسا : نهارك أسعد يا جاري العزيز جيرامو، حفظكم الله يا سادة.

جوروسيو : وأنت أيضاً يا سيدي الكريم، اخبرني، أولست والد لطفة حلوة قاضلة اسمها كاترينا؟

باتيسا : أجل، يا سيدي، ابنتي تدعى كاترينا.
جيراميو (بصوت خافت لبروسيو) : أنت متسرع في كلامك، وحليك أن تكون محتفظاً في حديثك.

بروسيو (بصوت خافت لجيراميو) : أنت تقترني يا سيور جيراميو، دعني أنصرك كما أنشأ، (بصوت عالٍ لباتيسا) : أنا يا سيدي من أعيان فيرونا، وقد سمعت اشادات عديدة بجمال ابنتك وخفة ظلها ومهارتها وحيلها ونواضعها ودماثة أخلاقها وسائر صفاتها الممتازة، فسمحت لنفسي بأن آتي بدون كلفة لزيارتك كي أتحقق بذاتي، مما روي لي عنها في حاسبات مختلفة، ولكي أنضم إلى عداد الراغبين في التقرب إليك، أقدم لك أحد أصدقائي (يشير إلى هودنسيو) وهو رجل يارع في الموسيقى والرياضيات، ومستعد لأن يكمل تثقيف ابنتك وما غابها من هذه العلوم التي أعرف جيداً أنها لا تجهلها تماماً، فأرجو أن تقبل به ولا تخرجني برفضه، اسمه لوستينو وهو من مواليد مدينة ملتونا

باتيسا : أعلماً بك يا سيدي، وبه أيضاً أكراماً لك، أما ابنتي كاترينا فيؤسفني أن أصارحك بأنها ليست من نصيبك.

بروسيو : ألاحظ أنك لا تريد أن تعارفها، وأن تقربي إليك لا يصحبك.
باتيسا : لا تنصرك كلامي، يا سيدي، على غير حقيقته، أنا أنوه بما يجوز بخاطريه من أين أنت يا سيدي ؟ هل لي أن أعرف اسمك ؟

بروسيو : اسمي بروسيو، وأنا ابن انطونيو الشهير في كل أنحاء إيطاليا.
باتيسا : إنني أعرفه جيداً، فأهلاً بك أكراماً له.

جيراميو : لكي أوفر عليك طول الشرح، أسمح لي يا بروسيو، أن أخبرك عن رغبتني، فأنا طالب زواج، ويؤسفني أن ألاحظ أنك تستعمل الأمور بشكل غريب.

بروسيو : اعفوني يا سيور جيراميو، إن طلبت منك أن تنتظر نهاية حديثي.
جيراميو : لا شك عندي يا سيدي أنك تسيء لي فضيتك، وأنا على يقين، يا صاح، بأنك مرتاح إلى حضوري كشاب لائق يود أن ينال حظوى في عينيك أكثر من أي شخص آخر، لأنك أحسنت صنعاً بإفصاح المجال لي كي أبادر

الى تقديم هذا الشاب العالم لك (يشير الى لوستيو) وقد قضى السنين الطويلة في تحصيل العلوم حتى تضلّع من اللغات اليونانية واللاتينية فوق إتقانه لغة أجداده وسولها من اللغات، ما عدا تصنّف في الموسيقى والرياضيات، واسمه كميرو، فأرجوك أن تقبل خدمته.

باتيسا : ألب شكر لك، يا سنور جيراميو، أهلاً بك، يا كميرو (يلصق ترانفو) أما أنت يا سيدي الكريم فيبدو عليك أنك غريب عن هذه الدمار، هل لي أن أسمح لنفسى بحرية السؤال عن سبب مجيئك هنا ؟

ترانفو : لأرجوك يا سيدي، أن تسامحني على ما أصبحت من الحرية، أنا الغريب عن هذه المدينة، إذ تجرأت على الطموح الى طلب يد ابنتك الجميلة الفاضلة بيانكا، وأنا لا أجهل تصميمك الحازم على تزويج ابنتك الكبرى أولاً، لأن المنة الوحيدة التي ألتصها منك، حالما تعرف حالتني، هي أن تستقبلني اسوة بسائر طلابي الزوارج، وتفتح لي مجال الاشتراك معهم في كتب سودك وللمساهمة في تقيف ابنتك، فقدم لك أبسط الوسائل لبلوغ ذلك، ألا وهي هذه المجموعة الصغيرة من الكتب اليونانية واللاتينية التي تزيدها معرفة وترفع شأنها اذا تكرمت بقبولها، أما اسمي فهو لوستيو.

باتيسا : أرجوك أن تقول لي من أية مدينة أنت ؟

ترانفو : من بيزا يا سيدي، وأنا ابن فنستيو.

باتيسا : هو شخصية مرموقة في بيزا، وأنا أعرفه لأنه أشهر من ناز على علم، فأهلاً بك يا سيدي، (لهورتنسيو) أنت حد هذا العود (للوستيو) وأنت خط هذه المجموعة من الكتب، وسترى تلميذتك حالاً، أليس من أحد هنا ؟

(يدخل وصيف)

يا هذا لوصل السيدين الى ابنتي، وقل لها انها أستاذان سيكلاان تشبهها، وعليها أن تحسن استقبالهما، (يخرج الوصيف مع هورتنسيو ولوستيو ويوندانو) ستقرّه قبلاً في الحديقة، ثم نأتي الى المائدة، أهلاً وسهلاً بكم جميعاً.

جروسو : سنور باتيسا، ان عملي يتطلب الاسراع، وأنا لا أستطيع أن أجيء كل يوم لتقديم فروض اللياقة، أنت تعرف جيداً والدي، وتراه الآن في شخصي

بصفني الوريث الوحيد لأراضي وأموالي، وبين يديّ لودعرت ثروته ولم تنقص،
فإذا ظفرت بحب ابتك ما هي البائنة التي ستمنحني إياها عند عقد القران ؟
بالتبسط : بعد موتي، نصف الأراضي التي تخصني، ومنذ الآن مبلغاً قدره
عشرون ألف دينار.

هورتسيو : وأنا مقابل هذه البائنة، اذا عاشت هي من بعدي، أو من لها كميّات
جميع الأراضي والعقارات المتبقية لي، فلنكسب الآن بنود المقد، على أن يحترم
كلا الطرفين تنفيذ الاتفاقية بمحاذيرها.

بالتبسط : طبعاً عند الوصول الى النقطة الأساسية، أي حب ابنتي لك، لأن كل
شيء يتركز على هذه النقطة الجوهرية.

هورتسيو : هذا أقل ما يجب أن يتحقق، وأنا أنبهك الى أن والدي عند بقدر
ما هي متشاكسة، وعندما تشب النار وتندلع ألسنتها، لا يد لها من أن تلتهم
كل ما تصالده من أخضر وباس على السواء، فالهواء مهما كان لطيفاً يزيد
اللهب اشتعالاً، وإن ببطء أما العاصفة الهوجاء فتنفضي على الحريق وتطفئه، وأنا
أنوي أن أكون عاصفة عتيقة جبالها، فلعليها أن تنحني أمامي لأنني الأقوى، ولن
أكون أبداً ناعماً في مغازلتها كما يفعل الغبيان.

بالتبسط : أرحوك أن تغازلها بحكمة وأمانة، وأتمنى لك كل النجاح، لكن،
لياك أن ترمي سلاحك أمام بعض استرضاعاتها.

هورتسيو : أنا عند التجربة كالجبل الذي لا ترعزعه الرياح مهما تواصل هبوبها
بضراوة.

(يدخل هورتسيو ورأسه مغطى بهلم)

بالتبسط : لماذا أنت هكذا شاحب اللون، يا صديقي.

هورتسيو : اذا وأبنتي شاحباً، أؤكد لك أن ذلك ناعم عن الخشية.

بالتبسط : خشية ماذا ؟ هل تتوقع أن لا تكون ابنتي موسيقية بارعة ؟

هورتسيو : أعتقد أنها تصلح بالأحرى للجندية، لأنها تفل الحديد بصلابة
عنقوانها، بينما العود يتطلب اللين والرفقة.

بالتبسط : ماذا تقول ؟ أولست قادراً على تعليمها العزف على العود ؟

هورتسيو : حتماً لا، بما أنها كسرت على رأسي، لقد نبهتها الى انها تخطيء

في لمسات الأوتار، وطويت لها أصابعها لأعودها على وضعها في الأماكن اللازمة، عندما فاجأني بترتها وعتادها، وصاحت بي : اللمسات ؟ هل تستبي هذه لمسات ؟ بدأ سأمرن يدي عليك، ولدى هذه للكلمات انهالت بمنف على رأسي بالعود الذي حطته شرّ تحطيم، فطاش صواهي بعض الوقت، لا سيما حينما سمعني بالشقي القادر وبالموسيقى القائل ويشي الصوت التي تفتها لأنها أستاذة في فن النغم والسبب، على ما أرى.

هروسيو : لعمرى، هي آتية مستبدة، وأنا أحبها الآن عشرة أضلاع عما قبل، ويسعدني الحدث اليها.

باقيستا (لهورتنسيو) : هيا، تملأ معي ولا تيأس، تلعب إلقاء دروسك على ابنتي الصغرى لأنها موهوبة، وتقدر ما تسدي إليها من جميل، يا سنيور هروسيو، هل تريد أن ترافقتا أو أرسل لك ابنتي كاترين ؟

هروسيو : أرجوك أن ترسلها، فأنا انتظرها هنا (يخرج بايتا وجيرامو وترابي وهورتنسيو) وحالاً فأني، سأصرف إلى مغاللتها بلقاء، ولتعرض أنها بخدوت إلى تخفيري، سأقول لها أنها تمرّد برخصة كاليبلايل، وتفرض أنها نظرت إليّ شذراً وعيست فأصرح لها بأن محباها البسام أئبه بوردة تمنعها قطرات الودي، وإذا ظلت صامدة وتشبث بمكوتها، حيلة سأشيد بطلاقة لسانها وبالفصاحة التي تتحلى بها، وإذا رفضت أن تتزوجني، سأطلب منها برقة، متى يمكسي إعلان موعد زفافنا، ها هي مثبلة، هيا يا هروسيو تكلم.

هروسيو : نهارك سعيد يا كاتي، أظنك هكذا تدعين، كما سمعت ؟ كاترينا : لم يخطيء سمعك، لكن هناك قليلاً من التحريف، لأن الذين يتحدثون عني يسمونني كاترينا.

هروسيو : أؤكد لك اني لا أحرف، فالناس يختصرون اسمك ويدعونك كاتي، كاتي المصالية، كاتي المشاكسة، وبالتالي كاتي الجميلة، كاتي الفاتنة، كاتي الحلوة، ومن يقول حلوة يعني الحلوة اللذيذة الطعم، فأنت سلواي يا كاتي، اصغني إلي يا مبيودني الصغيرة، نيمد أن سمعت الإطناط بلطفك

والإشادة بفضلك وبهاء طلعك كما تستحقين، دعني لشوق إلى البحث
عك لأجلك شريكة حياتي.

كاترينا : أن يدفك الشوق إليّ حقاً أمر مشكور، ولكن كما دضك الميس
إليّ، فليحملك ويمدك عني، لأنني لا أجد فيك إلا رجلاً متفلاً كبير الأهواء.
جورسيو : ماذا تعين بكبير الأهواء ؟

كاترينا : أعني أنك غير مستقر.
جورسيو : لقد أصبحت، وما عليك إلا أن تمنحني هذا الاستقرار بإلقاء عينك
علي.

كاترينا : حمل الأتقال هو من نصب الحمر، وأنت مثلها.
جورسيو : والنساء نصيبها الحمل أيضاً، وأنت لن تشدي عن القاعدة.
كاترينا : لكنني لست العطية التي ستحملك، إذا كنت تعتمد علي.
جورسيو : مع الأسف يا كاتي الكريمة، لن أثقل عليك الحمل، لأنك صبية
رشيقة.

كاترينا : أترشني مما تصور، حتى يسكن ثقل الظل نظيرك من أن يحظى بي،
فأنا مقدرة مقامي وأدري الناس بما أستحق.

جورسيو : أجل، إذا رضي بك أحد من الرجال.
كاترينا : هذا قول غير مقبول لا سيما إذا صدر عن ثيرة مثلك.
جورسيو : يا لك من فراشة طائشة هائمة في أجواء العرور، ستفوي القبرة على
التقاطها.

كاترينا : انما القراشة ماهرة في تضليل الطيور الجارحة.
جورسيو : هيا، يا نحلة خلفي من تشامخك، أنك تستشيطين عضياً بدون
داع.

كاترينا : إن كنت أنا نحلة، عليك أن تخشى ابرتها.
جورسيو : لن أعدم وسيلة لاقتراعها والتخلص منها.

كاترينا : إذا كان الأبله قادراً على الانتهاء إلى مخبتها.
جورسيو : ومن لا يعرف أن ابرة النحلة هي أسفل أحشائها ؟

كاترينا : بل بين شحمها، يا غبي.

بروسيو : شفني من تعنين ؟

كاترينا : ربما شفنيك أنت يا مففل، إن كنت سليم الطوية، وداعاً.

بروسيو (ممسكاً بها) : قولين سليم الطوية، ان شفني مستحقين حقاً بما تحاولين حجب عني، هيا عودي يا كاترينا الكريمة، فأنا من الأحيان. كاترينا : هذا ما أريد أن أوقن به (تصفحه على محده).

بروسيو : أقسم لك، بأنني سأرد الكيل كيلين، إذا أعدت الكرة.

كاترينا : سنفقد اعتبارك، إذا ضربت امرئاً، ولن تكون من الأحيان، وإن لم تكن منهم فلا اعتبار لك بتاتاً.

بروسيو : ان كنت أميرة، يا كاترينا، احببي أحد حراسك.

كاترينا : ما هو شعارك ؟ عرف الديك ؟

بروسيو : ديك بلا عرف، شرط أن تكون كاتي دجاجني وحيثي.

كاترينا : أنا لا ميل لي اليك، أيها الديك المحقر، لأن صياحك يشبه نقيق اليوم.

بروسيو : هيا يا كاتي، لا تظهرني كل حموضة أخلاقك.

كاترينا : هذا ملأني الاعتادي مقابل خيانة مثلك.

بروسيو : ليس من خيانة هنا، فأبدلي حموضتك.

كاترينا : أنا أراها في محلها بكل تأكيد.

بروسيو : دليني عليها إذا.

كاترينا : لو كان لديّ مرآة لما ترددت لحظة.

بروسيو : هل تفصدين أن تربني فيها وجهي ؟

كاترينا : لقد فُدركت مراراً، يا حيث.

بروسيو : والله، أجفني أصغر ستاً ممن تحتاجين إليه.

كاترينا : أنت مع ذلك لا روثق لك.

بروسيو (يطوق حصرها) : بسبب الهموم.

كاترينا (تحاول التملص منه) : أنا لا أهابي بما يتناكب.

بروسيو (يسلك بها) : هيا اصفي إليّ يا كاتي، في الحقيقة لن تخلفني مني هكذا.

كلترينا : سأظل أناضلك إلى أقصى حد، اذا حجزتني هنا، فعدني أذهب.
 بروسو : كلا، لن نذهب، لأنني وجدتك في عاية اللطف، لقد قيل لي أنك
 غشنة الطباع، مشاكسة ككية، وأرى أن كل هذه الأقوال لا أساس لها من
 الصحة، إنك جذابة داهية طليعة الحديث، أنت لا تتكلمين بهدوء وألفاظك
 حلوة كأزهار الربيع أنت لا تهرنين ولا تظنرين شغباً ولا تلمظين غيظاً كما
 تفعل القتيات الماكرات، ولا يلد لك أن تصرفني عنك أحداً، بل تستقبلين
 الممحين بك بكل ترحاب وحسن ضيافة، فلماذا يدعي الناس أن كلترينا ملثوية
 الأخلاق، نأ لهم من نمامين ! إن كلترينا رشيقة الخطي مستقيمة القامة مثل
 قضيب البان، وهي سمراء كالبنق ولذيلة كاللوز المحمص، هيا، أرنني
 مشيتك لأؤمس بأنك لا تهرجين.
 كلترينا : يا لك من محتال ! اذهب واصدر أوامرك الى من رشوتهم من
 المنفليين.

بروسو : إن الآلهة ديانا لم ترين الغابة مثلما زُمت كلترينا هذه الغرفة بأناتها
 وروعة حسناتها، أرجو أن تكوني لي كديانا، فأخذ ديانا مكان كلترينا،
 ولتسك كلترينا بملتها كما نشئت ديانا بحانها.

كلترينا : أبت تعلمت كل هذا القول المصمول ؟

بروسو : إنني أتمد طلاقة لساني من معين عواطفك.

كلترينا : على المؤلف أن يكون مصيحاً لكي يأتي كلامه سلساً.

بروسو : ألا نجدتني متوقد الذهن ؟

كلترينا : أجل، ولذلك عليك أن تظل معي مرناً.

بروسو : وحياتك، هذا ما أتوي عمله في سريوك يا كلترينا الحلوة، والآن
 أترك هذه اللبانات جانباً لأفصح لك عن رغبتني بتعابير واضحة، لأن والدك
 وافق على أن تصبني زوجتي، وقد بت في أمر بالنتك، وستصيرين شريكة
 حباتي شبت أو أبيت، صدقني يا كاتي أني الزوج المثالي الذي يتاسبك، وأنا
 وافق بأنك على ضوء ما نستهرين من فتنة جمالك، لن نرضي أنت بغيري
 زوجاً لك، فقد خلقت أنا لزوجتك وتحويلك من هرة شرسة الى فتاة أليفة

محبوبة نظير سائر الصبايا الأنسات، ها هوذا والدك مقبل، فلا ترفضيني، لا بد
من أن تكون كاترينا حليتي وأحصل عليها حتماً.

(يدخل باتيسا وجيراميو وترميها)

باتيسا : ما وراءك من الأخبار يا سيور بتروسيو ؟ كيف حالك مع ابنتي ؟
بتروسيو : على أحسن ما يرام من الضامم والانسجام ؟ إذ يستحيل علي ألا
أنجح.

باتيسا : وأنت يا بنيتي كاترينا، ألا تزالين علي ما أنت عليه من الكتابة ؟
كاترينا : أنت تدعوني بنتك، وهذا برهان قاطع علي حقك الأبوي، ولا سيما
عندما تنوي تزويجي برجل مصف أبله، غبي خاطئ من التفكير، يشبه طاحوناً لا
يدور إلا بالدجل ويتلفق الشنائم والتهديدات علي لسانه.

بتروسيو : عتاه ! هذا الكلام بعيد جداً عن الواقع، أنت وجميع الذين
يحدثون عني تظلمونني وتخطئون في الحكم علي، أنا أعترف بأن ابنتك كاترينا
مشاكسة عن عبادة وسابق تصميم لكنها مع ذلك بعيدة عن الخشونة بل هي
وديمة كالحمامة، وبعيدة عن الصلف بل مسليمة وهادئة كانبلاج الصبح، ومن
ناحية العبر فهي أشبه بأيووب، ومن ناحية العفة هي نظير يوسف بن يعقوب
وكلانا علي أتم الصلح والاتفاق قد قررنا أن نعقد قراننا يوم الأحد القادم.
كاترينا : اني أمضت أن أراك مشغولاً يوم الأحد.

جيراميو : هل سمعت يا بتروسيو ؟ هي تعلم أنها تفضل أن تراك مشغولاً.
توانيو (لبتروسيو) : هل تعتبر هذا نجاحاً ؟ وداعاً إذا لمهودنا.

بتروسيو : صبراً يا سادة، أنا اخترتها لنفسي، فإذا كنا كلانا واضحين فما
شأنكم أنتم ؟ لقد تم الاتفاق بيننا نحن الاثنين عندما كنا منفردين علي أن
تواصل مشاكستها أمام الناس فقط. نؤكد لكم أن مقدار تعلقها بي لا يحصره
وصف، يا لها من فتاة مخلصه ! لقد عانتني وعلبت علي بخدي قبلة الشرق
وأقسمت لي بمين الوفاء، مبرهة بذلك علي هيامها بحبي، أنتم بدائيون في
هذا الحقل، وأنا أعبر امرأة عجيبة أن يروض طالب رواج في غلوة واحدة
أشرس المتوحشات، أعطيني يدك يا كاتي، أنا ذاهب إلى البندقية لأشتري لك
جهاز العرس اللازم لرفائنا، أعدت الحفلة يا عتاه، وأرسل الدعوات إلى الأهل

والأصحاب لحضور الحفلة، أريد أن أعلن كم ستكون كثرتنا ساحرة في هذه المناسبة السعيدة.

باتيمتا : لا أذري ماذا أقول، ولكن هات يدك، أتمنى لك السعادة والتوفيق يا بتروسو، فلفد ربنا القصة.

جيرامو وقراتيو : آمين، وستكون غير الشهود.

بتروسو : وداعاً يا عمه، وداعاً أيها الحسنة، وداعاً يا سادة، أنا ذاهب إلى مدينة البندقية، وهناك سأشتري ما يلزم من حوائج وحلل رائعة وهدايا جميلة، طافيني يا كلتي (يقبلها) ستزوج يوم الأحد.

(يذهب بتروسو وكثيراً كل من جهة) .

جيرامو : هل شاهدت زواجاً تم بشكل هذه العجلة ؟

باتيمتا : لمصري، اني أقوم، يا سادة، بتور التاجر المبهوس الذي يقامر في سبيل مصلحة لا أمل له في نجاحها.

قراتيو : هذه السلع التي ربما تفسد بقربكها إما أن تدرّ عليك الربح الوفير، وإما أن تلف أثناء نقلها إليك في البحر فتتزل بكم عسكرة فاحدة.

باتيمتا : الربح الذي أتمناه من هذه الصفقة هو الملام والولم.

جيرامو : يجب أن أقر بأن هذا القسم النادر يتحقق بهندوء وأمان، والآن يا باتيمتا لتكلم عن اهبتك المصري، ما قد ألق اليوم الذي انتظرته أنا طويلاً، فأرأف بحالي أنا المستجير بك، ولؤل عاشق في ديارك.

قراتيو : لا تنسَ اني أنا أيضاً طالب زواج وإني أحب ياتنكا أكثر مما يوح به تصريحه الواضح وما يصوره لك خيالك المخصب.

جيرامو : يا لك من مخادع مكر، لن يتسنى لك أن تحب يحنان أكثر مني.

قراتيو : أيها المعجوز المتصالي، إن حبك مثل الثلج لن يلبث أن يذوب.

جيرامو : وحبك أنت مثل الريد لن يلبث أن يورل، فما عليك أيها الدجال إلا أن تراجع وتسحب لأن المرغوب في الثمرة هو نضوجها.

قراتيو : لكن الشباب في نظر الفواتي هو الزهرة الفواحة.

باتيمتا : هذتوا روعكم، يا سادة، سأبت في هذا الخلاف سريعاً، واستأداً إلى الوقائع سأمنح الفلتر ما يستحقه من جائزة، فمن منكما يسمه أن يخصص أوفر

بالفة لابتعي الكبرى، يتظفر بيد يالكاء، قل لي يا سنور جيراميو، ماذا بإمكانك أن تؤمن لها كفاية ؟

جيراميو : أولاً، كما تعلم، ان منزلي في المدينة غني بأثاثه وبالأواني النحبية والفضة والظسوت والأباريق لفصل الأيدي الناعمة، سجاداتي جميعها من صنع صور، وقد كُتبت دنانيري في خزائني العاجية، وستالري وثيايي وجميع رياشي هي من الأصناف الفاخرة العالية الثمن نظير الوسائد التركية المزركشة بالآلآء والأحجار الكريمة والموشاة بالذهب، هذا الأواني النحاسية وشئ الأواني البنية وصناديق السرو التي تحفظ فيها. ثم مزرعتي تحوي مئة بقرة حلوب وعشرين ثوراً ضخماً، وكل ما تبقى هو بهذه النسبة. لقد بدأت السنون ثقيل كاهلي، وأنا لا أنكر ذلك. لكن ان مت غداً، جميع هذا ينتقل إليها اللهم اذا وضيت بأن تكون لي ما حبيت.

ترائيو : ليس من حسنة في كل ما ذكرت سوى الخاتمة. (لباتستا) أنصت إليّ الآن يا سيدي. أنا ابن وحيد، وأمي لا وريث له غيري، فإذا تسنى لي أن أحظى بابتك كزوجة لي، سأترك لها في أحياء مدينة بيزا للفخمة ثلاث أو أربع منازل أجمل من التي يملكها المعجوز السنور جيراميو في بادو، ما عدا مدخول قدره مئة ألف ريال، قوامه أراضٍ ستكون من أهم أرزاقها. هل يزعجك هذا يا سنور جيراميو ؟

جيراميو : مدخول من مئة ألف ريال قدماه أراضٍ لكل أرزاقتي لا توافي هذا المبلغ ولكن سيكون لها فوق ذلك، حالاً، مقيمة راسية على رصيف مرسيليا، وهذه السفينة وحدها يسيل لها اللعاب اشتهاً.

ترائيو : يا جيراميو، من المملم به أن ميراث أبي لا يقل عن ثلاث سفن كبيرة وسركين والتي عشر زورقاً، تؤمنها لها جميعها، وأنا على استعداد لمضاعفة عرضك عليها مهما كان جزيلاً.

جيراميو : لقد قدمت كل ما يخصني ولا مزيد عدي، فلا يسعي أن أهدي ما لا أملك، فإن قبلت أنت بي، سأكون أنا ملك يديها مع جميع ما يخصني. ترائيو (لباتستا) : الفتاة من نصيبي أنا، لا لأحد سواي حسب وعدك النهائي ، وهكذا لم يعد لجيراميو في هذا الموضوع أي حساب.

بأنه : يجب علي أن أعترف بأن عمرك هو الأنسب ، وإذا شاء والدك أن يضمن لك هذه الثروة ، فابتي هي من نصيبك . وإلا ، أرجوك أن تعفري ، فإن مت أنت قبله ، لا أدري ماذا يحصل بتركه .

لترانيو : هذا أمر مفروغ منه . هو عجوز ، وأنا في عز الشباب .

جيراميو : ألا يموت الشبان كما يموت الشيخوخ ؟

بأنه : كفى يا سادة . هذا قراري الأخير ولا مرد له . وأنتم تعلمون بأن ابنتي كاترين ستزوج يوم الأحد القادم . (لترانيو) وأنت ستزوج بياكا متى حصلت علي ضمانه أبيك ، وإلا ستكون من نصيب الميسور جيراميو ، وعلى هذا الأساس أستاذكم شاكراً

(يخرج)

جيراميو : الوداع يا جاري العزيز . (لترانيو) الآن لم أعد أخشاك . لمعري ، أبيها المهرج الصغير ، إن أعطاك والدك منذ الآن ما يملك أعده من المفضلين ، لأنك قد لا تتردد أيام شيخوخته ، في إهماله وحرمانه من حقوقه الشرعية . هذا عمل صيائي ، وأظن أن اللعب الإيطالي العجوز لن يبلغ هذا الحد من العناء ، يا ولدي . (يخرج)

(يخرج)

لترانيو : بليت بقتك أبيها العجوز الأحمق اللئيم . من حسن حظي رددت عليك بأفضل أجوبي ، وقد قصدت أن أعرف ما يعود من غير العواقب علي معلمي . لا أدري لماذا لم يخذلوسنيو المزعوم أباً مزعوماً ، اسمه فسنيو . إن هذه الوسيلة حقاً رائعة . إذ جرت العادة أن يصنع الأب ابنة ، إنما في عرف هؤلاء العشاق وبفضل مهارتي ، أصبح الإبن هو الذي يصنع والده .

(يخرج)

الفصل الثالث

المشهد الأول

في جناح بيانكا

(يدخل لوستيو وهورتسيو معهما بيانكا)

لوستيو : كفوا عن العزف أيها الموسيقيون. أنت تتصرف بحرية زائلة يا سيدي هورتسيو. هل نسيت بهذه السرعة ما خصصتُك به أحتها كاترينا من استقبال غاتر ؟

هورتسيو : اعلم، أيها المتفلسف الثقيل الظل، انك هنا أمام سيد الطرب، فدعني أتقدم عليك، وبعد أن يقضي ساعة من الزمن في سماع أعذب الأنغام سيكون أمامك الوقت الكافي لإلقاء دروسك.

لوستيو : يا لك من حمار بليد. يد عليك انك غير واسع الاطلاع لتترك روعة الموسيقى وتأثيرها العجيب في إنعاش ذهن الإنسان بعد عناء الدروس وتعب الأشغال اليومية. دعني إذا ألقى الآن درسي في الفلسفة. وبما أنا أرتاح تقدم أنت فلجانك الراحة.

هورتسيو : لى أتحصل طويلاً غلاتك المقذعة يا جاهل.

بيانكا : جميعكم، يا سادة، تزعمونني بمناقشاتكم العميقة في أمر يتعلق بي

وحددي. أنا لست تلميذة ساذجة تماق بالعصى، ولست مقيدة بمواعيد معينة، بل أود أن ألقى دروسي حين يحلو لي ذلك، فحسباً لكل نزاع بينكم تعالوا نجلس هنا. (لهورنسيو) أرجوك أن تتناول عودك لتعرف لنا قطعة مريحة، فإن دوسه سيتهي قبل أن تضبط الآلة.

هورنسيو (ليانكا) : ستركين درسه حالما أنتهي من ضبط أوتاري.

لورنسيو : إذا واصل تهيفه عودك (ينسحب هورنسيو جانباً).

ليانكا : أين توقفتما ؟

لورنسيو : هيا يا سيدتي. أنا لورنسيو بن فستيو من مدينة بيراه وقد تنكرت هكذا ليتسنى لي كسب مودتك، ولورنسيو هذا الذي جاء بفازلك هو وصيلي ترانير الذي حلّ محلّي للتصريح على والده الشيخ.

هورنسيو (وهو غاك) : إن آتني الموسيقى أصبحت جاهزة، فاسمعوا إذا (يعزف هورنسيو بعض الأنغام) تبا لهذا الوتر العلوي الذي يحنّ.

لورنسيو : ابعث في ثقب الملوأ، يا صديقي، وأعد ضبط الوتر (ينسحب هورنسيو ثانية).

ليانكا : والآن جاء دوري هي الكلام. أنا لا أهرع ولا أصدقك. فاحذر أن يسمعك أحد، ولا يبالغ في الادعاءات، وبنوع خاص لا تأسأ أبداً.

لورنسيو : أجل، ما عدا الوتر السفلي.

هورنسيو : السفلي مضبوط. (على حدة) ولكن سفانك يا حبيبت هي الشاذة، ما أكره تشاسخك وجسارتك أيها الفيلسوف المنكود الحظ 1 بحباتي، أنت حقاً مغفل حتى تغازل حبيبتني. يا غشاش سأواظبك عن كتب

(ينسحب)

ليانكا : قد أصدقت يوماً ما، حير أي لا أزل أناب بك حتى هذه الساعة. لورنسيو : لا تنقي به (يلسح هورنسيو) هو بروغ منك كما يروغ الغلب. ليانكا : يجب علي أن أصدق مطلق، وإلا تهتك إلى تموفي من هذه النقطة التي تبحث على الشك. ولكن، لنقف عند هذا الحد. (لهورنسيو) والآن جاء دورك يا لهسو. أرجوك يا أستاذي الكريم أن لا تحت علي لأنني جاملتك هكذا.

هورتسيو (لوستيو) : يمكنك أن تتحول قليلاً وتتركني وشأني لحظة. فني
دروسي الموسيقى لا مجال لإشراك ثلاثة طلاب معاً.

لوستيو : أراكم تتكلمون في معالجة قضاياكم يا سادتي. (علي حدة) حسناً
سأبقى لأراقب سير الأمور، فأنا لاحظت، إن لم أكن مخطئاً، إن موسيقنا
الظريف عاشق مثيم.

هورتسيو : قبل أن تسمي الآلة، يا سيدتي، سأعلمك كيف تستعملين أصابعك
أثناء العزف، ثم أبدأ بتقنيك مبادئ الفن الأساسية سأعلمك السلم الموسيقي
بطريقة أقصر وأبهرج وأقيد وأنجع من الطريقة التي درج عليها زملائي، وما هي
ذا مكتوبة على هذه الورقة، بخط جميل. (يسلّمها الورقة).
ييانكا : لقد حفظت السلم منذ زمن بعيد.

هورتسيو : اخصمي دوماً بسلم هورتسيو الأمين.

سلم دو : أنا مجموع كل الأوزان.

١ ره : أؤخذها للإفصاح عن أشواق هورتسيو.

٢ مي : إقليه زوجاً لك يا ييانكا.

٣ فا : لأنه يحبك بكل نزاهة وإخلاص.

٤ صول : عندي لهذا القرار بندان.

• لا رمي : لرأني بحالي، وإلا مت كمدأ.

هنا ما يدعي سلماً، رغم أنه لا يعجبني كثيراً، فأنا أفضل الطريقة القديمة،
أنا لست عاجزاً عن وسائل ألجأ إليها لأعيد الفوائد الأصلية باستباطات
مسطّاة.

(يدخل وسيف)

الوصيف : يا سيدتي، ولذلك يرجوك أن تتركي كتيك هنا لتذهبي وتساعدني
في تزيين حجرة شقيقك، فعلاً كما تعلمين هو موعد قرانها.

ييانكا : هلّي أن أترككم، يا أساتذتي الأعزاء، وإلى اللقاء

لوستيو : بعد الآن لم يعد من حاجة لبقائي في هذا المكان (تخرج ييانكا
والوصيف ثم لوستيو)

هورتسيو (وحده) : أما أنا فغلبت رغبة في المكوث هنا لمراقبة هذا المتفلسف الذي يبدو لي أنه غائص في بحر الغرام، آه منك يا بيتكا ! إن كنت تريدني، ولو بقليل من الوضاعة، أن تشعلي بعطفتك أول القادمين، فليتزوجك من يشاء، وإذا تصرفت بطيش، فهورتسيو يكون في حل ليغير رأيه ويحتار سواك (يخرج).

المشهد الثاني

أمام منزل باتستا

(يدخل باتستا وتروسيو وكاترينا وبيتكا ولورستيو في مركب نحم جميعهم المدعوون إلى العرس)

باتستا (لكراتينو): سيور لوستسيو، ها هو اليوم المعلن لإضاف كاترينا وبروسسيو، ومع ذلك لم نطق حتى هذه الساعة أي نباح عن وصول صهرنا، ماذا يقول الناس عنا ؟ ما هذه الفضيحة التي يثيرها غياب العريس أثناء انتظار كاتب العقد لإتمام مراسم الزواج ؟ وبماذا سيتجمع لوستسيو حيال العار الذي يلحق بنا.

كاترينا : أنا وحدي أنحمل وفر هذا العار، لأني مصطرة، بالرغم مما يجساه قلبي، إلى القبول بشباب خال من العقل، بعيد عن الكياسة والمسئيرة، بعد أن غلزلني باستعجال، ضابطاً في القنوم إلى عرسه. لقد قلب لك أنه مهروس نرق، يخفي السخرية المرة تحت مظاهر الصراحة القاسية. ولكي يظنه الناس ظريفاً نوله بمنزل ألف امرأة وبعض لكل واحدة موعناً للاحتراق بها، ويدعو الأصدقاء وبعد كل مقتضيات الحفلة بدون أن ينوي الزواج، هكذا يثير الناس بإصبعهم إلى كاترينا قائلين : ستصبح امرأة المهروس بتروسيو، يوم يخطر بباله أن يأتي ليتزوجها.

ترانيو : صبراً يا كاترينا الطيبة، صبراً يا باتيسا الكريم. صدقوني، ان قلت لكم ان نية بتروسيو سليمة، وأن ظروفه تمنعه عن الاعتداء، وإن هذا قليل الياقة، فأنا أعلم أنه يدرك ما يفعل، ومع أنه يظهر غير مهذب، فأنا واثق بأنه رجل شريف يحترم عهوده.

كاترينا : أنتى أن لا أكون قد عرفت (تخرج باكبة وتجمعها بيانكا وبعض المدرسين الى المرس).

باتيسا : اذهبي يا بيتي. فأنا لا أسمعنى أن ألومك على نسيك. لأن مثل هذه الإهانة التي لا تفترئ تعيظ قديماً، فكم بالحري فتاة فرقة سامية للطموح نظيرك.

(يصل يوهان ورائسا)

يونندالو : سيدي، لذي خبر هام، خبر سار لم تسمع به بعد.

باتيسا : خبر سار ؟ ماذا تقصد ؟

ترانيو : ما هو ؟ أوليس خبرك وصول بتروسيو ؟

باتيسا : هل وصل حقاً ؟

يونندالو : كلا، يا سيدي.

باتيسا : ماذا تريد أن تقول إذن ؟

يونندالو : سيصل.

باتيسا : ومعنى يحضر الى هنا ؟

يونندالو : عندما ينفذ أماننا وفراه بأن أمهتنا.

ترانيو : تكلم أيها البليد، تكلم. ما هو خبرك الهام ؟

يونندالو : لقد وصل بتروسيو، وعلى رأسه قيمة جديدة، وهو يلبس سترة قيمة وسروالاً رثاً مقلوباً ثلاث مرات، وجزمة كانت سابقاً كيس شمع، فردة منها بأزوار وفردة سير، وفي وسطه خنجر أكل اللحم عليه وشرب وقد ذهب بحلده الصلأ، مأخوذ من مستودع أسلحة البلدية، قبضته مخلوطة، ولحمده ضائع، ومهمازه محطم وحصاته مشلود عليه سرج عتيق عفن، زمانه موصل، وهو فوق ذلك مريض محدودب الظهر كالجمال، هزيل الجفء محدش الجلد

مشوه الشفتين، أصغر اللون، زالق البصر، مقوس القوام، مكسور الشكيمة،
الخ، الخ...

باتيسا : ومن يرافقه ؟

يونداو : خادمه، وهو على شاكلة حصانه، في رجله الواحدة جراب من قطن
وفي رجله الأخرى جراب من صوف خشن مشدود يخط خليف أحمر
وأزرق، وعلى رأسه قبعة بالية، لها بدل الريشة باقة من الزهور الدابلة كأنه في
لباسه القبيح مسح لا يشبه أبداً أي وصيف في خدمة الأعيان.

توانيو : لا بد من أن يكون ذوقه الفاسد قد ألوحى إليه هذا الهندام الذري،
وهو الذي لا يرتدي على الدوام إلا مثل هذه الأكبسة المهلهلة.

باتيسا : أنا سعيد بأن يكون قد أتى لابساً هذه الثياب السمجة.

يونداو : لكنه، يا سيدي، لم يصل بعد.

باتيسا : ألم تقل أنه خادم ؟

يونداو : نـن ؟ بتروسيو ؟

باتيسا : نعم، بتروسيو.

يونداو : كلا، يا سيدي. لقد قلت ان حصانه آت وهو على ظهره.

باتيسا : الأمر واحد في الحالتين.

يونداو : كلا، أراهن على أن الرجل وحصانه اثنان لا واحد، ولا ثالث لهما.

(يصل بتروسيو وكريسيو كلاهما مرتدين كما وصفهما يونداو)

بتروسيو : قل لي، أين الشبان ؟ ومن الذي بقي في المنزل ؟

باتيسا : أهلاً بك يا سيدي.

بتروسيو : اني أستطيع أن أرتدي ثياباً أفضل من هذه.

باتيسا : أنا لا أرى فيك أي مظهر غريب.

توانيو : انما لست متأنقاً، كما كنت أنصو وأتمنى.

بتروسيو : كان علينا أن نستعجل الوصول في الوقت الميعن. ولكن أين

كاثرينا ؟ أين خطيبي الحبية ؟ وكيف حال والدها عمي ؟ اني ألاحظ على

وجوهكم، يا سادة، مسحة من الكآبة، لماذا كل هذا الجمع واجم كما لو

كان في ماتم، أو أمام مشهد مفضل، أو أحد الكواكب المذكية : أ. أحدى
الجانب المظلمة.

باتيسا : يا سيدي أنت تعلم أن اليوم هو موعد عرسك. أولاً نأسف
لأنك، وكنا نخشى أن لا تأتي، وما نحن أكثر حزناً لمشاهدتك كثيراً. ثانياً
لك. انتزع عنك هذه الألبسة الممثلة نظراً إلى مستواك ودورك في فرحتنا
المرفقة.

توايو : وما هو السبب الوجيه الذي أبداك هكذا بعيداً طوال هذه المدة عن
عرسك وجعلك تعمل البنا في ثياب رثة غير التي عهدناها فيك ؟
بروسيو : حجي يصحب علي ثيابها، ويسوءك سمعها. يكفي الآن أن ترى
أنني جفت لأني بوعدي رغم بعض المرافيل القادرة التي سأكشفها لك في
ظروف أكثر ملائمة، وستعطيني عليها لأنها مفضلة. ولكن أين كاترينا ؟ لقد
مضى زمن طويل وأنا بعيد عنها. ها قد انقضى قبل الظهر، وعليها أن تكون هذه
الساعة في الحفلة.

توايو : لا تدع خطيئتك تشاهدك في هذه الثياب غير اللائقة. امض إلى غرضي
وارتد بعض ملابس.

بروسيو : لن أقبل ذلك. صدفوني أنني أريد أن أراها وأنا هكذا.

باتيسا : غير اني لا أعتقد بأنك تريد أن تتزوج بهذه الأسماك البالية.

بروسيو : إذا تم القران، أكون من أسعد السعداء. والآن لوقف نقاشنا عند
هذا الحد. هي مستفترن بشخصي لا بشبابي. ولو تمكنت من تعويض ما ستهربه
فمي بمنزل سهولة تغير ملابس الحفلة، فإن لونهاج كاترينا يجعلني أكثر انجهاجاً
منها، ولكن أي بهلول أنا لأثرر معكم، بينما يتوجب علي أولاً أن أسلم على
خطيئتي، وأن أكنى لها نهراً سعيداً، ثم لأطد علاقتي بها بقبلة حارة.
(يخرج بروسيو وكريسيو ويوندلو).

توايو : ان له غاية من يقاله بهذه الثقافة المقتنعة. فلنحاول اقتناعه ان أمكن،
بأن يستبدل ثيابه بما يناسب الموقف ويلعب إلى حفلة زواجه.

باتيسا : سأبته لأرى نهاية المهزلة.

(يخرج)

تواهب (للوستيو) : ولكن، يا سيدي، يعني أن أضوف إلى حب يانكا رضى أبيها. وللحصول عليها، كما أخبرت سيادتك، سأكلف رجلاً، كاتباً من كان، لا يهم، لأتني سألقنه ما يجب أن يقول، ليتحل شخصية فمستيو القادم من يزا إلى مدينتنا بادوا، ويتمهد بتقديم مبلغ أضعف من التي وعد بها، وهكذا ستمتع بالسعادة المنشودة وستزوج يانكا الفاتنة بموافقة والدها.

لويستيو : لو لم يكن رفيقي الأستاذ يراقب عن كثب خطوات يانكا لفضّلت أن أتزوج سرّاً. وأمام الأمر الواقع، لو قاومني العالم برمته سأحفظ بكفري الفائي رغم ألف الناس أجمعين.

تواهب : سأحاول أن أصل إلى غابتي رويداً رويداً، وسأغتم الفرصة المناسبة لتحقيق أمنيّتي. فلي أن أحتاط لالأعيب المخافئ جيراميو والوالد الرقيب مينولا وهذا الموسيقى البارع والمعاشق ليسو، كل ذلك لتأمين مصلحة معلمي لويستيو.

(يدخل كريمر)

تواهب : يا سنيور جيراميو، هل تريد أن تأتي إلى الحفلة ؟

جيراميو : أجل وبكل سرور كما كنت أفعل أيام تهرمي من المدرسة.

تواهب : هل عاد المريس والعروس ؟

جيراميو : أنت تسمأل عن المريس الذي أحضره أنا رجلاً غريباً غشّس الطباع. والذي ستختبره المسكينة بعد فوات الأول.

تواهب : هل هو يثير الأعصاب مثلها ؟ هذا مستحيل !

جيراميو : هو شيطان رجيم، بل إبليس لعين.

تواهب : وهي امرأة غيبنة مأكرة لا مثيل لها بين ربّات الكيد والخداع.

جيراميو : هي ليست في الحقيقة سوى نمجة وديعة بلهاء بالنسبة إليه. سيبرّن لك ذلك لويستيو عندما يحضر كاتب العقد ويسألك عما إذا كنت فعلاً تريد كاترينا زوجة لك. فهوالمك بهم سيدهشه ويتركه مشدوهاً فيسقط العقد من يده على الأرض، وعندما ينحني ليلّمه سيسقط هو بدوره، فيأدر المدحورون إلى رفهما معاً منعاً للتشاؤوم من هذا الزواج العجيب.

تواهب : وماذا تقول للمسكينة حين ينهض كاتب العقد ؟

جيراميو : مترجف وترتعش بينما هو يضرب الأرض برجله ويشتبه كما لو أراد عائد القران أن يسحره. أخيراً بعد مراسم عديدة يشرب نخب الحاضرين كأنه نجا من كلولة جسيمة. ثم يطرق العروس بذراعيه ويطلع على ثعرا فلة صاخبة تردد صداها جدران القاعة، وحالما تملين ذلك تهرب خجلاً، وأنا على يقين بأن الموكب سيخفي إذ لن يشاهد أحد زواجاً بهذا مثل هذا، ثم تمزق موسيقى اللوداع.

(توف شوسبي وبيل بروبر وكاترينا وبانكا وبانكا
وموريسو وكريمو وجيم السحري)

جروسو : سادتي وخلائي، أشكركم على ما تجسمتموه بحضوركم من عطاء. أنا أعلم بأنكم تنتظرون أن تمتشوا اليوم معي، وإتكم تمون أنفسكم بما كل لذيلة في هذا العرس، ولكن أعمالي المستعجلة مع الأسف، تدعوني بعيداً عن هذا المكان. لذلك استأذنكم بالذهاب.

بانكا : هل يجوز أن ترحل عنا هذا المساء ؟

جروسو : عليّ أن أغادركم قبل حلول الظلام، ولن تستفروا أبداً حجتي متى اطلعنم عليها، بل سترجوني أن أمضي بدلاً من أن أبقى فيما بينكم. أشكركم على رفقكم المشرفة، وعلى حضوركم حفلة لقراني بامرأة أعتبرها الأمل والأفضل بين جميع النساء. تناولوا المشاء مع والدها عني، واشربوا نخب، والآن عليّ أن أذهب، فالوداع إذأ.

ترانيو : أتوسل إليك أن تسكت معنا إلى ما بعد المشاء.

جروسو : هذا مستحيل.

جيراميو : وأنا أتوسل إليك.

جروسو : هذا مستحيل.

كاترينا : وأنا أيضاً أتوسل إليك.

جروسو : بكل مسونة أود أن ألبى طلبك.

كاترينا : أكرر توسلي إليك أن تبقى.

جروسو : لا أبهج عندي من قبول توسلك، إنما قررت أن لا أبقى حتى إن

توسلت إلي بكل ما لديك من قوة إلحاح.

كاثريتا : ان كنت حقاً محبتي، لا ترد طلبي.

بتروسيو : جبرلمو، هيء لي جوادي.

كريميو : أترك مطاع، يا سيدي. هو جلعز. وقد أكل شعيره.

كاثريتا : تصرف أنت كما تشاء. أما أنا فلن أرسل اليوم معك، ولا غداً ولا قبل أن يشتهي خاطري. الباب مفتوح أمامك يا سيدي. وهذا طريقك منضج قدامك ويسكنك أن تنهب الأرض نهياً ما دامت جرمك متينة. أكرر عليك أنني لن أذهب قبل أن أشاء أنا الذهاب. يبدو لي أنك ستكون رجلاً عتيداً، ولست ذلك في تمسكك بهذا الرغض المتعنت.

بتروسيو : هدني روعك يا كاثي. أوجرك أن لا تحققي.

كاثريتا : أنا حاققة. فماذا يسلك أن تفعل ؟ كن عادلاً يا أبي، واعلمن إلى أنه سينى هنا إلى ما أشاء أنا.

جيرامو (لباتستا الذي يشير إليه بتروسيو) : لعمري، ها هو قد بدأ يستسلم. كاثريتا : يا سادة، تعالوا تنتقل إلى وليمة العرس. أعتقد أن المرأة تميل إلى الانهيار إذا لم يشجعها أحد على المقاومة.

بتروسيو : هؤلاء الأفاضل يصبون إلى العشاء كما طلب منهم، يا كاثريتا. أطعموا العروس جميعكم أيها السائرون في موكبها. اذهبوا إلى المأدبة وامرحوا واكلوا واشربوا نخب عفتها، وإلا امضوا إلى الجحيم. أما كاثي صديقتي الحبيبة فسرافقتني. (لكاثريتا) ها اعلمي عنك هذا المظهر الكبير، ولا تنهبي ولا تأثري، أنا لؤيد أن أكون سيد المرأة التي تخصني، فكاثريتا هي ملكي وستقاد إلي صاغرة. هي بيتي وأثلاثي وحظي وأهراي وحصاني وثوري وحماري وكل كيان. (يتنفض خنجراً) وهذا سلاح من يحرز على الرقوف في وجهي ؟ سأضع كل من يجسر على اعتراض سيدي في حلقه. ها في يادوا يا كريميو، عليك أن تقبدا وتضج لنا الطربز، لأن اللصوص يطوقتنا، انقذ سيدتك ان كنت رجلاً، وأنت يا ملاكي لا نخشى مكروهاً. فلن يمسك أحدًا بسوء، يا حبيبتى كاثريتا، سأكون دمعك الوالي وإن جابهنا الكرف المعتدين. (يخرج بتروسيو مصطحباً كاثريتا وبثبعهما كريميو).

باتستا : ها، دعوا هذين العروسين السالمين وشأنهما.

جيراميو : لو لم يادر الى الذهاب، لأغربت في الضحك.
 ترائيو : بين جميع الزوجات المتهورة لم أُر لهذا الزواج من شبيه.
 لوستيو (لبياتكا) : يا سيدتي، ما رأيك بشقيقتك ؟
 بياتكا : هي متهوسة، وانسجمت مع مخبول نظرها.
 جيراميو : أما لؤكد ذلك. ها هوذا بروسو خطيب كاترينا.
 باتيسا : يا جيراني وعملاني الأفاضل، إذا كان المروسان سيتركان فراغاً فيما
 بيننا على المائدة، فاعلموا أن المآكل اللذيذة لن نقب عنها في هذه المائدة.
 لوستيو، اجلس مكان العريس، وأنت يا بياتكا اجلسي مكان أختك المروس.
 ترائيو : مستغرب الفاتنة بياتكا إذا أن تصير عروساً.
 باتيسا : هذا بديهي، يا لوستيو. ها بنا نمضي، يا سادة.

(بترجون).

الفصل الرابع

المشهد الأول

في منزل بتروسيو

(يدخل كريسو)

كريسو : يا لجميع المشاكسات المتعبات ولجميع المستبدين المزعجين، هل من رجل بلده تميل بضيق الناس أكثر مني ؟ أنا أتقدمهم لأشعل النار كي يبعثوا ويعدوا، فلو لم أكن حقيراً تافهاً لتجلدت شفتاي على ممي ولجفت لساني في حلقتي ولجمد قلبي بين ضلوعي قبل أن تتأجج النار في أحشائي لتذيب جليدي، غير أنني سأندفأ وأنا أنفخ النار، ففي هذه الأيام، لا يسجو أقوى جبار من البرد والركام، أليس كذلك يا كريس ؟

(يدخل كريس)

كريس : من ياديني بهذا الصوت المرتطم ؟
كريسو : قطعة جليد، وإذا شككت بالأمر بمحكك أن تلمس يدي وجيني، فأني أرتجف برداً من رأسي إلى أخمص قدمي، صجل وأنتي بالنار يا كريس.

كريس : هل سأنتي معلمي وروجه، يا كريسو ؟
كريسو : أجل، يا كريس. إني بالبار، وإياك أن تجلبها بالرماد.

كرتيس : هل هي متأججة كما أشتهي
كريميو : كان ذلك، يا كرتيس الكريم، قبل هذا الصقيع، ولكنك تعلم أن
الشتاء يروم الرجال والنساء والحيوانات والأشياء معاً، وقد روض حتى
معلمي ومعلمتي الجديدة وروضني أنا أيضاً يا صاحبي كرتيس.
كرتيس : إذهب إلى الجحيم أيها المسخ الذي لا يتمدى طوله ثلاث بوصات
أنا لست حيواناً.

كريميو : أنا مسح طوله ثلاث بوصات ؟ ثباً لقروئك التي يفوق طولها القدم.
أنا على الأقل أطول منها. هل تريد أن تشعل لنا النار ؟ إن لم تمثّل شكوكك
إلى معلمتك، فهصيك من قساوتها ما نستحقه من عقاب ولا سيما إذا تهاطأت
في إنجاز المطلوب منك.

كرتيس : أرجوك يا كريميو العزيز أن تخبرني بما يقوله الناس عني.
كريميو : هم لا يبالون بك، يا كرتيس، مهما كانت مشاطتك، عليك إذاً أن
تتسم واجباتك لتصل إلى مبتغاك، فمعلمي ومعلمتي يوشكان أن يموتا من
البرد.

كرتيس : ها هي النار متأججة فليدفاً. أرجوك يا كريميو أن تزودني بالأخبار.
كريميو : لذي منها ما تشاء.

كرتيس : أنت تحب دائماً أن تصلى بحكايات الناس.
كريميو : كلا، لم يظني سوى البرد القارس. إلي بالنار إذاً. أين الطاهي ؟ هل
المناء جاهز في المنزل المزيّن بالأزهار والأشرطة والنجوم المتدلية
كالعناكب ؟ هل ارتدى المدعوون ملابسهم الجديدة وجواربهم البيضاء ؟
وهل ليس أمل العروسين حلل العرس ؟ وهل اكتملت جميع الترتيبات على ما
برام ؟ وهل فرش السجاد وصفت ألواني المائدة ؟

كرتيس : أجل كل شيء جاهز، فأرجوك أن تطلعي على ما وراءك من أخبار.
كريميو : أولاً، أعلم أن حصاني منهوك القوى، وأن معلمي ومعلمتي قد سقطا
أرضاً.

كرتيس : كيف ؟

كريميو : من على السرج إلى الوحل، هذه قصة طويلة.

كوتيس : لروها لي يا كريمو الطيب.

كريمو : قُرب أذنك.

كوتيس : ها هي.

كريمو (وهو يصفه) : خذ.

كوتيس : هذا شعور بالقصة لا سماعها.

كريمو : هذه الطريقة تجعل القصة محسوسة، والصفحة ليس إلا وسيلة لاجتفاف أذنك وحملك على الإصغاء والآن أبدأ : لقد نزلنا على منحدر هائل، ولما كان مطمي على ظهر الحصان نطف مطمي.

كوتيس : كلاهما على جواد واحد ؟

كريمو : وما ضرر ذلك ؟

كوتيس : هذا يرهق الحصان.

كريمو : إذا أتابع لك القصة : لو لم تقاطعني لكنت علمت بأن الجواد سقط وأضحت هي تحت الحصان، وتلوث بالوحل، ولكنت علمت بأنها اتسمعت بكاملها وإنه تركها تحت الجواد، وإنه ضربني لأن الحصان تحرك، وإنها تبخبط في الوحل لإنقاذ نفسها وإنها شمت، وإنها صلت، هي التي لم تعرف الابتهاال في حياتها، وإنها صرخت، وإن الزمام الذي تسمكت به انقطع وإنها قدت توازنها... وألف تفصيل آخر يستحق للذكر، وإنها ستبني هي هوة السيان بينما أنت سيصتك القبر بكل جهلك الفاضح.

كوتيس : نعم، وهذا ما ستعترف به أنت، عندما يمرد مطمي لأنه أشجع من فيكم، ولكن ما تقع قلبي هذا لك ؟ استدع فتنايل ويوسف ونقولا وفيليب ووالتر ويسكي وجميع الباقين هنا لتطوف خيولهم ونياهم الزرقاء أيضاً، وكل حبال جواربهم وبزائهم لينحنوا احتراماً، وليركعوا على ركبعتهم اليسرى ويحترسوا من لمس شعرة واحدة من ذيل جواد مطمي، قبل أن يقللوا يده هل هم جاهزون ؟

كوتيس : بأجمعهم.

كريمو : استمعهم فوراً إذا.

كوتيس (ينادي) : يا جماعة ! هل تسمعون ؟ يجب عليكم كلكم أن تذهبوا

الى ملاقاته معلني، وتسلموا على معلني.
 كريميو : ملاقاتها ؟ هي قادرة على المجيء وحدها.
 كوتيس : ومن ينكر ذلك ؟
 كريميو : أنت، على ما يظهر، تدعو الجماعة إلى استقبالها والسلام عليها.
 كوتيس : أنا أدعو الى تقديم الاحترام اللائق بسيديتي.
 كريميو : الاحترام ؟ وهل فقدته حتى وجب تقديمه لها ؟
 (يدخل عدة وضاء)

نتابل : أهلاً وسهلاً بك يا كريميو.
 فيليب : كيف حال كريميو ؟
 يوسف : ما بك يا كريميو ؟
 نقولا : يا رفيقي كريميو !
 نتابل : كيف حالك يا صديقي القديم ؟
 كريميو : أهلاً بك، كيف حالك ؟ أراك هنا، يا صاح. لقد وُت الأيام المظوة
 السميدة. والآن يا شجعان، هل كل شيء جاهز ؟ وهل كل شيء أصبح نظيفاً ؟
 نتابل : كل شيء جاهز، إلى أين وصل معلنا ؟
 كريميو : هو على بعد خطواتين، وقد نزل عن جواده. لا داعي لتقلقكم عليه،
 فإني أسمع صوته يقترب.

(يدخل بروسو ويصيح كلارنا)
 بروسو : أين هؤلاء الأحياء ؟ ماذا أرى ؟ لا أحد على الباب يسلك بركابي
 ويأخذ جوادي ؟ أين نتابل وكريكوار وفيليب ؟
 جميع الوضاء : نحن هنا يا سيدي، نحن هنا.
 بروسو : وأنا هنا يا سيدي، أنا أيضاً هنا. يا رؤوس المحطبة، يا ساسة الخيل
 المعنوية، أين أنتم ؟ لا أجد الخدمة مؤمنة هنا. لا اهتمام ولا احترام. أين المني
 المسخيف الذي أرسلته أنا لاستقبالي ؟
 كريميو : ها أنا ذا يا سيدي، غيبي بقدر ما أنا مسرع لاستقبالك.
 بروسو : منافق، ابن عاهرة، بخل عجوز. ألم أقل لك أن تأتي لمقابلتي في
 الحديقة وأن تصحب هؤلاء الدجالين.

كريميو : يا سيدي، إن رداء نتايل لم يكن جاهزاً تماماً، وحذاء جيرابيل كان مفتوحاً عند الكعبه ولم يكن أي مشعل موقداً حتى نسود قبة بطرس، وخنجر واثر بدون غمد، لم يكن مستعداً سوى آدم ووالف وكرىكوار، أما الباقون فكانوا في ثيابهم الرثة المشطه البالية، ولكنهم مع ذلك جازوا كما هم للشول بين يديك.

بروسيو : اذهب يا غيث، اذهب واجلب لي النعشاء (يخرج بعض الوصفاء).

(يضي)

أين عمري الذي ضيعة ؟

أين الأصحاب ؟ .. احسلي يا كاترينا. أهلاً وسهلاً بك (يجلس) أف أف. (يعود الوصفاء حاملين النعشاء) عجلوا، يا كاتي الكريمة البطوة، افرحي. يا نتايل اخلع جزمتي من رجلي. عجل يا غيث.

(يضي)

كان المتشول في ثياب رمادية ينتزه على الطريق (يمد فردة جزمته إلى وصيف ليخلعها) إلى الحميم يا مغفل. لقد فعلت لي قنمي. نخذ (يضربه) ونعلم أن نشد الثانية بطريقة أريج. افرحي يا كاتي. إليّ بجرعة ماء. أين كليي ثروليس ؟ أسرع إليها البلد وفل لابن عمي فردينان أن يوافيني إلى هنا. (يخرج وصيف). يا كاتي، يجب أن تمنأقي هذا الشخص وتعرفني من هو. أن تخفي ؟ هل سحضر الماء ؟ (يقدم له طست). هيا يا كاتي احسلي يدك. أهلاً بك في دارني، حيث استقبلك بكل فرح وسرور (يضرب وصيفاً رمى الابريق) كيف تفعل هنا يا شقي، يا ابن العاهرة، كيف تسقطه ؟.

كاترينا : أرجوك أن تصبر قليلاً عليه. هذه خلطة حير مقصودة.

بروسيو : ابن الزانية، رأس الحطاب، حمار طويل الفنب والأذنين. تعالي يا كاتي اجلسي. أنا أعرف أن شهيتك للأكل ممتازة. (يجلسان إلى المائدة) هل تريدان أن تلي صلاة الشكر يا كاتي لو أتلوها أنا ؟ ما هذا ؟ هل هو لحم غنم ؟

الوصيف الأول : أجل يا سيدي.

بروسيو : من جاء به ؟

الوصيف الأول : أنا.

بروسيو : هو محروق مثل سائر لحومك السابقة، يا كلب، أين الطاهي القذر ؟ كيف تجاسرت على الاتيان بهذا وتقدمه لي، وأنا لا أحبه ؟ هيا، عذ هذا الصحن من أمامي مع الأقداح وسائر ما بقي (يقذف إلى أرض المسرح كل ما هو موجود على المائدة) تباً لك من جلف غشاش دجال، وفوق ذلك تضحك. سأقول بك أشد العقاب بدون امهال.

كاترينا : أرجوك يا زوجي العزيز أن لا تفعل هكذا، لقد كان اللحم جيداً لو رضيت به.

بروسيو : تؤكد لك يا كاترينا أنه محروق وناشف ومحرم عليّ أن أتناول أي طعام مثله، لأنه يولد الفصص ويحث على التئور. وبما أننا في طيختنا كلانا سرهما التأثير فالأجدر بنا أن نظل صامتين وأن لا نأكل لحماً محروقاً. ألا اصبري، فغداً يتحسن وضعنا، وهذا المساء ستمضي مع الجماعة، ثمالي لوصولك إلى غرفتنا في أول ليلة زفافنا (يخرج بروسيو وتبعها كاترينا ثم كريس).

فنايل (يتقدم) : حل رأيت يا بطرس شيئاً مماثلاً لما يجري هنا ؟
بطرس : لقد تناولها بدعائه المسجدة.

(يعود كريس)

كريس : أين هو.

كريس : في غرفة سيدتي، وهو يعرفها بالأرصاد والانتاع، وسب وبشتيم ويصرخ. وهي المسكينة لا تدري كيف تتصرف حياله ولا تكلمه من شدة وجوعها وكأنها أغفلت من حلم غريب. هيا بنا مخرج، فما هو قادم.

بروسيو (وحده) : هكذا بدأت حكمي بسياسة حازمة، وأملّي أن أصل إلى مبتغاي. ما هو ذا صغري قد أثاره الحرمان، وإلى أن يتم ترويضه، لا أرغب في اشيائه، لأن المظاهر عندئذ لن تخدعه، لدي طريقة أخرى للسيطرة على طائري المتوحش ولتعويده على الرجوع إليّ والتعرف إلى صوتي، أنا صاحبه. سأبقيه متيقظاً وسأعامله معاملة المعتمد الذي يأبى أن يطبخ. هي لم تأكل شيئاً

ولن تأكل اليوم. في الليلة السابقة لم تنم ولن تنام هذه الليلة أيضاً، كذلك عند
المساء سأجد علة وهمية لطريقة ترتيب السرير، وسأرمي بالوسادة من هنا
وبالحناف والشرشف من هناك. وفي وسط هذه النوصى سأدعي بأن أفعل كل
ذلك لأجل راحتها، بالتهيجة، ستظل طوال الليل ساهرة، وإن أغصت جفنها
مأثمت وسأطالب وسأدعها ساهرة بما أطلقه من انتقادات واعتراضات، هكذا
أنهك أعصاب المرأة بمظاهر الحنو، وهكذا أخضع عقولها وتمردوا وعنادها،
ومن يعرف طرقاً غيرها للإذلال والاستبداد فليصجل ويدلي عليها، فسيدي
إني لولي معروف. (يخرج)

المشهد الثاني

في بادوا — وسط حديقة مجاورة لمنزل بايستا

(يدخل نزيه وهورسيو)

نزيه : هل من الممكن يا صديقي لسيو أن تميل بيانكا إلى لوستيو آخر ؟
أكرر عليك يا سيدي أنها تشجني على هذا التصرف بأنجع الطرق.
هورسيو : لزيادة اقتناعك بما أقول، قف جانباً وراقب كيف يلقي عليها
لوستيو درسه.

(تدخل بيانكا ووجهها لوستيو)

لوستيو : استغدي من مطالعاتك يا سيدي إلى أقصى حد.
بيانكا : وأنت يا معلمي ماذا تقرأ ؟ أجبتني أولاً على سؤالتي هذا.
لوستيو : أنا أقرأ ما تخصصت به وهو فن الحب.
بيانكا : هل يسعك يا سيدي أن تكون أستاذاً في ذلك ؟
لوستيو : ما دمت تقبلين بأن تكوني مالكة قلبي، يا صديقتي الحلوة.

(يعلنان مأ وما يعلنان)

هورتسيو : ما هذه المشية البطيئة ؟ أوجول أن تقول لي ما هو رأيك أنت الذي لا تردد في التأكيد بأن مملكتك يانكا لا تحبّ تسلناً في العالم كما تحب لوستيو.

ترانيو : ما أشد غيبتك أيها العاشق المتقلب ! إني أعلن لك يا لسيو أن تصرفك مدهش للغاية.

هورتسيو : كف عن غطاع نفسك، أنا لست لسيو، ولا موسيقي كما توحي به هيتي، وأكره أن أحمي طويلاً بهذا السكر لأجل مخلوق يتحل شخصية أحد الأعبان هنا، ويخذ له زميلاً نظير هذا المخادع. اعلم يا سيدي ان اسمي هورتسيو.

ترانيو : سيور هورتسيو، كثيراً ما سمعت الناس يتكلمون عن موثقتك الصديقة ليانكا، وما ألي وأنت بحسن نيتك، أريد بموافقتك أن أنقل عن يانكا وعن حبها إلى الأبد.

هورتسيو : انظر إليهما، ولاحظ قبلاتهما وهماهما يا سيور لوستيو، أني أرفع يدي وأقسم وأتعهد بكل تأكيد أن أكف عن مفارقتها وأن أبذلها لأنها لا تستحق الاعتبار الذي أبديته نحوها حتى الآن.

ترانيو : وأنا نظيرك، أقسم بدون تحفظ بأن لا أتزوجها، ولو توسلت هي إلي، تباً لها من عبيدة شرسة، أنظر أي ميل شهواني تكن له.

هورتسيو : أريد أن يعادبها كل الناس ما عداه لما أنا، فلكي أكون أكثر ثقة بوفائي لقسمي سأزوج قبل مضي ثلاثة أيام أرملة ثرية، أجل أرملة ثرية لم تنقطع عن حيي طوال مدة تعلقي بهذه المتجعبة المشامخة المتدلية، وعلى هذا، أودعك يا سيور لوستيو، فإن حنان المرأة لا جمالها هو الذي يستأثر بعواطفني، أستاذنكم بالذهاب لأنني مصمم على تنفيذ ما تعهدت بتحقيقه. (يخرج هورتسيو).

(يعود لوستيو بصحبة يانكا إلى خدمة اللرج).

ترانيو : يا سيدتي يانكا، أسأل الله أن يمن عليك بكل الهاء الذي يحماء

المحبون الصالحون لقد طاجأتك أثناء قبلتلك يا صديقتي اللطيفة، أنا وهورستيو لم يعد لنا أية رغبة فبك.

يانكا : أنت تمزح يا ترانيو، أحقاً لم يعد لأي منكما رغبة في ؟
ترانيو : نعم يا سيدتي.

لوسيو : ها نحن قد تخلصنا من ليسو.

ترانيو : أجل. لعمري، أنه يموي الاقتران بأرملة ضبة غارلها ليتزوجها في نفس اليوم.

يانكا : أسعد الله.

ترانيو : وهو واثق بأنه سيتمكن من تزويجها.

يانكا : هذا ما يأخذه يا ترانيو.

ترانيو : أقسم بشرفي، أنه أستاذ في مدرسة المرأة المسبدة التي أخضعها.

يانكا : ماذا تقول ؟ هل هناك مدرسة تعلم التزويج ؟

ترانيو : أجل يا سيدتي، وهورستيو هو الأستاذ الذي يعلم شتى الحيل لتزويج مثل هذه الشرمة وللجم ثلثة نظيرها.

(يصل يوندالو راكضاً وأحد لوستيو حياً)

يوندالو : يا سيدتي، لقد راقت طويلاً حتى نعت، ورأيت أخيراً من الثلثة عجوراً محتكاً وهو مستعد للقيام بالدور المرغوب.

ترانيو : من هو يا يوندالو ؟

يوندالو : لست أدري، يا معلمي، ان كان تاجراً أو مريباً، خير أن هندامه ونحفظه ومشيتة تخلع عليه وفار الأبوة.

لوسيو : وماذا أيضاً يا ترانيو ؟

ترانيو : انه أهل للثقة ويؤمن لنا بالعمل مجاح عظمنا تجله باتيسا ميولا، كما لو كان غنستير الأصل بداته. خذ حبيبتك والتركبي وحدي (يهرح لوستيو مع يانكا).

(يدخل لوستيو)

المربي : حفظك الله يا سيدتي.

ترائيو : وأنت أيضاً، يا سيدي. أهلاً بك. هل ينتهي سفرك هنا أم أنك واصل إلى مكان أبعد ؟

المصري : سري يتوقف هنا مدة أسبوع أو أسبوعين، ثم أواصل رحلتي إلى مكان أبعد، لأني ذاهب إلى روما ومن هناك إلى طرابلس إذا أُمحاني الله.
ترائيو : أرجوك أن تخبرني من أية مدينة أنت ؟
المصري : من متروا.

ترائيو : أنت من متروا، يا سيدي ؟ هناك الله من السكوت في بادوا، أولاً تخشى على حياتك ؟
المصري : لماذا أتحش على حياتي، يا سيدي أرجوك أن تتورني لأن هذه مسألة جدية.

ترائيو : الموت يترص بكل شخص من مكان ماخو، أولاً تدري ما هو السبب ؟ ان الحظر مفروض على كل سفنهم في البندقية. وأمرنا، بسبب مشادة فردية بينه وبين أمركم، قد نشر خبر هذه المشكلة في كل مكان. هذا أمر مقلق، ولو جئت قبل الآن بقليل، للست حول الخطر المحدث بك.
المصري : يؤسفني يا سيدي، وعزوني أن أحضر لتندم أوراقي المهولة من فلورنسا إلى هنا.

ترائيو : يا سيدي، في سبيل خدمتك، سأقدم لك نصيحة لوجه الله، لكن قل لي أولاً، هل ذهبت إلى ييزا قبل الآن ؟
المصري : نعم، يا سيدي، ذهبت عدة مرات إلى ييزا المشهورة بخطورة مواطنيها.

ترائيو : هل تعرف منهم أحداً اسمه فستيو ؟
المصري : أنا لا أعرفه، إنما سمعت بأنه تاجر يملك ثروة ضخمة لا تحيل لها.
ترائيو : هو أي، يا سيدي، وفي الحقيقة، كم وجهاً كما يتشابهان ؟
يوندالو (على حدة) : تماماً كما نشبه التفاحة صلبة المحار.

ترائيو : فلإنقاذ حياتك في هذه الظروف العصية أنا مستعد لأن أسدي إليك معروفاً. ففكر كم حظك سعيد في شيهك بفستيو. ستتخذ اسمه وتعرف نفسك كأنك هو، وستحل ضيفاً علي كصديق عزيز، واجتهد أن تقوم بدورك

على أكمل وجه. هل فهمت ما اقترحه عليه يا سيدي ؟ ستبقى عندي الى أن تنهي أشغالك في المدينة. أرجو أن تقبل هذا العرض الذي أمل أن يوافقك. المرنى : بكل طيبة خاطر، وسأعبرك على الدوام منقد حياتي وأدين لك بحررتي.

فرائير : فعال إذا معي لتنفيذ المهمة. بالناسبة، أعلمك بأن أبي ينتظر كل يوم هاء، ليؤمن لي بموجب عقد قتلوني، ميراثاً سأعده لآلة باتيسا التي سأزوجها. ولأجل كل هذه الاعتبارات سأشرح لك مشكلتي. فعال معي، يا سيدي، لأبسطك الغياب التي تليق بالمقام (يخرجان).

المشهد الثالث

عند بروسو

(تدخل كاترينا مع كريمير)

كريمير : كلا، كلا. مي الحقيقة أنا لن أجسر على ذلك طوال حياتي. كاترينا : ان قصته عليّ تظهر بجلالة لدى كل بادرة تصدر عنه، فهل تزوجني ليدعني أموت جوعاً ؟ لم يكن عليّ التسولين الذين يطرقون باب أبي إلا أن يطلبوا الإحسان لكي يحصلوا عليه فوراً بسخاء، وإذ سُع عنهم، فإنهم يجدونه حياء عند سواه. أما أنا فلم أعرف أبداً كيف أتوصل، فأنا جائعة بسبب فقدان الطعام، وأكاد أنهار من شدة نعي واعتفاري الى النوم. لقد ظللت ساهرة على صوت الشقام، وختاماً أهالي الصخب، وما يهبطني أكثر، هو حرمان من الراحة أيضاً، وهذا كله يتم باسم الحب والإخلاص، إذ يعتقد بروسو، حسب ادعائه، بأن كثرة النوم والطعام تسبب أمراضاً فتاكة تفصي إلى الموت العاجل. أرجو أن تجلب لي أي طعام لأسد به جوعي، بشرط أن يكون صالحاً ومفيداً.

كريميو : ما رأيك بفخذ عجل ؟
كاترينا : انه لذيذ. أرجوك أن تأتيني به عاجلاً.
كريميو : أحشى أن يكون لحمه عسير الهضم، فما رأيك بشريحة خشم مشوية جيداً.

كاترينا : اني أحبها كثيراً يا كريميو. فاذهب واجلبها لي بدون تأخير.
كريميو : أنا لا أعرف ان كانت هذه الشريحة طرية، وأحشى أن تضايئك فما رأيك بشريحة بقر عليها قليل من الخردل ؟

كاترينا : هذا طعام شهوي قوّة الحصول عليه سريعاً.
كريميو : ولكن الخردل من التوابل الحامية جداً.

كاترينا : طيب. اجلب لي شريحة البقر بدون خردل.
كريميو : لا، أنا لا أستطيع تقديمها ممّا، سأجلب لك الخردل بدون شريحة.
كاترينا : هيا، اجلب أي طعام تريده، المهم أن تسرع.
كريميو : حسن، سأتيك بالخردل بدون لحم.

كاترينا (تضرّبه) : اقرب من وجهي يا لعين، هل تسخر مني ؟ أنت تريد أن تشبعني بذكر أسعاه الطعام فقط، تبا لك من عبيث متافق، وبمس مصيبي بك.
هيا اقرب من وجهي يا عنوان النؤم.

(يدخل بروسو حاملاً صحناً من اللحم همه هورتنسر)

بروسو : كيف حال عزيزتي كاترينا ؟ كيف حال فانتني الجمّابة.

هورتنسر : كيف حالك اليوم، يا سيفتي ؟

كاترينا : على أسوأ حال.

بروسو : هودي الى رجليك، وانظري إليّ باجهاج، وثقي بأنني أهتم بصالحك، وأني أمد لك طعامك وسأجلبه لك فوراً (يضع صحناً على المائدة)، واعتقد بأن اخلاصي هذا لك يستحق شكرك يا كاترينا. على ما أرى أنت لا تقدرين ذلك، وأن سمي في هذا السيل يضع سدى (لوصيف) هيا غدا هذا الصحن.

كاترينا : أرجوك أن تبقيه.

جروسو : ان أية خدمة مهما كانت زهيدة تستحق الشكر طبعاً. فليك إذا أن
تشكريني قبل أن تلسي هذا الصبح.
كاترينا : أشكرك يا سيدي. (تجلس إلى المائدة ويظل جروسو واقفاً).
هورتيسيو (يجلس أمام كاترينا) : سنور جروسو، أنا لأمك على تصرفك
الذي لا يستحق إلا الجحيم، يا سيدي كاترينا لؤة أن أظل بصحبك.
جروسو (بصوت خافت لكاترينا) : كلي جميع ما هو أمامك، إذا كنت
تجبنني فعلاً (بصوت عالٍ) أرجو أن يكون لك هذا الطعام كله صحة
وحافضة، كلي يا كاتي بسرعة. وبعد لحظة، يا أحلى من العسل على مهجتي،
سنرجع إلى والدك لنشرب أجمل الثياب الحريرية والقبعات والخواتم الذهبية
والفلادلت والأساور والمرايح وجميع لوازم الزينة البراقة. هل فرغت من
عشائك ؟ إن الخياط ينتظر أن تعطيني وتدعيه يزين فامتك الهيفاء بما لديه من
ثمن الملابس.

(يدخل أجي السيط ويده ثوب)

جروسو : تعال أيها الخياط لثري هذا الرداء البسطه هنا من فضلك.
صانع القبعات : هذه هي القبعة التي أوصيتني عليها، يا صاحب السعادة.
جروسو : ما هذه ؟ انها مصنوعة في القلب كأنها وعاء من المخمل. تبا لها،
هي غير مناسبة وغير متقنة، هي صغيرة كالصدفة أو قشرة للجوزة. هل ظننت
أنها قبعة طفل ؟ خفعا إذا ولعطني غيرها أوسع منها.
كاترينا : أنا لا أريد أوسع منها، هذه مصنوعة على آخر طراز، والنساء
الأثبات يلبسن مثلها تماماً.

جروسو : بعد أن تبهني لي عن عواطفك، لا بعد، سنحصل على القبعة.
هورتيسيو (على حدة) : وهذا لن يكون في القريب العاجل.
كاترينا : أعتقد بأن لي الحق في الكلام يا سيدي وسأتكلم. أنا لست طفلة.
وهناك رجال أفضل منك قد تحملوا صراحتي، وإذا كنت أنت لا تحملها فما
عليك إلا أن تسد أذنيك. سيجر لساني عن كل ما يحلج به قلبي، ولو تحطم
هذا القلب من جراء التصريح بما يضيق به، ولكي لا أعرض إلى الانفجار، لا
بد لي من التمتع بالحرية الثامة كما يحلو لي.

بروسيو : إن ما تجاهرين به حق. أما هذه القبة فقيحة فعلاً، وأنا أفضل أن لا تحبها ولا تقبلها.

كاترينا : إن أحببت أنت هذه القبة فلو لم تحبها أنا أريدها وسأحصل عليها ولن أرض بسواها.

بروسيو : جاء الآن دور الثوب، هيا يا غياط، أرنا إياه. يا إلهي ! ما هذه المهزلة ! ما هذه الأكمال ؟ إنها مثل الفرح، والثوب مفصل من أعلاه إلى أسفله مثل كيس البصل، لا أناقة ولا انسجام فيه، يربك يا غياط، أسألك أن تقول لي كيف تدعو هذا الهدام.

هورتسيو (على حدة) : أرى أن سيدتي لن تحصل على القبة ولا على الثوب.

الغياط : لقد أوصيتني أن أعني بالتفصيل وأجعله على طراز اليوم. بروسيو : نعم، ولكن إذا كنت تذكر جيداً، لم أطلب منك أن تسمي الصنع وتشره، هيا أحمل بضاعتك وانصرف. وإنما إياك أن تفرص عليّ تدجيلك هذا، فأنا لن أرضى به، ويمكنك أن تسحب حالاً وسريعاً.

كاترينا : أنا لم أشاهد في حياتي ثوباً أحلى وأجمل وألئق وأتقن منه، ويبدو عليك أنك أردت به أن تجعل مني دمية ساهرة.

بروسيو : هذا صحيح، كان يريد أن يجعل منك دمية ولكن قبيحة.

الغياط : هي تقول إن سيادتك تريد أن تجعل منها دمية.

بروسيو : يا لك من منافق وقبح، أنت كاذب محتال، يا صرصور، يا خنفس حقير، إني أنتجداك يا مخبول وأنا مستعد لأن أؤدبك إذا لزم الأمر، أكرر عليك إنك شوئت هذا الثوب.

الغياط : أنت مخطيء يا صاحب السعادة، فالثوب مصنوع كما يجب، حسباً لأوصيت عليه معلمي، بواسطة كرميو الذي أعطى التعليمات.

كرميو : أنا لم أعطه أية تعليمات، إنما سلمته قطعة السجّ فقط.

الغياط : ولكن كيف طلبت منه أن يتم الصنع ؟

كرميو : بالإبرة والخيط.

الغياط : ألم تطلب أن يجري التفصيل على شكل معى !

كريميو : أظن أن مقصك علاج أنسجة مختلفة في هذه الأثناء.

الخياط : نعم يا سيدي !

كريميو : إذا لا تعالجي أنا، لقد ألبست رجالاً عظماء، فلا تعالظم علي أنا لا أريد أن تناقشني، ولا أنه تحذاني، أكرر عليك أنني طلبت من معلمك، أن يخطط هذا الثوب لا أن يشوهه، تباً لك من منافع.

الخياط : برهاناً على صدق كلامي، ما هو ذا نموذج التفصيل.

هرودسيو : أرني إياه.

كريميو : النموذج لا ينطبق على التعليمات.

الخياط (يشرح) : التفصيلة لثوب واسع الخصر.

كريميو (لهرودسيو) : يا معلمي، إذا قلت أنا ان الثوب واسع الخصر، فليخطط فني ولأضرب بالسياط حتى أموت، ولأشقي بحبل غليظ، لقد قلت إن

الثوب...

هرودسيو : أكمل.

الخياط : مستدير العنق.

كريميو : أنا لا أستكر شكل العنق.

الخياط : والأكمام عريضة.

كريميو : ولا أستكر الأكمام.

الخياط : وهي مفصلة بدقة.

هرودسيو - هذا هو عين المش.

كريميو : لقد سها عن بالك ما قلت يا سيدي، أنك أوصيت على تفصيل الأكمام أولاً ثم على شكل العنق بعد ذلك.

الخياط : إن ما أقوه به هو عين الصواب، ولرأسكت بك في مكان ما لحملك لا تكرر أي شيء.

كريميو : أنا تحت أمرك، استلم إذا دفترك فوراً وخذ ذراعك وانصرف.

هرودسيو : سامحك الله يا كريميو، ان اللعبة غير متعادلة.

هرودسيو (للخياط) : يا سيدي بكلمة مختصرة، هذا الثوب ليس لي.

كريميو (لهرودسيو) : الحق معك يا سيدي، هو لمعلمتي.

بروسيو : هيا خذوه وضعه بصرف مملوك.
كريميو (للخياط) : يا محال لا تحولول قد تظهر براعتك أمامي، كيف أنزع
ثوب مملتي بصرف مملتي ا

بروسيو (لكريميو) : ما هذه الفكرة المستهجنة ا
كريميو : الفكرة معقولة أكثر مما تتصور، ضع ثوب مملتي بصرف مملتي.
بروسيو (بصوت غافق للخياط) : أيها الخياط، سأدفع لك ثمن الثوب
غدا، لا تسوء تفسير كلامي الصريح، قلت لك : امض وبلغ مملتك أطيب
تحياتي (يخرج الخياط وصانع القبعات).

بروسيو : تعالي يا كاترينا نذهب إلى والدك بهذه الملابس البسيطة اللائجة فإن
جيرمين لن تكون عامرة إلا متى تواضعت ثيابنا والمحتويات هي التي تنشط
الأبدان. وكما أن الشمس نرسل أشعتها من خلال اليوم اللدكناء، هكذا
تستشف الاستفادة عبر الملابس البسيطة وهل الطاووس لأفضل من النسر لأن
ريشه أجمل ! وهل القمح أنفع من الحنكليس لأن ألوان جلده تسحر
الأنظار ! كلا يا عزيزتي كاتي، أنت لا تفهمين شيئا من صفاتك الحميدة
في هذا الهندام المتواضع. فإن كان ذلك علوا في نظرك، فألقني به على
كاهلي، وكوني مريحة لأننا ذاهبون إلى وثبة فانترة يستحقها والدك لتفرح
ونبهج معه. (لكريميو) اذهب وناد جماعتي كي تخرج إلى الطريق، فسنسير
على أقدامنا مسافة قصيرة ثم نمتطي جيادنا. الآن الساعة هي السابعة، وأعتقد
أننا سنصل تماما في موعد العشاء.

كاترينا : صدقي يا سيدي، إن الساعة تقارب الثمانية، وسنصل حتما بعد
العشاء.

بروسيو : سنبلغ الساعة السابعة قبل أن أمتطي حصاتي، أراك دائما تناقضي
في كل ما أقول وأفضل (لجماعته) انركوني يا سادة، فاليوم لن أرافقكم
وسأقرر اللحاق بكم حين أشاء.

هوروسيو : تبأ لهذا المغرور الذي يريد أن يتحكم بنور الشمس
(يخرجون).

المشهد الرابع بادوا - أمام منزل باتستا

(يدخل ترائو والعربي بلباس مستور)

ترائو : ها هوذا المنزل ، يا سيدي. هل تريد أن أتأدي على من فيه ؟
العربي : أجل. وهل يمكنني عمل غير ذلك ؟ إذا كنت لا تزال أمتنع بحفاظة
جيدة فالسيرور باتستا يسمعه أن يتذكر أنه وأناي قبل عشرين عاماً تقريباً في
جيتوا حيث نزلنا كلانا في فندق يماس.

ترائو : هذا صحيح، أرجو أن تتصرف كما يليق بالسلطة الأبوية.
العربي : اني أضمن لك ذلك. ولكن، يا سيدي، هوذا غلامك آت، ومن
الضروري أن تؤكبه.

ترائو : كن مطمئن البال من نحوه. يا بيوندالو، حان وقت قيامك بالواجب.
اتيه، هوذا فستيو الحففي الأصيل.
بيوندالو : لا يفتي لك بال.

ترائو : هل أدت مهمتك حبال باتستا ؟
بيوندالو : لقد أخبرته بأن أباك كان في مطبخة البندقية، وإنك تنتظره اليوم في
بادوا.

ترائو : أنت شاب فطلي، اتخذ هذه الإكرامية. ها هو باتستا. فكن على حذر،
يا سيدي.

(يدخل باتستا ولرسجو)

ترائو : سيور باتستا، أنا سعيد بلقائك (للعربي) هذا هو الشخص الذي
كلمتك عنه. أرجو أن تكون أباً صالحاً، وتجعل بياتكا من نصيبي.

العربي : تمهل يا ولدي (لباتستا) اسمح لي، يا سيدي. لقد جئت إلى بادوا
لتحصيل ما لي من ديون، فأعلمني إني لومستيو بأنه يه وبين ابنتك قصة حب
جديّة، فانظر إلى ما بلغني منك من أنباء حسنة، وبالنظر إلى الحب الذي يكنّه

ولدي لإبتك، ولكي لا أدهه ينتظر طويلاً أنسحه رضي الأبوي ومواقفي على هذا الزواج، وإن كنت أنت أيضاً على أتم الاستعداد والرضى مثلي لقد الاتفاقية مستجدي يا سيدي محبباً ومباركاً هذا القران، إذ لا يحمل بي أن أتأثلك كثيراً في هذا الموضوع الدقيق يا سيور باتستا ما دمت قد سمعت عنك أطيب الأخبار.

باتستا : اعزبي، يا سيدي، على ما أنا مزعج أن أوضحه لك، أن صراحتك وقرارك يمحنتني جيداً، صحيح أن ابنتك لوستيو، الحاضر هنا يجب ابنتي وهي تحبه وكلاهما يتبادلان أسى عواطف الود، هالمقابل ما عليك إلا أن تدمني بأن تصرف تجاهه كأب عطوف، وأن تؤمن لإبتك إرثاً كافياً فيتحقق هذا الزواج على أكمل وجه، ويوف ابنتك إلى ابنتي يوافقنا.

ترائيو : أشكرك. أين تريد أن تتم الخطوبة وأن يسجل العقد حسب رضى الطرفين ؟

باتستا : ليس في بيتي يا لوستيو، لأنك تعلم أن للمحيطان آذاناً صاغية وعندي الكثير من الخدم، ثم إن المعجوز جيراميو هو دائم التيقظ، ومن المحتمل جداً أن يباغتنا أحد.

ترائيو : فإذا سيجري الزفاف في بيتي أنا. إذا لم يكن لديك من مانع يا سيدي، فهناك بمكث أبي، وصنفه القران فيما يتنا على أحسن ما برام، فأرسل في طلب ابنتك بواسطة الفلام الذي يرافقك، ويذهب غلامي لاستدعاء كاتب العقد، إنما لعدم اعلامي بقدمك في الوقت المناسب، لن تجد عندي إلا طعماً عادياً بدل الوليمة التي تليق بك.

باتستا : عرضك يمحيني (للوستيو) يا كميرو، أسرع إلى المنزل وقل لبيانكا أن تستكمل استعداداتها، وأخبرها بما يدور هنا، وبأن والد لوستيو قد وصل من بادوفا وبأنها على الأرجح ستعلمو قرينة لوستيو.

لوستيو : أتمنى من كل قلبي أن تكون له عروس سواها.

ترائيو : لا نمرح وامض في سبيلك، هل تريد أن أدلك على الطريق يا سيور باتستا ؟ أهلاً بك، إنما لن ينسني لي أن أقدم لك كمشاء إلا لوفاً واحداً من

الطعام. تفضل بالمجيء الى يزا حيث أستطيع أن أستقبلك وأقوم بواجب
الحفاوة أفضل من هنا.

بانيستا : سألتكم بكم (يخرج ترانير والمرئي وبانيستا).

يونندالو (للوستيو الذاهب) : يا كمييو.

لومستيو (وهو عائد) : ماذا ترغب يا يونندالو ؟

يونندالو : حل رأيت معلني يمزك بطرف عينه ويتسم لك ؟

لومستيو : ما معنى هذا يا يونندالو ؟

يونندالو : لا شيء لكنه تركني هنا في المؤخرة لشرح لي دلالة هذه
الإشارات.

لومستيو : ما هو مفادها ؟

يونندالو : هو : أن بانيستا موجود في مكان أمين ويتكلم مع ابن مستعار عن
وليدهم.

لومستيو : وبعد ذلك ؟

يونندالو : متعصي أنت لتأتي بانيستا الى المشاء.

لومستيو : ثم ماذا ؟

يونندالو : ان كاتب المقدم لابد ان يكون تحت تصرفك ويتمم مراسم الرقاف.

لومستيو : وما هي عاقبة كل هذه اللعبة ؟

يونندالو : اليك ما يمكنني أن أوصيك به : بينما يكون أهل الحرم منشغلين

في نص المقدم الصوري، اشرح لها ما يجري هنا ثم غافل الجميع واخرج بها

الى حيث تكون مع الشهود فتذهب الى مكان آخر وتقدم لك عليها بشكل

قانوني رسمي، وإذا لم توافق على هذه الخطوة الوحيدة التي تحقق لك أمنك

فإني أنصحك أن تودع يانكا الوداع الأخير الى الأبد (يستعد).

لومستيو : اسمع يا يونندالو.

يونندالو : لا ينبغي أن أبقي أكثر مما فعلت، لقد عرفت صيغة تزوجت بعد

ظهر أحد الأيام وهي ذاهبة الى الحفل لتقطف البقدونس وتمرجه باللحم

وتمشو به أرنياً. فيحكك أن تزوج أنت أيضاً على هذه الطريقة يا سيدي،

والأستودعك الله، فإن معلمي طلب مني أن أوافي الكاتب الذي سيحدد قرارك الحقيقي، وسنكون بانتظار وصولك مع مرافيك (يخرج) .
لوستجو : أنا أرحب من تنفيذ هذه الخطوة شرط أن توافق العروس عليها، لا شك في أنها ستعجب بذلك، فليعمم ما قدره الله لنا. سأقابلها وأطلب منها أن تلحق بي، والويل لكسيو إذا وافاني بدون أن تكون هي بصحبته (يخرج) .

المشهد الخامس

في الطريق

(يدخل بروسو وكاترينا وهورسيو)

هورسيو : إلى الأمام. برئكم إلى الأمام. ولتواصل طريقنا إلى بيت أبي. يا إلهي، ما أجمل هذا القمر المساطع في كبد السماء !
كاترينا : أين القمر ؟ هذه هي الشمس المشرقة، إذ لم يبق من أثر لضوء القمر في هذه الساعة.

هورسيو : أنا أقول إن القمر هو الذي سطع هكذا بنوره البهي.

كاترينا : لا بل هي الشمس التي تسطع.

هورسيو : لعمري، أنا لا فرق عندي إن كان القمر أو أي كوكب آخر هو الذي يرسل نوره أثناء مواسمتي السمر للوصول إلى بيت أبيك، هما أعيننا لنا جيلانا، اني لا ألقى إلا الشاكسة دائما.

هورسيو (بصوت خافت لكاترينا) : أبلغني ما يقوله هو، وإلا لن نذهب أبدا.

كاترينا : استخلفكم بأعز ما لديكم أن تاتبعوا سيركم، وبما أنا قطعنا شوطاً بعيداً فلا فرق عندي أنا أيضاً إن أضاء القمر أو أثارنا الشمس، سرها كما

يحلو لكه، وإذا شقم أن تدعوها سراجاً، لا بأس عندي، شرط أن أرى دربي.
جروسو : أنا أؤكد أنه القمر.

كاترينا : وأنا أقول ذلك.

جروسو : إذا أنت تكذبين. فهذه هي الشمس.

كاترينا : تبارك الله بشمسه هذه النيرة. عندما تؤكد أنها الشمس، تكون الشمس حقاً، ومستقلب قمرأ على هواك، وإذا كان حقاً ما تشاء، فأنا كاترينا أريد الشيء ذاته تماماً على الدوام.

هورتسيو : يا جروسو، أكمل طريقك فاليرة ملك يديك

جروسو : إلى الأمام، إلى الأمام. وهكذا تتسارع الأمور في تقدمها بدون أن تعرض لخطر الاصطدام بأية عقبة، ولكن تمهل. من الآتي إلى هنا ؟

(يدخل نيسو بلباب السفر)

جروسو (لنفسه) : نهارك سعيد أينما الميدة الظرفية، إلى أين أنت ذاهبة ؟ قولي لي يا كاترينا الحلوة، قولي لي بصراحة هل رأيت امرأة بهذه النظارة ؟ ما هذه البشرة الناعمة البيضاء ؟ وما هذا الورد في وجنتها ؟ وهل لي كبد السماء ماستان تلمعان بمثل برق عينيها في محالها الملائكي ؟ أينما الحسناء الحبيبة، مرة أخرى أتمنى لك نهاراً سعيداً. عانقها يا عزيزي كاترينا أكراماً لجمالها.

هورتسيو : انه سبب الجنون لهذا الرجل الذي يصرّ على أن يحضره امرأة.
كاترينا : أينما الصبية العذراء الشبيهة برعم الورد، إلى أين أنت ذاهبة ؟ أين تسكنين ؟ ما أسعد الأهل الذين أنجبوا ابنة بمثل جمالك ! وما أسعد الرجل الذي يصرّ عليه حظه الميمون بحساء نظرك تكون له أحن رفيقة في السرير !
جروسو : ما قولك يا كاتي ؟ أرجو أن لا تكوني قد قدمت عقلك إلى من تربته هنا هو عجوز مجعد الوجه ذابل العينين، وليس صبية عذراء، كما توهمين.

كاترينا : كوالدي المتقدم في السن، سامح لتخداع نظري الذي يهرته الشمس

المتروحة حتى يت أرى كل شيء بلون أحضر راء. الآن فهمت أنك شيخ وقور، أرجوك أن تصصح عن خطائي الفاضح.

جروسيو : أجل. المفقو يا جدي المجوز، قل لنا أي طريق تريد أن تسلك حتى ننعم برفقتك، إن كان سبيلك هو سبيلنا.

فستيو : يا سيدي الكريم، وأنت يا سيدي الجميلة الجليظة، الحميدة الخصال أنا أدعى فستيو، وأقطن مدينة بيزا، وأنا ذاهب إلى بادوا لأرى ولدي الذي طارقه منذ زمن طويل.

جروسيو : ما اسمه ؟

فستيو : لوستيو، يا سيدي.

جروسيو : صدقة سعيدة، ولا سببا لولئك. أعلم جيداً يا صاح، أن الشرع وكذلك هيبة عمرك يسمحان لي بأن أدعوك أي المحبوب. إن شقيقة زوجتي، أخت هذه السيدة الكريمة، المائلة أمامك، تزوج ابنك في هذه اللحظة. فلا تصعب ولا تستغرب، هي طيبة السمعة، وافرة البائنة شريفة المنبت موهوبة تتمتع بأخلاق عالية وتستحق أن تصبح قريبة أقبل اللذات، هلما تتعاقى أيها الشيخ الرقور فستيو، ولتتابع معاً طريقاً إلى ولدك الكريم الذي سينتج حتماً بلفائك.

فستيو : هل هذا صحيح ؟ أو أنك تظنني بي أثناء سفرك كالهارب من الهم فتهزأ بمن تصادفه على دربك من الناس المسالمين ؟
جروسيو : معاذ الله. تؤكد لك أيها الشيخ الجليل بأن هذه هي الحقيقة الأكيدة.

جروسيو : تامل مما إذا ثبتت لك صحة الواقع، اننا نلاحظ أن غيرك السابقة جعلتك حذراً. (يخرج جروسيو وتبعه كاترينا ثم فستيو).

جروسيو : بكل تأكيد يا جروسيو، هذا يشجعني، وما أنا مسرع إلى أولموني مهما كانت غشوة الطباع، فقد علمتني أنت أن أكون حازماً. (يخرج).

الفصل الخامس

المشهد الأول

في بادوا — أمام بيت لوستيو

(جيراسيو يتسنى في مقدمة المسرح يصل من صدر الطرف الآخر يوندالو وبياتكا بدون أن يراهم جيراسيو)

يوندالو : تمهل وتنبّل بخطوات خفيفة لأن كاتب العقد ينتظرك.
لوستيو : أكاد أظير فرحاً يا يوندالو، ان لم يكن أحد بحاجة إليك في البيت، دعنا نفرق هنا.

يوندالو : كلا، أريد أن أكون على يقين من تحقيق زواجك، ثم أعود الى معلمي على عجل (يخرجان).

جيراسيو : أنا أتساءل كيف لم يصل كسيو بعد.

(يدخل تروسو متعبه كثرها وسبحو ووراعهم جاسهم)

تروسو (لفستيو) . هلك الباب، يا سيدي. فهذا منزل لوستيو، أما بيت أبي فهو أبعد قليلاً، بجانب الساحة العامة، وعليّ أن أمضي الى هناك، وأن أتركك هنا يا سيدي.

فستيو : أمني أن لا ترفض شرب كأس معي قبل ذهابك. أعتقد اني استطيع

أن تؤمن لك هنا استقبلاً لاخفاً، وأنا والى بأننا مستأول أطمعة لأفيدة. (يترك الباب).

جبرامو : هم مشغولون في الداخل. فالأولى أن تطرق الباب بقوة. (يترك فستيو طرقات متكررة).

المروني : من يترك الباب هكذا كأنه يريد أن يحطمه ؟

فستيو : هل السيور لوستيو في بيته، يا سيدي ؟

المروني : أجل هو في بيته يا سيدي، ولكن من يود أن يكلمه ؟

فستيو : كيف تستقبل رجلاً يأتيه بمئة أو مئتي دينار لأجل مسألة نافلة ؟

المروني : احتفظ بدفاتيرك المنة لنفسك. فلن يحتاج إليها ما دمت أنا في الوجود.

بروسو (لفستيو) : أتذكر أنني كنت أقول لك أن ابنك محبوب للغاية في بادراً ؟ هل سمعت يا سيدي ؟ (للمروني) فلكي نضع حداً لهذا الحديث غير المجدي، أوجوك أن تبلغ السيور لوستيو أن أهاء وصل من بيزا، وأنه ينتظره في الباب بكلمه.

المروني : هنا غير صحيح، لأن والده الآتي من بيزا هو الذي ينظر إليك من هذه النافذة.

فستيو : آنت والده ؟

المروني : نعم يا سيدي. إذا صدق قول والدته.

بروسو (لفستيو) : ما معنى كل هذا، يا سادتي ؟ أن اتحال اسم العير هو عين الفش والخداع.

المروني : أقبضوا على هذا الدجال الذي أتبعه بأنه، بانتحاله إسمي، يريد أن يصب على أحد أهالي هذه المدينة (يعود بيونداو).

بيونداو : لقد رأجهما معاً قبل أن يصلا إلى هنا. سدد الله خطاهما إلى محبة الصواب. ولكن ماذا أرى ؟ معلني الشيخ فستيو ؟ لقد هلك وتل مصيري إلى الابد.

فستيو (يلوح بيونداو) : تمال إلى هنا يا وجه الحمى.

بيونداو : يمكنني أن أفترض ما أشاء.

فستيو : اقرب يا محال، لونسيتي ؟
يونداو : أنساك أنا ؟ أبداً يا سيدي، لا يسعني أن أنساك طوال عمري.
فستيو : كيف، يا وجه الشؤم، لم تر أبداً فستيو والد مطلق ؟
يونداو : أجل، هذا مطلق الشيخ المحترم ما هوذا هنا يظل من النافذة.
فستيو (وهو يضربه) : حقاً ؟
يونداو : النجدة، النجدة ! متهموس حائج بنوي أن يقتلني (يهرب).
المرقي : النجدة، يا بني النجدة ! يا سبور باتيسا (يتراجع عن النافذة).
هروميو : أرجوك يا كاترينا، أن تقمي معي جانباً لتري غائمة هذه المهزلة (ينسحبون).

(يظهر المرقي وبجبه باتيسا وترهيز وحدة وسناء)

توانيو : من أنت يا سيدي حتى تجرؤ وتضرب الناس ؟
فستيو : أسأل من أنا ؟ بل من أنت يا سيدي ؟ آه ! يا إلهي لرحمني ! يا
 لخراب بيتي ! بينما أنا أقصد في سقائي، أرى ابني وخادمه يمددون ثروتني
 برمتها.

توانيو : ماذا تقول ؟

باتيسا : هل هذا الرجل مجنون !

توانيو : يا سيدي، يبدو عليك إنك شيخ وقور وجدير بالاحترام، ولكن
 كلامك يشبه الهذيان. ماذا يهلك من كل هذا ؟ إن كنت أملك لآتيء أو
 ذهباً، فالفضل يعود إلى والدي الذي يزودني بما يتيج لي لقضاء ما أشتهي.
فستيو : والدك ! آه منك أيها الشقي، هو صانع أشرعة في بركامو.

باتيسا : أنت على ضلال يا سيدي، على ضلال ظاهر، أرجوك أن تقول لي
 هل تعرف اسمه ؟

فستيو : تسألني عن اسمه، كما لو كنت لا أعرفه، أنا ربيته منذ نعومة
 أنفاده، اسمه ترانيو.

المرقي : تها لك من حمار خامل، إن اسمه لوستيو، وهو ابني الوحيد،
 وورث أملاكه، ثمة السبور فستيو.

فستيو : لوستيو اغتال معلمه واتحل اسمه ؟ امسكو به ، أستحلفكم بكل
هريز لديكم. ولدي ولدي. قل لي يا دجال، أين ولدي لوستيو ؟
ترانيو : نأخوا الحارس.

(يدخل وصيف جبه حفرس)

اغفوا هذا المحتال اللعين إلى السجن، يا باتستا أرجوكم أن تسمى
لاحضاره

فستيو : تأخذونني إلى السجن أنا ؟

جيراميو : قف أيها الحارس، لن يذهب هذا الرجل إلى السجن.
باتستا : لا داعي لتدخلك، يا ستور جيراميو، أنا أؤكد أنه سيذهب إلى
السجن.

جيراميو : احذر يا ستور باتستا أن تكون مخطوفاً في هذه القضية. أنا أحلف
بأن هذا هو فستيو الحقيقي الأصيل (يشير إلى فستيو).

المرتي : أقسم يميناً مغلظة بأنك لا تجسر.

جيراميو : كلا، أنا لا أجسر إذ أقسم.

ترانيو : إذاً يجعل بك قد تعرف بأنني لست لوستيو.

جيراميو : وإذا نعلت، أقر بأنك السنيور لوستيو.

باتستا : اذهب أيها المهرج إلى السجن دوراً.

فستيو : أمكننا يقابل الغرباء عندكم بأسوأ معاملة ؟ بس هذا الدور البغيض !

(يهرج يوندلو، بصحة لوستيو وسه يانكا)

يوندالو : لقد هلكنا، ها هو ذا، أنبلوه ولا تؤيدوه، فقد غيب أمتنا جميعاً.

لوستيو (ينطرح عند أقدام فستيو) : سامحني يا والذي الكريم.

فستيو : ابني الحبيب، أنت إذاً حي. (يهرب يوندلو وترانيو والسري).

ييانكا (تركع أمام باتستا) : سامحني يا أباه.

ييانكا : ما هو ذنبك ؟ أين لوستيو.

لوستيو : أنا لوستيو ابن فستيو الحقيقي، وقد تزوجت ابنتك، بينما من
انتحل اسمي كان يخدمك.

جيراميو : هذه مؤامرة جازت علينا كلها.

فستيو : أهي المحال ترانو الذي تجاسر وعددعي.

باتيسا (ليانكا) : أصدليني، أولس هذا كديو ؟

ليانكا : أجل، لقد تحول كديو إلى لوستيو.

لوستيو : هو الحب الذي حمل هؤلاء على اللجوء الى حله الحيلة، إن سبي ليانكا دفعني إلى تغيير شخصيتي، وحلاني إلى جعل ترانو يتحل اسمي في المدينة. وأخيراً أنا سعيد بيلوغ مرادي وتحقق أمنيتي الطالفة. وما فعله كريميو، أنا طلبته منه، فسامحه يا ابني العزيز اكراماً لي.

ضمصيو : سأحطم رأس المبي الذي أريد أن يرجني في السج.

باتيسا (للوستيو) : ولكن قل لي يا سيدي، هل كنت ثوي أن تتزوج ابنتي بدون الحصول على موافقتي ؟

فستيو : معاذ الله، ثق يا باتيسا بأنني أصر على نيل رضاك، فلا تحق، إنما لن أراجع من الانتقام من هذا الخلفاع.

باتيسا : وأنا سأكشف تفاصيل هذه اللعبة (يتبع فستيو).

لوستيو : لا تكوني هكذا شاحية اللون يا ليانكا، فوالدك لن يفضب أبداً (يدخل لوستيو كيه ليانكا إلى البيت).

جيروميرو : لقد غاب أمني وغسرت كل شيء، ما عدا مكاني في الوليمة. (يدخل إلى بيت لوستيو).

(يعود جيروميرو ومعه كاترينا إلى مقدمة المسرح).

كاترينا : تعال يا زوجي الحبيب لتبعهم ونطلع على حل هذه الأحجية.

جيروميرو : أنا موافق يا كاتي، فقبليني أولاً.

كاترينا : أهي منتصف الشارع

جيروميرو : وهل تستحقني ؟

كاترينا : معاذ الله، يا عزيزي أن أستحي من تفيلك.

جيروميرو : إذا لنعد إلى بيتنا (لوصيف) هيا نذهب يا سبي.

كاترينا : كلا، سأمنحك قبلة. فأرجوك أن تبقى هنا يا عزيزي (تقبله)

جيروميرو : ألا نجدين القبلة لذيدة يا فاتتي كاتي ؟ غير لي أن أحصل عليها متأنرة من أن لا أحصل عليها أبداً، وما قد حان أوانها. (يدخلان إلى بيت لوستيو).

المشهد الثاني

قاعة طعام في بيت لوستيو، وعلى المائدة حلويات

(يدخل باتستا وهورتسيو وجيرسيو والمري ولوسيو ومانكا وبتروسيو وكاترينا
وجورجسيو والأرملة التي تزوجها، وترافق ديونداو وكريسيو وسوميم من الطعام)

لوستيو : أخيراً، بعد ضلالتنا الطويل، ها نحن على أتم الوفاق. ولقد حان لوان
الجزء بالمخاطرة التي ذللناها والمخاوف التي تحطيناها بعد انتهاء معركةنا
الحامية يا حلوتي بيانكا، هتي والدي، كما أهلك أنا. وما أخني بتروسيو
وأخني كاترينا، وأنت يا هورتسيو إنهم يقرب أرميتك اللطيفة. فليوا بعضكم
بعضاً، أنا أرحب بكم جميعاً في بيتي. وهذه الحلوى تفتح شهيتنا قبل المائدة
الفاخرة التي نشترك فيها، أرجوكم أن تجلسوا إلى المائدة هذه المرة لتحللوا
وأنتم تأكلون (يجلس الجميع) .

بتروسيو : ما أروع هذه الوليمة. نلتأكل فقط، أجل لأكل بدون قلق.
باتستا : إن مدينة بادوا تشتهر بكل هذه الحلويات، يا ابني بتروسيو.

بتروسيو : وهل في بادوا غير الحلوة ؟

هورتسيو : لود أن يكون كلامنا صادقاً.

بتروسيو : أعتقد بأن هورتسيو يخاف أرملة ؟

الأرملة : وهل أنا مخيفة ؟

بتروسيو : أنتِ كذلك لطف وذوق، إنما اختيارك يبدو مشبوهاً، أقصد أن
هورتسيو يحسب لك ألف حساب.

الأرملة : من طاش صوابه يظن أن الدنيا تدور به.

بتروسيو : ماذا تقصدين بقولك يا سيدتي ؟

كاترينا : هكذا، بفضلته أنتنكي من الفهم والأدراك.

بتروسيو : تهمين بفضلتي أنا ؟ ما رأي هورتسيو بذلك ؟

هورتسيو : أرميتي تفيد بأنها تعني ما تعني.

جروسيو : تفكيرك بدل على براعة، فقبله على فصاحته أنها الأرملة المرحلة.
كاترينا : تقولين أن من طاش صوابه يظن أن الدنيا تدور به، فأرجوك أن
تسري لي ما تفصله بهذه العبارة.

الأرملة : إن زوجك الذي يلقي بأمرأة صعبة المراس يقيس بشغفه ما عاينه
زوجي من أحزان مريرة، عليك أن تحذري بماذا أفكر.
كاترينا : أجد تفكيرك سقيماً.

الأرملة : هذا صحيح كنت أفكر فيك.

كاترينا : أنا إدا، حسب قولك، مسكينة بالسة.

جروسيو : يا لكاتي.

جورجسيو : بل ثباً لأرملتي.

جروسيو : أراهن بمئة دينار علي أن كاتي ستضحمها.

جورجسيو : هذا هو رأيي أيضاً.

جروسيو : هذا كلام رجل مخلص جريء. جاء دورك يا بني (يشرب نخب
جورجسيو).

بالسة : وما هو رأي جيراميو بهذا الهجوم الفكري ؟

جيراميو : هم يجارون عالياً يا سيدي لكي لا يسمع أحد صوتاً غير صوتهم.
يانكا : إن صاحب الذئب البقظ يدرك أن المرأة لكي يجاز لا بد له من أن
يكون ذا قرنين.

فمستور : عجباً يا سيدي المخطوبة. هل أيقظك هذا الحوار.

يانكا : أجل، ولكنه لا يقلقي. لذلك سأعود إلى النوم.

جروسيو : لمس أجل هذا ؟ كلا بما أنك عاشرت سأرميك بسهامي.

يانكا : هل تطعني مصغوراً، سأغير مأواي. وحيط ترشقي بنالك، كما تشاء
بدون أن تصيني. تصياتي للجميع. (تخرج يانكا وكاترينا والأرملة).

جروسيو : شكراً على تبيحك. سيور ترانيو، هاك المصغور الذي قصدت أن
ترمي. وأنا أشرب نخب جميع القناصين الفاشلين.

ترانيو : يا سيدي، لوستو أطلقني نظير كلب الصيد الذي يركض وراء
الطريدة قبل غلطها ويقدمها لصاحبه.

جروسيو : تشبه مناسب، لكنه مبتذل كالقودة الحفيرة.
 ترانيو : أحسنت حسناً يا سيدي بأن تصطاد بنفسك. إنما يقال مع ذلك أن
 الخزال الهارب يهلك قوياً من بلاخفه.
 باتيسا : وا أسفاه يا بروسو! أصبح ترانيو يستهفك الآن.
 لوستيو : شكراً على هذه المداينة يا ترانيو.
 هورسيو : أعترف، أعترف بأنه أصابك مي الصميم.
 جروسيو : أقر بأنه الحق بي خدشاً طفيفاً، ولكن بما أن الخدش أصابني في
 الواقع، فلاني أراهن بمشرة مقابل واحد على أنه أصابكما أثماً الاثنين أيضاً.
 باتيسا : هذا إذا تكلمنا جدباً، يا بني بروسو. أظنك حصلت على أحد امرأة
 في الدنيا.

بروسيو : هذا غير صحيح، وهناك حجتى. ليطلب كل واحد أمراً من زوجته،
 فإن من تكون امرأته أطول من سواها وتلبى طلبه كما يجب يربح الرهان الذي
 سأقدمه.

هورسيو : أنا موافق. ولكن ما هو الرهان ؟
 لوستيو : عشرون ريالاً.

بروسيو : عشرون ريالاً؟ هذا ما أعلم به على صفري أو كليي. إنما على
 امرأتي سأربح عشرين مرة أكثر منه.

لوستيو : فليجعله مائة ريال.

هورسيو : أنا موافق.

بروسيو : تمت الصفقة إذاً.

لوستيو : أنا طبعاً. اذهب يا بيوندلو، وقل لمعلمتك أن تأتي إلى هنا.

بيوندلو : أنا ذاهب. (يخرج)

باتيسا (للوستيو) : يا صهري العزيز، أنا معك خمسين في المئة، بأن ياتنكا
 ستأتي.

لوستيو : أنا لا أريد شريكاً، فإني أتمنى كل شيء وحدي.

(يرجع بيوندلو)

لوستيو : ما وراك من الأخبار ؟

يوندالو : يا سيدي، تقول مملتي أنها مشغولة، وإنما لا تستطيع المجيء.

جروسو : كيف، هي مشغولة، لا تستطيع المجيء ؟ هل هذا جواب ؟

جيراميو : نعم هو جواب مهذب. ادع الله يا سيدي لكي تحفك زوجتك بجواب أسوأ.

جروسو : كنت آمل أن يكون ردّها إيجابياً.

هورتسيو : يا سيدي يوندالو، اذهب وتوسّل إلى زوجتي كي توافيني حالاً.

(يخرج يوندالو) .

جروسو : لواء ! أأتوسّل إليها ؟ لا بد لها من أن تنجي.

هورتسيو : أختي يا سيدي مهما فعلت أنت، أن لا تستجيب إلى توسّلك.

(يرجع يوندالو)

هورتسيو : أين زوجتي ؟

يوندالو : أنها تقول لك أن نلازم الهدوء. فهي لا تريد أن تأتي اليك بل

تسألك أن تذهب أنت لمقابلتها.

جروسو : وهل يوجد أسوأ من هذا الرد ؟ هي لا تريد أن تأتي، وهذا نظيم

غير مقبول ولا مقبول. أيها الفبي جيراميو، اذهب إلى زوجتي ولفها أي

أمرها بالمجيء إليّ حالاً. (يخرج جيراميو) .

هورتسيو : أنا أعرف جوابها سلفاً.

جروسو : ما هو ؟

هورتسيو : أنها لا تريد أن تأتي.

جروسو : يا لسوء حظي ! هل هذا ردّها النهائي ؟

(تدخل كاترينا)

باتيسا : ها هي ذا كاترينا.

كاترينا : ماذا تريد مني حتى أرسلت في طلبي ؟

جروسو : أين شقيقتك ؟ وأين زوجة جروسو ؟

كاترينا : هما تتحدثان في القاعة جالستين بقرب النار.

جروسو : اذهبي واجلبيهما معاً. وإذا رفضتا الحضور معك، ارسليهما كل

واحدة الى زوجها ولو بالقوة. اخرجني وعودي بهما سريعاً. (تخرج كاترينا).

لومسترو : إذا تكلمت عن العجائب، اعتبر هذه واحدة منها. وبماذا يمكن أن يتبأ هذا المفقري ؟

بروسو : هذا النبأ يشر بالسلامة والسحة والحياة الرغيدة والتصرفات اللائقة والتفوق المشكور، وبكلمة يدهو إلى البهجة والارتياح.

يائيسا : ليكن الهناء مشتركاً بيننا يا بروسو الكريم. أنت ربحت الرهان. وأنا قوّد أن أزيد لمن خسر عشرين ألف ريال كياناً إضافية، أجندني مديناً بها لابتني المتطورة التي تغيّرت كثيراً إلى درجة أنها أصبحت امرأة أخرى.

بروسو : أنا أريد أن أتبخر رهائي. وفي الوقت ذاته أقدم لك برهاناً ساطعاً على طاعتها وعلى فضيلتها الحديثة المهد.

لومسترو : ها هذا نعود برفقة روجنك تختال عجباً بأنوثتها الساحرة. كاترينا، هذه القيمة لا تلائمك. فبأ لها من خرقة مشعّة ااحرقها أرضاً عند قدميك. (تزع كاترينا قبعتها وترميها أرضاً).

الأرملة : وبه ! هل فكر لي أن يسهقني الحزن يوم اضطررتي الظروف الى الانسلام متأللة.

يائيسا : تبأ لك. كيف تكافئين الطاعة العمياء هكذا ؟

لومسترو : أنا قوّد أن تكون طاعتك مثالية كهذه يا يائيسا الوديدة. فقد كلفني بذلك الطاعة مئة ريال : ولا سيما بعد العشاء.

يائيسا : أنت مغفل. كيف تراهن على طاعتي !

بروسو : أنا أطلب منك أن تسألني هؤلاء النساء المتحدرات، ما هي واجبات المرأة نحو زوجها ؟

الأرملة : كفاكم سخرية بنا أيها الرجال. نحن لا نقبل أن نتلقّى أي درس منكم.

بروسو (يشر الى الأرملة) : تكلمي من فضلك، ووجهي قولك إليها أولاً.

الأرملة : لن تنال شيئاً.

عروسمو : أكرر طلبي : وجهي قولك إليها قولاً.

كاثرينا : نبأ لك أيتها الأرملة ابنتي صوبك بقليل من البشاشة، ولا ترشقي بهذه النظرات الساعطة المزربة التي تجرح قواد مولاك وملئك وولتي نمسك. إن مظهرك الكتيب بنوي جمالك، كما يجفف الجليد الصب الأخضر، ويشوّه سمحك كما تظف العاصفة أجمل البراعم. فنهما كنت عطشي لن تنالني إلى بل شفيتك بنقطة ماء. لا تسي أن زوجك هو مولاك وحياتك وحارسك وملكك وولتي أملك الذي يهتم بك ويحاجاتك، والذي يفرض الأشغال الشاقة على جسمك وروحك أينما كنت، ويسهر عليك أثناء النهار حين نهب العاصفة وأثناء الليل عندما يشتد البرد، بينما أنت تظن في النوم دلقة في سريوك بكل طمأنينة وأمان. هو لا يرحو ملك أية مكافأة غير الوفاء وإحسان شريك وسرعة الطاعة التي تحضر دفعة صغيرة على حساب دينه الوافر المتوجب عليك. إن الطاعة المفروضة على الرعية تجاه الحاكم هي عادة نظير الطاعة المتحتمة على كل امرأة نحو زوجها. وعندما تكون الزوجة عتيقة عذبة الطلياع مشاكسة مزعجة لا تطيع أوامر رجلها المشروعة تعد متبردة عاصية تجاه مولاها الأمين، وخاتمة بحقه لا تكن له أي حب أو تقدير. أنا أصح من رؤية المرأة الخسيسة التي تشن الحرب على من يحب أن تدعو له بالأمان والسلامة، حالية على ركبتها. كما أصح من التي تطالب بالسلطة والتفوق والتحكم بمن يحب عليها أن تخدمه وتعبه وتطيعه. لماذا يا ترى نلاحظ أن جسم حواء نحيل ضعيف غير مهيا للتعبد والمشاكل في هذه الدنيا، إن لم يكن للإناثحة للنوفها وهوانها الرقيقة أن تنسجم مع طبيعتها اللطيفة الطيبة الناعمة لأجل رفاهية رجلها الذي تحبه. نبأ لي من حشرة حفيرة مأكرة. لقد ظننت أنني تحليت بحوية خيرة وقلب طموح وحجة مقنعة، ربما لمقارعة الكلام بالكلام والمحاورة والمناقشة. أما الآن فألاحظ أن رجلي ليس إلا خصبة مرضوضة، وإن قوتي ضعيف، وضمفي لا يوصف وإني في الواقع دون ما أظاهر به من المبروت. فلاكن إذا أقل كبرياء لأنها لا تفيدني، ولأضع فتني بمقدرة زوجي الذي ما عليه من الآن وصاعداً إلا أن يطلب لأبيه ويسأل

لأستجيب وبرهاناً على طاعتي واستسلامي، ما هي يدي جاهرة أمداها اليه
قائمة إذا كان هذا يرضيه.

بروسيو : ها أيتها الفتاة الحبيبة كاتي، تمالي وعانتني.
لومستيو : هنيئاً لك. لقد فزت أخيراً يا صديقي العزيز. وأصبحت لك الكلمة
الأخيرة.

فستيو : ما أعذب الانتقاد للرجل بوداعة وإيمان !

لومستيو : وما نفسي استبداد الزوجة بعجرفة وتمرد !

بروسيو : هلمي يا كاتي الي السرير. ها نحن ثلاثة رجال متزوجين انما
شخصان فقط، أنا وأنت، نسي لنا الانسجام التام. (لومستيو) ومع أنني قد
وبعت الرهان، أراك باقرا نك يا بيتكا قد غبت الكثير الكثير (ليمانكا)
بصفتك فائزة مثلي، أتمنى لك ليلة سعيدة. (يخرج بروسيو وتبعه كاترينا).
هورستيو : أجل أنها الرئح الكبير، أكمل طريقك بعد أن روّصت أعنف
الشرسات.

لومستيو : اسبح لي لأن أعرب لك عن دهشتي من استسلامها إليك ومن
نجاحك في ترويضها غير المأمول. (يخرجان).

﴿ تَمَّت ﴾

العبرة في النهاية

تعريب

أ. ر. مشاطي

أشخاص المسرحية

ملك فرنسا
دوق فلورنسا
برتران: كونت روسيون
لافو: سيد عجوز
بارول: صديق برتران.
المهرج
سادة فرنسيون هي عذبة دوق فلورنسا.
وكيل المصرف.
غلام.
رجال حاشية.
ضباط
جنود
كوتيس روسيون: والدة برتران.
هيلانة: مرافقة الكوتيس.
ارملة عجوز من فلورنسا
دهلنا: ابنة الأرملة
فيوليتا: { صليحة الأرملة.
تريانا: {
تجري الأحداث ثارة هي فرنسا وطوراً في توسكانا.

الفصل الاول

المشهد الاول في قصر كونت روسيون.

(يدخل برزقان وكونيس روسيون وهيلانة ولانو. جميعهم يرتدون ثياب الحداد.)

الكونيس : بمفارقة ولدي الحبيب ادفن زوجاً عزيزاً ثانياً.
برزقان : وانا برحيلي يا سيدتي الوالدة، ابكي مجدداً موت ابي، غير انني
مصطر الى الحضور لأوامر السيد الجليل الذي أجدي من اتباعه وتحت رعايته.
لانو : متلاقين في الملك زوجاً يا سيدتي، وانت يا سيدي ستجد اباً احاط
الجميع دوماً بانفضاله، ولا بد من ان يحفظ لكما ايضاً كل عطف وتقدير
يجدر بكما ان لا تحرما نفسيكما منهما.

الكونيس : هل من أمل في شفاء الملك؟
لانو : لقد صرف اطباءه يا سيدتي، بعد أن استنفدت علاجاتهم كل أمل
في استرداد صحته ولو على المدى الطويل.

الكونيس : (تشير الى هيلانة) كان لهذه السيدة الغابة والد يحزنني ذكر
اسمه لأنه أنصف بالشهامة والعلم الذي كان يصفى طول العمر على الطبيعة
البشرية ويبعد الموت عن الناس ولو كان على قيد الحياة، لنا وثقة بأنه
كان ضفي الملك من مرضه المصالح.

لافلو : ما هو اسم الشخص الذي تتكلمين عنه يا سيدتي؟
الكوتفيس : كان يدعى جيرار دي نربون، وكان رجلاً شهيراً في مهنة كطبيب
يا مولاي.

لافلو : أجل، في الحقيقة يا سيدتي، كان رجلاً متفوقاً: لأن الملك تحدث
عنه في وقت قريب باعجاب وأسف شديد على غيابه نظراً إلى مهارته.
وكم تمنى أن يكون حياً لأنه موافق بأن العلم يتطلب على المرض.
برتوان : ما هي العلة التي يشكو منها الملك يا مولاي؟

لافلو : يشكو من جفاف في الحروق يا سيدي.

برتوان : هذه أول مرة لسمع فيها بهذا المرض.

لافلو : المسألة ليست كثيرة التعقيد. هل هذه السيدة ابنة جيرار دي نربون؟
الكوتفيس : أجل، ابنته الوحيدة يا مولاي. وقد لوكل امرها الي. وأنا لي
وطيد الأمل بأن تكون عند حسن ظني بتربيتها الممتازة، إذ ورثت خصالاً
تزيد صفاتها الحميدة روعة، وتضيف إلى مواهبها العديدة علو النفس وطيبة
القلب. لأن المواهب إذا لم تقترن بالمصلحة تحول إلى تقالص مخزية. بينما
إذا رقيت الوراثة تزيدها وقاء ونبل اخلاق.

لافلو : ثلوك يا سيدتي يستدر دموع عرقاتها بالجميل.

الكوتفيس : هذا الماء المالح هو أول ما يمكن الففاة ان تمزج به المديح
الذي تلقاه. لأن ذكرى والدها لا تفارق ذهنها، فيستبد بها الحزن وبسبب
لها شحوب خديها ويسرق منها زهو حياتها. كفى يا هيلانة، حياً نلعب.
يدور عليك انك تستسلمين للكآبة بعكس ما ينبغي عليك.

هيلانة : اذا ظهرت على وجهي علامات الكدر فهذا يعني انه يعصر قلبي
عصراً.

لافلو : صليقني، ان الحزن المحتدل دين علينا نحو الاموات، بينما الحزن
الشديد هو عدو الأحياء.

هيلانة : اذا فوتم الاحياء آلامهم بتصميم، لا يلبث تقاطعها ان يقضي عليهم
بسرعة.

لافلو : كيف يجب ان نهم ذلك؟

برتران : انا أكتسب صلواتك، يا سيدتي.

الكوثيس : أباركك، يا برتران، وأتمنى أن تكون حبر خلف لا يبك بفضلك وافمالك وسلوكك في الحياة. لا بد لأصلك من أن يوازي علو اخلاقك، ولطيفة قلبك من أن تعادل رفيع محدك. أحب كل الناس يا ولدي، ولا تنق إلا بالحنّة منهم دون أن تسب ضرراً لأحد تملح لمجاهة علوك بالتحذير لا بالحنف، واترك خصصك خوفاً تحت رحمة مفتضيات مبالحك. دع الناس تأخذ عليك السكوت ولا تفسح لهم مجال لومك على كثرة الكلام. إلتمس من السماء أن تعطرك بنعمها وأن تجود عليك ببركاتها. الوداع. (للاقر)

هذا مولى حديث العهد فأرجو أن تزوده بمصالحك الصالحة.

لاقر : يمكنك أن تشكل على اصدق اخلاصي له.

الكوثيس : بركة السماء تشملك، يا برتران، الوداع.

(يخرج)

برتران : (لهلانة) أتمنى لك أن تتحقق جميع آمالك واحلامك. وإن تكومي تعزية لمي سيدتك التي آمل أن تحيطها بأحسن العناية والرعاية.

لاقر : وداهاً ايها السيدة الجميلة. لا تنسي أن تعجدي ذكرى والدك.

(يخرج برتران ولاقر)

هيلانة : (وحددها) لو اقتصر الامر على ذلك فقط لما فكرت بأبي الذي تلقى به احتراماً ودموعي إجلالاً لذكره العزيزة. كيف كان! لست ادري تماماً لاني اكاد انسى صورته لأن محيلتي لم تحفظ إلا رسم برتران. لا ليس لوجودي من مرور اذا ابتعد عني برتران. يحمل بي ان اعشق نجماً متلألأاً ولا أفكر بالاتزان به لأنه ارفع مني نسباً بما لا يقاس. وإذا وصلت الي أنواره فأحسن بانها اشعاعات بعيدة لا يصعب علي الارتقاء الى اجوائها. وما هو املي يحبه يتقلب عذاباً ألماً. لان النعجة التي تطمح الى مشاركة الأسد في حياته محكوم عليها بالموت المحتم مختنقة بهوم هواها. كانت ابهج اماني ان اشاهده في كل ساعة بقربي، وإن جرحني سيوف لحظه العائن، ومهما حزت في قلبي خصال شعره الذهبي وكوانتي شوقي الى التمتع بروبة فسات وجهه الصبوح. اما الآن وقد غاب عن نظري، فان حسرتي

تكاد تخفني ولهفتي عليه تخرق كالسهم صدري المتقبض. بالله عليكم،
ابن هو؟ ارشولي الى مكانه.

(بدل بارول)

هذا رجل من حاشيته، أحمه لأجله رغم اني اعرف جيداً انه كلاب حقير
وعبي لثيم بكل معنى الكلمة وجبان عيسى. انما تقاصه هذه تلاثم وضعه
الى حد جعلها مقبولة. لان التفضيلة غريبة عن طبعه القولاذي وان ارتجف
عطفه في وجه الرياح الشمالية الجليدية لذ قليلاً ما يفوز عبر المستحقين
بامانيهم رغم حسانتهم وبلاذتهم.

بارول : حساك الله لينها الملكة الراقصة.

هيلانة : وانت ايضاً لينها الملك الوقور.

بارول : هل انا ملك؟

هيلانة : وهل انا ملكة؟

بارول : اراك تتألمين ربما بمسألة البتولية.

هيلانة : أجل، كما تفكر انت بامور البتولية. دعني اطرح عليك سؤالاً:
يقال ان الرجل علو البتولية. فكيف نستطيع ان نحتمي من نحن النساء.
بارول : ابعدني عن دربه.

هيلانة : لكنه لا يكف عن مهاجمتنا. ومهما كانت المرأة جريئة وشجاعة
في الدفاع عن نفسها تظل بتوليتها ضعيفة.

بارول : هذا غير صحيح، نظير ما ينسب الى الرجل انه متى وجد نفسه
امانها يحتال عليها ليال منها وطره.

هيلانة : اطلب من السماء ان تحمي بتوليتنا من كل هجوم وتهيار. لويس
هناك من طرق عسكرية لوقايتنا من الرجال والمفوز عليهم؟

بارول : حين تطلب البتولية على امرها تحور عزيمة الرجل. انما عندما تنفتح
الفترة التي تحدثها المرأة امامه، لا يلبث ان يعود الى الحصار والانتصار.
ما دام لا سبيل في دولة الطبيعة البشرية لحماية البتولية، وما دام زوالها
يمهد الى ازدهار الثروة الانسانية. ولي تحلق اية عفواء لذا لم تترع هذه
البتولية اولاً، والنسيج الذي تكوّن منه الانوثة بشكل افضل حمى للعناري.

لد حين تقول البتولة بعوض عنها بمشرة من العنبرى بينما المحافظة عليها
عسارة فلدحة لا يعقبا اي كسب. صديقى، هذه معركة بارعة تقتضى
حراة ومهارة.

هيلانة : لود ان اثريت قليلاً ولو اضطررت الى قضاء العمر كله عذراء.
بارول : لا مجال للتوقف طويلاً عند هذه النقطة لأنها تخالف ماوس طبيعة
البشر. مع العلم ان الاصرار على دوام البتولة امانة لا تغفر موجهة الى
والدتك بالذات. اذ ليس اصعب من الموت كعذراء. اما البتولة التي تستهلك
فلا بد من دفنها على الطرقات العامة بعيداً عن كل احترام وتكريم لأنها
تكون مثمة بارتكاب جناية بالسة بحق الطبيعة، ما دامت البتولة تولد الدود
نظير الحية التي تؤكل مع ذلك حتى آخرها، وتستهلك هكذا بسبب المبالغة
في اشباع اللهم. من جهة اخرى نرى البتولة كنية متعجرة باطلة مقعنة
بالكبرياء غارقة في احقر المعاصي ولو حمتها جميع الاسلحة. لا تتمسكي
بها، لأنها بعد عشرة اعوام تتضائل عصمتها، وهذا ربح لا يستهان به يضاف
الى رأس المال الذي يظل على حاله. فما عليك الا ان تجري حظك.
هيلانة : ما العمل، يا مولاي، لكي أجود بها حسب تلميحك؟

بارول : لعمري، لا سبيل الى خيار أولى من الذي قرّ رأبك عليه. اذ لا
بد من اختيار يدعمه التفصيل. فهذه سلعة تفقد رونقها اذا ظلت محفوظة
في مستودعها. وكلما زاد الحرص عليها كلما نقصت قيمتها. فما عليك
إلا ان تمنحها من يقرأها ويرغب في الحصول عليها. لان البتولة تهبو
كالعاشق المجور الذي يلبس ما لا يليق بعمره، فيما حبيته ترقل في اجمل
حللها التي ان طال بها الزمن يظل زيتها نظير الليسونة التي ترمي بعد عصرها
أو حين يدركها الذبول والعفن. فما اجمل الفواكه النضرة وما اقبحها عندما
تفقد رونقها، وما اشبهها بالبتولة المسنة التي يمرور الزمن وبدون تذوقها
تصبح دمية المظهر كريهة الطعم لا تصلح عندك إلا للرمي في سلة النفايات.
فما رأيك بذلك؟

هيلانة : انا لا ارغب الآن في التصريط بينولتي. هاك في البلاط يسمى سيدك
ان يتقي بين الف من صاحباته من تصبح اما وصديقة ويدعوها عصفوره

الجميل وقائمه وعدوه ودليته وملاكه وملكنه ومرشدته وخدامته وحبيبه... ركب يله
وحقارته ووضاعته المتجيرة ولحنه النشاز وانسجامه الرحيم. هناك الف اسم
واسم جذاب مشرق يترنم به اليه الحب الأسمى كوييد. حينئذ يصيح...
لا تدري ماذا يصيح... كان الله في عونك. فالبلاط مدرسة مفيدة تزود الرجل
بالخبرة والهمة.

بارول : قل لي، من أية فئة من الرجال هو؟
هيلانة : هو رجل أود له كل خير. لكن الشر...
بارول : أين الشر؟

هيلانة : أرجو أن لا تتطور أمانتك، حتى لا تتيح لنا الظروف نحن المسكينات
أن نكيل لأحساننا ما يشعرون به عالية سلبتنا، ونعبر عما يخطرنا من الأفكار
لا تستحق أي تقدير.

(يدخل أحد الفلاحين)

الفلاح : يا سيدي بارول، مولاي يستدعيك.

بارول : وداعاً يا هيلانة الرقيقة. إذا لم تعفني ذاكرتي، سأفكر فيك عندما
أكون في البلاط.

هيلانة : يا سيدي بارول، أنت تحت رعاية أي برج عطوف ولدت؟
بارول : أنا ولدت تحت رعاية برج إله الحرب.
هيلانة : هذا ما توقعته لك.

بارول : لماذا؟

هيلانة : لأن الحرب قد انتهت فوالك، ولا بد من أن تكون قاضياً لهذا البرج.
بارول : في تعجبه وسيطرته.

هيلانة : بل بالحري في حركته الرجعية.

بارول : ماذا يدعوك إلى هذا الظن؟

هيلانة : مهارتك في التراجع.

بارول : للاستفادة من كل فرصة.

هيلانة : عندما نهرب يكون هذا لصالحنا، لا سيما إذا وجدنا سلامتنا في

الخوف والحذر. على كل حال، هذا المزيج من الشجاعة والفرع الذي
تشر به هو فضيلة مجتحة ستخدمك زمناً طويلاً.
بارول : أنا الآن مقفل بالمشاغل، ولا يعني أن أرد عليك بقارص الكلام،
فأعود عاشقاً مكسلاً، إذ ذاك تطمس دروسي كل علومك مهما استوعبت
من نصائح خبير مثلي، وفهمت نوجيهااتي. وإلا أصمت عمرك سدى في
وجود عقيم، وأطاح بك جهلك ووماك في شر المهالك. الوداع. عندما
يتسنى لك وقت فراغ، عليك أن تضرعي وتتهلي. وإذا لم تحصلي على
مرادك، تذكرى اصدقائك وحاولي أن تلاقى بينهم زوجاً صالحاً تبادلينه نفس
شعوره. وداعاً

(مخرج)

هلاله : غالباً ما نحوي في اعماق الدواء الذي نلتمه من السماء لشفاء
علتنا. فالمصير الذي يخبئه لنا القدر يتركنا أحراراً في اختصار مهنتنا. ولا
تأخر مشاريعنا إلا عندما نظل حيارى جامدين بدون حراك. لعمرى، ما
هي القلوة التي ترفع حبي هكذا عالياً، وتتيح لي أن اشبع نظري من بهاء
طلعة حبي؟ كثيراً ما يرى أهد الأشخاص عن الخطر، نظير أهل الهوى،
يضمهم الشوق في عناق منسجم أصيل. فالأمور الرائعة مستحيلة في منظار
العرف العام على من يهاب الصعاب ويتصور الأمر الوحيد المنال لا سبيل
للمره إلى الوصول إليه، مهما طلل وحال. فمن هي التي بعد كل هذه الجهود
لا تثبت اعليتها، لم تنجح في إرضاء حبيبها؟ أما مرض الملك فقد يصعب
في مشروعي على ما أرجوه له من شفاء عاجل، أما تصممي لا رجوع
عنه ابداً وأنا واثقة كل الثقة بأن التوفيق سيكون حليفي.

(مخرج)

المشهد الثاني في باريس داخل القصر الملكي.

(نسمع موسيقى. يدخل ملك فرنسا بيته رسائل وبعده سادة ووجهاء في خدمته).

الملك : ها هم اهالي فلورنسا واهالي سيانا قد حاربوا بإمكانيات متساوية، ولا يزالون يشتون الى الآن حرباً ضروساً.

السيد الاول : هذا ما يتداوله الناس في قول، يا مولاي.

الملك : (وهو غير بعيد عن الواقع) ها قد بلغتنا تتيب هذا النبا في رسالة من ابن عمي النمساوي الذي يبهني الى قرب التماس اهالي فلورنسا منا العون السريع. وهذا الصديق العزيز يلبي طلباتهم وعلى ما يبدو ينتظر منا الرخص.

السيد الاول : لقد عبرت يا صاحب الجلالة مراراً اخلاصه وحكمته. وهذا يستحق من قبلك كل تقدير.

الملك : اجل، استجاب طلبي وسلمهم اسلحة. بينما رفضت فلورنسا قبلاً ان تقدم لك طلبك. على كل حال بين وجهتنا من يود أن يخدم في توسكانا. وهم يستطيعون ان ينحازوا الى اية جهة ترضي امواءهم.

السيد الثاني : من هاء عليا ان نستخلص دوسا يستفيد منه نبلناؤنا الذين يماطلون في استغلال الرغبات والظروف.

الملك : من القادم إلينا؟ (يدخل برتران ولاقو وبارول).

السيد الاول : يا مولاي الكريم، هوذا برتران الشاب كونت روسيون. الملك : (لبرتران) انيها الفتى انت تشبه اهلك كل الشبه. فطيمته الحرة واخلاصه الزهيه قد انتقلا الى شخصك بالوراثة. وأملني ان تنسبته منه ايضاً جميع صفاته الحميدة اهلاً بك في باريس.

برتران : اقدم لك جزيل شكري وولائي، يا مولاي.

الملك : ليتني امك تمام علمتي كما كنت في عهد ابيك الذي ربطني

به رقة السلاح في بيع عمرنا. وكنا في تلك الأيام اشجع الفرسان لا نهاب السلبا. لكن الشيخوخة داهتني وانهكت عزمي. كم يسرني التحدث عن والدك! لانا عندما كنا في عز صبا كنا جميع رجال البلاط يحسدونا ويمازحونا وكنا لا نتورع عن التكبث بلورنا. وكان والدك الشهم لا يفوته شيء من المروءة والمجد، لا سيما حين يتحداه احد المفرورين. فثبت جذرته وقوته ويناقش عند الزوم، ويلجأ الي سيفه اذا اتصى الأمر. وكان لشدة كرمه بحسن معاملة رجاله وبكرمهم وبعتز بهم ولا يترك مجالاً لأي انتقاد او تطاول. هكذا كان ليوك وكما كنت انا، مثلاً للشرف، فربما ثقة الجميع وصداقتهم الخالصة. ولم يعرف احد حتى الآن على الخروج على هذا النهج الخير.

برتران : يا مولاي، ارى ان ذكره مطبوعة في ذهن سيادتك اكثر مما هي على صفحات التاريخ. وثنايك على بطوله لا يقل عما تستع به جلالتك من هبة ووقار.

المملك : لنا أسف لفرقاء، كما كان من عادته ان يقول، كأن صوته لا يزال يرن في اذني. ولم يكن يلقي كلامه جزافاً بل يلفظ به بطريقة تجعل وقفه مأثوساً على الأذن حيث يوسع ويضمر ويضم. وكم مرة سمعته يقول: لود أن أموت لاني لا احب ان اكون مصباحاً حاليماً من الزيت لا اضيه للاجيال التي غبا ذكورها ولم تعد آمالها تتحدى انافة الملابس وبهجة المظاهر التي تبعد قبل ان يتغير زي الثياب. هكذا كانت امانيه وآماله انا ايضاً. لكني الآن، وقد ثقلت على كلعلي السنون، لم اعد اجني لا شمعاً ولا عسلاً من الازهار لخالتي، وأن لي ان ارحل لأفسح المجال لغيري من العاملين. السيد الثاني : كنت محبوب يا مولاي، وحتى انحصارك سينصرفون على عبايك بعد العمر الطويل.

المملك : لنا اعراف شي لا املاً مكاني. لرجوك ايها الكونت ان تقول لي منذ كم سنة مات طبيب والدك، وهر في أوج الشهرة؟

برتران : منذ ستة اشهر يا مولاي.

المملك : لو كان على قيد الحياة لمحاولت الاستفادة من خبرته. لرجوك ان

تمسك بيدي. اما معظم اطبائي ملاحظ انهم يستعملون صحتي بغير
علاجتهم في جسي الرهن، ومن الآن وصاعداً يستطيعون ان يحاولوا
ويجربوا كما يشاؤون. املاً بك ايها الكونت، فانت بمقام ولدي.
برنران : أشكر جلالتك على هذه الثقة الثمينة.
(بمرحاض ونصح المرسلي).

المشهد الثالث في قصر كونت روسيون.

تدخل الكونتيس ووكيل المصرف والمهرج.

الكونتيس : الآن كلي آذان صاغية لسامعك. ماذا جئت عن هذه السيدة الصبية؟
وكيل المصرف : لود ان تذكرني دائماً يا سيدتي، ما امدت لك من خدمات
جارية، وان تضعيها في سجلي الى اعمالي السابقة. لانا بيدنا كثيراً ما نخرج
كبرياءنا ونسود صفحة ملوكنا.

الكونتيس : (تلمت الى المهرج) ماذا يصنع هذا اللعين هنا؟ اذهب ايها
الغبي لأن ما قدم بحقك من الشكوى لا تصدق ولا تشرف. وانا ادرى
الناس بصفاتك وبأفضالك التي لا ترفع الرأس نظراً الى تصرفاتك الدنية.
المهرج . انت تعرفين جيداً يا سيدتي، اني رجل بائس مسكين.
الكونتيس : لا اجهل ذلك.

المهرج : ليس لداً من صالحي يا سيدتي كما هو مرسوم، ان اكون فقيراً
مع ان اغلب الأثرياء لا يتمتعون بحال افضل من حالي. كما ان سمعت
يا صاحبة السمور سمي انا والمدعو ايزابو الى تحقيق اماننا.
الكونتيس : بمعك الآن ان تصبح مسؤولاً.

المهرج : اجل، فقط لأنك في معالجة هذه القضية.

الكونتيس : أية قضية؟

المهرج : قضيتي وقضية ليزيو. فالخدمة ليست وراثية، وأنا على يقين بأنني لن أنال ابداً رضى الله قبل ان تنجب اولاداً لأن الأطفال بركة كما يقال.

الكونتيس : اخبرني، ما الداعي الى زواجك؟

المهرج : جسمي يفرضه علي يا سيدتي، فانا انتقاد الى جسدي، وعلى المرء ان يسير الى حيث يجره الجسد.

الكونتيس : هل هذه هي كل اسبابك يا حديقي؟

المهرج : في الحقيقة يا سيدتي، لدي اسباب اخرى تقوية.

الكونتيس : هل من الممكن ان تعرفها؟

المهرج : كنت مثلاً بالذنوب يا سيدتي، بظيورك وظهر جميع الناس المخلوقين من لحم ودم، وأنا اود الزواج لأتوب.

الكونتيس : الزواج لا الشر.

المهرج : انا لا اصدقاء لي، وآمل ان اعرض عن هذا النقص بزوجة صالحة.

الكونتيس : امرك غريب، لأن هؤلاء الاصدقاء هم بالحرى اعداء.

المهرج : انت تحكمين على الناس بدون تبصر في كنه الامور يا مولائي. فني بان هؤلاء من اعز الاصدقاء المحبين، ولأنهم اخياء يفعلون ما يصنعني

من الاعمال. فمن يحرق ارضي يومئذ تصب علي بهائمى ويدعني اجني غلتي واذا خائني احد منهم استطاع كأنه خائني. ومن يسلي زوجتي يوفر

علي عناء ارضائها. ومن يؤمر لي كل هذه الحاجات يحبني ويمكن لي صداقة خالصة. وهكذا من يوافق امرأتي يثبت انه من اغلى الاصحاب. ولو وقع

الناس بما هم حاصلون عليه لما بقي من خوف في حق الزواج. في الحقيقة لرى الشاب المرح يشرب والمتدين المتمزج يختلف عن سائر الانبياء

المتشابهين. ما قاموا يستطيعون ان يشكرو قروهم بقرون سائر لوعال القطيع.

الكونتيس : لن تفلح عن النسيمة وسيظل لسانك لاذعاً كالسوط، يا لعين.

المهرج : انا لست نيباً يا سيدتي، انما اذيع الحقيقة من اقصر السبل (بتمني):
داني ترويه تشوذة

على كل لسان مسرودة

لأن الزواج قصة ونصيب

وحسد الناس امر عجيب.

الكوتيس : اخرج من هنا يا سيدي. لوذ ان اقول لك في الحال كلمتين.
وكهل الضرب : اتردين يا سيدتي ان نطلي مع استدعاء هيلانة، لاني لريد
أن اكللك عنها؟

الكوتيس : يا مغفل قل لمرافقتي هيلانة ان تأتي، لأنني لريد ان اتحدث اليها.
المهرج : من تقصدين بهذا الاسم يا سيدتي

ذات الوجه الصبوح موضوع مودتي؟

كان اسمها سيباً في حرب طروادة

اذ احبها الفتى باريس بلا هوادة

وكانت فرجة الملك بريام

بما أصدره لاجلها من أحكام

اذ قدّر فيها الكرم والحنان

منذ أطل عليها حبيبها الولهان

وهي الصبية الصالحة بين عشرة

نطلب بجوار حسننها العشرة.

الكوتيس : ماذا نقول يا غبي؟ انت تشوّه الانشودة. امي حقاً صالحة بين
عشرات النساء.

المهرج : بقولي هذا انا بالعكس ارفع شأن المغيبة لانها فعلاً افضل الفتيات.
واتا اتنى نظيرها لجميع الشبان. اما انا فلن اتذمر إن حصلت علي واحدة
مثلهاء، إن كان الامر متوسطاً بي. فواحدة من عشرة إن كانت حقاً صالحة
يضر وجودها أي رجل بالسعادة والهناء. لأنها كالثهاب تمر مسرعة في
سلكه، وإن اعتزّت الأرض لانوثتها يكون نصيبها لفضل الهبات. اذ من السهل
على الرجل ان يقطع قلبه من مكانه لكي يحظى بامرأة فاضلة تسعد ايامه.
المكوتيس : الا تريد ان تخرج يا مغفل، وقد تنفذ حالاً ما أمرتك به؟
المهرج : مشبهة الله له يطيع الرجل اوامر زوجته بدون ان يرتكب أي شر.

فالشرف عندي وإن لم أكن متمتة بأي عليّ إن أتى أي محظور. فهي
تلبس ثوب الخواضع الأسود وتخفي ظلاً عطوفاً نقياً ماصع البياض. لذا ذلعب
لأنادي هيلانة كما ترغيبين.

(يخرج المخرج)

الكونتيس : أنا مصنية.

وكيل الصرف : أنا أعرف يا سيدتي أنك تحبين كثيراً مراقبتك هيلانة.
الكونتيس : أجل، لأن والدها لوصاتي بها كوديعة غالية. ولو لم تكن موضوع
هذه القضية لكأنت حازت مع ذلك على ما تستحقه من محبة ورعاية لأن
الجميع، نظراً إلى كرم أخلاقها مستعدون لمسامحة أكثر مما تطلب بسفاه
ودون تحفظ.

وكيل الصرف : مكثت بقربها يا سيدتي منذ لحظة، مدة أطول مما هي
تستحق. وسعيتها تخاطب نفسها بهذه اللهجة بدون أن نظن طبعاً أنني اسمعها
تردد لنفسها هذه الأفكار الغريبة بصوت عالٍ، وفهمت بصورة غير مباشرة
أنها تحب ذلك، إذ قالت : « شاء حظي أن يجعل بيني وبينه هذه الفوارق
العائلة، والحب لا يخضع للنظام ولا يحترف بالتفوق والجاه والمال ولا يتفاوت
المستوى بين المحبين. فليدانا ليست عذرة العذارى، لأنها فوجئت واستسلمت
بدون شرط ». هذا ما كانت تقول به مرارة الهمّة وبشكل لم يسبق لعفراء
أن يأت به أمامي فظننت من واجبي أن أعلمك بالأمر صريحاً لئلا يرى أي
خطر لو شرى يمكن أن يطرأ وانت راغبة في الاطلاع على ما يدور في خلدها.
الكونتيس : تصرفك لا أشرف منه. احفظ هذا في قلبك فإن ظنونا عديدة
كانت تساورني وكنت أتأرجح بين الشك والهنء. أرجوك أن تكتم هذا
السّر في أعماق صدرك، وأنا أشكرك على غيرتك وشهامتك. ستتحدث في
هذه القضية عن قريب. (يخرج وكيل الصرف). هكذا كان حالي عندما
كنت صبية. وهذا أمر طبيعي لأن الشكوك لا يتفصل عن ورود الشباب
في ثورة الغفوان، بل هو ميزة الطبيعة المحفكة بالهيام والخوف المتبادل
المنجذب بين حنايا الضلوع. ها هي تذكارات ماضي حياتي تعود إلى ذهني

نفس المشاهد والاعطاء، وهي ليست وفقاً عليّ وحدي. فان نظرتها الثالثة
تبيّن بما يحصف في قلبها من وجد وحزن.

(دخل هيلانة)

هيلانة : ماذا تريدان يا مولاتي؟

الكوتيس : انت تعلمين يا هيلانة اني احبك كوالدتك.

هيلانة : اجل يا سبتي الكريمة.

الكوتيس : بل انا بمقام امك. ولماذا لا اكون كوالدتك؟ لاحظت عليك
بعض الارتعاش عندما كلمتك في هذا الموضع، كأن اقمي لدغتك. فلماذا
تجعلك لئلة الام ترتجفين هكذا؟ اكرر عليك اني لعزك مثل امك واعتبرك
كألك ابنتي وقطعة من كبدي. وما اكثر الحالات التي يكون فيها الرب
اغلى من الولد الشرعي، وإن كان من صلب غريب. انت لم تسمي لي
آلام مخاض الامومة وسهر الليالي، مع ذلك اكنّ لك حنو الوالدة. سامعني
الله. هل من داع لاي تحفظ بين الام وابنتها؟ ماذا يستدر دموعك هكذا؟
ولسخطك شبه بالنرجس الزاهي الاولان. ابزججك ان اهدك كتابتي؟

هيلانة : لكنني في الواقع لست ابنتك.

الكوتيس : انا اعتبر نفسي كوالدتك.

هيلانة : لرجوك يا سبتي، ان لا تنسي ان كونت روسيون لا يمكن ان
يكون اخي. فلانا من اصل رصيع وهو عريق النسب. اهلي ليسوا نبلاء، بينما
جميع دويه من الاشراف. هو سيدي العزيز، وانا عادمة المطيعة ساعط
امنة على عهده، دون ان يكون شقيقي

المكوتيس : ولا ان اكون انا امك.

هيلانة : انت بمقام والدتي يا سبتي، انما لا سمح الله ان يكون سيدي
ابنتك شقيقي. ولا ان تكن انت امي الحقيقية. ولو كنت حقاً والدنا نحن
الاثنتين، لما كانت سعادتي اعظم، تماماً كما لو كنت انا اخته. ليت هناك
وسيلة لان اكون ابنتك بدون ان يكون هو اخي.

الكوتيس : هذا ممكن فقط، يا هيلانة، اذا اصبحت كتي. اسأل الله ان
لا يحد عنك قبول هذه الفكرة. فاسماء البنات والامهات لن يؤثر على مستواك.

أولا تزلزل وجنتك شاحتي لقد خاطرتني الظنون حول مودتك، وفهمت الآن
سر ميلك إلى العزلة والتأمل واكتشفت مصدر دموعك السخية. وابتقت بانك
بدون شك تهبون ولدي وهذا ما يذمك إلى اخفاء شعورك وتويه هذا
الواقع، ونكران ما تضمره له من حب عميق. فاصدقني الحقيقة بدون
تكتم. ها هي عضودك تعلن هذا الحب الذي لواه بكل وصوح في حركاتك
وفي تمايزك. لأن الحيلة وحده يسمع لسانك عن اليوح بسرك الجلي. تكلمي،
تولي لي ان هذا صحيح. ولا تخفي عني اقل نحيبه، بل اكدي لي اني
غير مختطف في هذا الموضوع. على كل حال اطلب منك ان تبني لي
رغبتك واتا اتعهد لك بان اساعدك على نيل مرامك.

هيلانة : سامحني يا سيدتي الكريمة.

الكولتيس : هل حقاً تحبين ولدي؟

هيلانة : ارجوك ان تسامحني، يا سيدتي النبيلة.

الكولتيس : هل تحبين ابني؟

هيلانة : ألا تحبين انت، يا سيدتي؟

الكولتيس : لا تواري في كلامك. ان حيي له لا يضاهيه اي حب على
وجه الارض لاني امه. هيا ابيني عن شغل قلبك لان اضطرابك يشر
إلى تعلقك به.

هيلانة : (وهي تجلس) لا يسعني إلا ان اعترف هنا راکعة امامك وامام السماء
باني احب ابنتك. كلن اهلي فقراء لكنهم شرفاء. وهكذا حيي له شريف.
فلا تحقني، فإن حيي لابنتك لن يسفر عن اي شر. واتا لا الاضحة لأسعولي
عليه ولن ارضى به زوجاً قبل ان استحق محبته. ربما انا احب عبثاً وأمل
بما قد لا يتحقق يوماً. هذا لا يهم فاني سائبر على محبته مهما كابدت
من قلق ونصحية في سبيله. فانا كاللهدي الذي يبعد الشمس في ديارته الخاطفة،
وبلنفس ان ترسل الله اشعتها التي لا يراها إلا حين تضيء عليه ارجو
يا سيدتي الكريمة ان لا تعكسي حيي حقداً عليّ لأن شعوري يلفني بمحبتك
بحر من الهوى. واتت ذاك يا من يؤكد عطف شيخوختك الجليلة فضيلة
شبابي، لذا احسست بان قلبي يضطرم بمثل هذه الشعلة المقدسة تكونين

قد لمست في آن واحد صفاء وغنى وحنو اشواقى. فالالهة ديانا كانت هي أيضاً عاشقة التوسل اليك ان ترحمني ضحى الذي لا يقوى على منى من بث مودتي الشخص الذي انا واقفة بانه صعب المثال بالنسبة الى نظير من يبحث عن حل احجية عسير حلها.

الكوتيس : او لم تكلمي بصراحة منذ ايام قليلة عن رغبتك في الذهاب الى باريس؟

هيلانة : نعم يا سيدتي.

الكوتيس : لماذا تريد الذهاب الى باريس؟ قل لي الحقيقة.

هيلانة : انقسم بالنعم التي توليتها لاني سأبوح لك بها. انت تعرفين ان والدي ترك لي وادعائي بوصفات عجيبة مخرّبة استخلصها من مطالعته واختبائاته في الحيلة. ولجّ علي قبل ان يموت بان احفظ بسر كتاباته هذه مهما كلفتني الامر، نظرا الى قيمتها وفعاليتها التي تفوق بالحقيقة ما يتوقعه العاقل من هذه الرموز. ونظم من جملة العلاجات دواء لا يخطيء لمعالجة الامراض المستعصية نظير علة الملك التي نفّض الاطباء ايديهم من شفاها.

الكوتيس : هل هذا هو السبب الحقيقي لفجائك الى باريس؟ تكلمي.

هيلانة : مولاي ابنك هو الذي حملني على التفكير بذلك. لان الاطباء والملك نفسهم اُفلموا عن المحاولات العقيمة المكررة بدون جدوى.

الكوتيس : لكن يا هيلانة انا عرضت على الملك مساعدتك هذه، هل يقبل بها يا ترى؟ واية ثقة يوحى اليه اقتراح صبية جاهلة، مثلك بينما مجموع الاطباء قد نفدت حيلهم وتركوه بين اياب الخطر الذي يهدده؟

هيلانة : هذا الشعور يملكني ويفوق علم لبي الذي برع في مهته ولوصاتي بهذه الرصفة المجيبة وكلني امل بان تقضي الى النتيجة المتوخاة يا سيدتي. فارجوك ان تسمح لي بالقيام بهذه المحاولة وانا اتعهد بجنون حياتي لشفاء جلالته في هذه الحال الحرجة.

الكوتيس : هل تؤمنين بفعاليتها؟

هيلانة : انا واقفة من النجاح واضمئة يا سيدتي.

الكوتيس : فلذا اكرر لك يا هيلانة خالص مودتي واستعدادي لمساعدتك

على تنفيذ خططك واحمضك على الذناب بقصى السرعة كي تسمي لدى
المسؤولين في البلاط لعمل ما يلزم. وأنا سأبقى هنا أتمس لك بركة الله
وتوفيقه. فاذهي منذ فجر العاد وكوني على يقين بانني ادعم محاولتك من
كل قلبي راجية لك النجاح والملك الشفاء العاجل.

(نصر جلال)

الفصل الثاني

المشهد الاول في باريس داخل القصر الملكي

(تصدح الموسيقى يدخل الملك ويحمله عدد كبير من السادة القتيان ذاهبين الى الحرب في نورماندا.
ثم يدخل يرتدي دياربول ويسكن الخدم).

الملك : وداعاً أيها السادة القتبان. لا تفعلوا عن أصول الحرب. وداعاً.
ولا تنسوا نصيحتي بل استفيدوا منه بقدر استطاعتكم.
السيد الاول : املي يا مولاي، ان نعود عطفقيرين، وان نجدك يا صاحب
الجلالة بكامل صحتك.

الملك : لا، لا. هذا مستحيل. مع ذلك، لا اريد أن اعترف بأن ظلي لن
يشفى من العلة التي تلتف حيائي. الوداع أيها السادة الشبان. إن عشت
أو مت، ارجو ان تكونوا ابناء فرنسا البررة الكرماء، وان تنزلوا بالبطاليا الفاسقة
ما تستحقه من عقاب وويلات لانها كانت سبب انحطاط الامبراطورية
الرومانية. وانتم لا تلتبسون المجد الثمناً بل تفرضونه فرضاً. وعندما يعود
اشجع الكشافه عليكم ان تحصلوا اثم على ما نبحثون عنه من شهرة وسمعة
طيبة. مرة أخرى اقول لكم الوداع.

السيد الثاني : تمنى لك الصحة الثامة، يا صاحب الجلالة.

الملك : لا تتقروا بفتيات ايطاليا، بل تجنبوهن لانهن بدعيين اننا نحن الفرنسيين لا يسمنا ان نرضى لهن طلباً فحذار من أن يأمرنكم بما يعرضه عليكم من خدمات.

السيدان معاً : فلربما لن نتحيد عن نصائحك.

الملك : وداعاً (لأحد السادة) أرجوك ان تساعدني (بمجدد الملك على سريته للاستراحة).

السيد الأول : (لبرتران) يا سيدي العزيز، لا يجعل بي ان اتركك هكذا ورائي. بارول : ليس الذنب ذنبه، بل ثوب الشرارة...

السيد الثاني : ما هذه الصحة الرائعة.

بارول : انا مسرور جداً بمشاهنتي هؤلاء المحاربين.

برتران : انا باقم بانتظار صلور الأوامر، ولا يستطيع احد ان يحجزني بفكره: سيأتي دورك في السنة القادمة لانك صغير السن ايها الفتى.

بارول : اذا كان قلبك يفرك بالمفارقة فانسحب بشجاعة.

برتران : علي ان أأزم مكاني هنا. فانا محكوم علي ان اسير على البلاط المأس إلى ان لا يبقى من مجد بلهر في اشهار بهيف معشوق إلى القتال. انا افضل ان انسحب.

السيد الأول : وهنا سيكون فرلاً شريفاً.

بارول : لا تحدد في اللجوء اليه، ايها الكونت.

السيد الثاني : حيا، سأكون شريكك. الوداع.

برتران : انا متمسك بالبقاء معك، وفراقك سهم اليم يخترق قوايدي.

السيد الأول : (لبارول) وداعاً ايها الهمام.

السيد الثاني : كلامك وقيتي، يا سيدي بارول.

بارول : ايها الأبطال النبلاء، جميعاً اخوة في السلاح، وسرعنا بركة بتارة. ستجدون في فيلق جماعة « سيني » قائداً يدعى سبوريو، جرحه سمة حريضة على خده الأيسر، احذثه في وجهه حد سيمي المزهف. قل له اني لا ازال على قيد الحياة، واتي امركم بهذا الحادث الطريف.

السيد الثاني : طبعاً ايها الزعيم النبيل.

بارول : كونوا اعز اولاد اله الحرب وبرهنوا على جدوتكم وشجاعتكم
(يخرج السادة. لبرتزان) ماذا تود ان تفعل؟

برتزان : انا باقر هنا. لان الملك...

بارول : لا بد من ان تخص هؤلاء النبلاء بحفاوة بالغة. لانك لومت جواً
من الوداع بارد جداً. الرجاء ان تظهر لهم حرارة اكثر، ما داموا لا يعرفون
اللهجة اللطيفة، بل يصرفون ويتكلمون حسب التيار السائد. وعندما يضبط
الشيطان وقع مسيرتهم، لا يترددون في الجري وراءه. الحق بهم وودعهم
ياحسب الميزات.

برتزان : اجل، سأتبع تعليماتك.

بارول : لا تسألهم رفاق طيبون، وعلى ما يبدو، هم رجال سلاح مزودين
بسيوف مرهقة الحد.

(يخرج برتزان وبارول)

(يدخل لافو ويرمي على اقدام الملك)

لافو : سامحني يا مولاي، وعصر الطرف عن رسالتي.

الملك : نعم بشرط ان تنهض.

لافو : (ينهض) انت ترى الان رجلاً دفع سلفاً ثمن العفو عنه. اريد يا
مولاي ان ارفع امامك لطلب السماح مني فتسحني اياه فوراً.

الملك : انا اريد ذلك ايضاً. لكن بعد ان أثبت على إخلاصك. عندئذ نطلب
العفو.

لافو : ضمنتك جاءت الى جانب الهدف، يا مولاي الجليل. ها هوذا سؤالي:
هل تريد ان تبرا ممّا تشكوه من علة؟

الملك : كلا.

لافو : انت تريد ان تأكل عنباً يا مولاي كما يفعل الثعلب. مع ذلك هذه
حجج رائعة تتفزع بها حين ان كنت حقاً تريد الوصول الى مبتغاك. شاهدت
اليوم طيلاً يارعا يبعث الروح في الحجر، ويحرك جمود الصخر الأسم
ويرقص الحزاني على اطرب الانغام. هلوسة منه تكفي لتقيم البيت من قبره.
ماذا اقول؟ تكفي لجميل الجاهل يادو الى القلم ويمخط أروع رسائل القرام.

الملك : تكلم.

لافو : هو طبيب ماهر يا مولاي، بل طيبة بارعة. فهل تريد أن تستقبلها؟
اقسم لك بشرفي، ان تفكيري سليم بعيد عن المزاج. ولؤكد لك اني حدثت
المرأة التي ادعشتني باتوثتها وحبابها ومشروعها وحكمتها وتصميمها. فلست
ذاتي على ضعف اندفاعي. هل تريد ان تراها يا مولاي؟ انها ترغب في
مقابلتك لتعرض عليك خطتها في المعالجة. اجل اضحك وانزأ بي كما
يحلو لك.

الملك : ادخل، يا عزيزي لافو، هذه الدرة الفريدة لكي انسكن من مشاطرتك
معجابك وازالة دهشتي.

لافو : طبعاً سأعرف رأيك عند انتهاء هذه الزيارة.

(مخرج)

الملك : من طبعه ان يطول التقديمات بدون الوصول الى نتيجة حاسمة.
(يدخل لافو ومنه هيلانة)

لافو : هيا ادخلي.

الملك : لرى الاستمجال يحصلك على اجنحة المغامرة.

لافو : هيا ادخلي بغير وجل، فجلالك بانتظارك وبسطي له ما لديك من
عرض. تهلو عليك سحنة المغامرين. انما جلالة الملك لا يحسن امثالك
ابداً. انا واثق بحسن نيتك، ولا يقلقني ان ترككما منفردين. الى اللقاء.

(مخرج)

الملك : ماذا تريد مني انما الحسنة!

هيلانة : انا يا مولاي انة جبرار دي نربون الذي كان بارعاً في مهته كطبيب.
الملك : اجل، عرفته.

هيلانة : لن اشيد اناً بمزاياه، ما دمت تذكره. هذا يكفي بينما هو على
فرائض الزراع مسلمي عدة وصفات، منها واحدة هي ليرة عبرته الطويلة وعمله
الناجح في اجتارائه الواسعة، وقد اوصلي بالاحتفاظ بها بعناية نظير حين
ثلاثة أعلى من عيني الاثنين. وهكذا فعلت. واليوم حين علمت بان جلالتك
مصاب بمرض مشؤوم، مدفواته ممكنة بهذا العلاج الفعال الذي تركه لي

والذي رحمه الله، جئت أقدمه مع صدق الاعتاصي وموضوعي "راضم،
 الملك : اشكرك ليتها الفتاة. لئلا لا يمتني ان اؤمن بمثل هذا الشفاء، حينما
 قطع منه الأمل ابرخ اطبائنا مجتمعين، وقر رأيهم على ان فهم رغم كل
 الجهود عاجز عن شفاء حائتي المرضية المستعصية لا بد لي من ان اتخطى
 هذا الحكم واتجاوز لفتي بهم وألجأ الى علاجتك ولو كان فيه بعض المخاطرة
 ضارباً بحرصي عرض الحادث لأغفل الحكمة التي عرفت بها واقبل مطالجتي
 بهذا الدواء غير المقبول في علة أعبرها لا تقبل الشفاء حسب تأكيد الاطباء.
 هيلانة : انا لا اوريد ان افرض عليك خدمتي بل التمس بتواضع من كرمك
 الملكي ان تشلني برضاك. ويكنيني كمكاثرة على اتعاني ان اقوم بواجبي
 نحو جلالتك.

الملك : لا يمتني ان امتحك قل من ذلك، اذا لم ارد أن اكون من ناكري
 الجميل. وبما انك شئت ان تسلميني، فقلبي اداً خالص شكري. انا اعرف
 جيداً مقدار احترامك اباي واعلم اي خطر اواجه بدون ان اقوى على درته.
 هيلانة : اي ضرر في تجربة ما استطع عمله بعد إعطائي كل علاج؟ ان
 من يقوم بالأعمال العظيمة، غالباً ما يحققها بأبسط السبل والوسائل. هكذا
 برزنا الكتاب المقدس مفعول حكمة الاطفال عندما يميز الحكماء كما لو
 كانوا اولاداً قاصريين. فالأنهر الكبيرة تعذبها اليتايع والجدلول الصغيرة، والبحار
 الواسعة تستقي مياهها من مجموع الأنهار التي لا توازيها ضخامة. وغالباً
 ما تخطيء الثبوة الهدف وان حطت بأجمل الوعود. واسماناً تبلغ الغاية
 رغم ضعف الآمال وانهايرها الى حضيض القروط.

الملك : علي ان لا اصمي اليك. وداعاً ليتا الفتاة الأمانة. اعشى ان لا يفسر
 جهتك بالفائدة المرجوة التي يترتب علي ان اكافئك لقاءها؟ لأن المروض
 غير المقبولة لا اجر لها سوى الشكر.

هيلانة : ارجوك ان لا تضع مستحقك المرء سدى. اذ لا احد يعرف كل
 شيء مثلي انا، لاني احكم على الامور حسب ظواهرها، وانظر ان الادعاء
 من طرفي لا يعادل اشراك السماء في اعمال البشر. ارجوك يا مولاي ان
 توافق علي اجراء محاولتي ولا تشكل علي عملي بل على فكرة الله. انا لست

دجالة اناطلي ما لا سبيل الى اجتازة، لكي اعلم، وانا على اتم اليقين، ان وصفتي ليست عاجزة وان داهك خير مستعصي الشفاء.

الملك : هل انت هكذا وثقة من النتيجة؟ كم من الوقت يقتضي علاجي حتى استرد عافيتي؟

هيلانة : بدون الله، أمل ان تغيب الشمس مرتين، وقبل ان يطفىء الناس مصابيحهم مرتين، ان يزول من جسمك كل ما يزعجك من سقم قصود الهك صحتك وتعاافي كما كنت في الماضي وتخلص نهائياً من كل مرض. الملك : بماذا تضمنين فعالية عرضك هذا، وعلام تستدين في قناعتك هكذا اجتبا الفتاة؟

هيلانة : لا على أمل في غير موضعه، ولا على فضيلة وقعة تتدفع بها عاهرة فاجرة تغمغم اناشيد بلذبة مشبوهة.. انا اقبل، اذا اخفقت، ان يخلو شرف بوليتي، وان تنزل بي القصى المقروبات وتختتم ابلي باشع العطايات الملك : يدخل الي ان وحيا سماوياً يتكلم بلسانك واسمع برته المجلجلة بصوتك اللطيف. وأظن ان ما يرضه العرف كأنه غير قابل للتحقيق، يستبدل بتدبير آخر نجاحه ممكن. حياتك جوهرة ثينة لان كل الخيرات التي يسعها ان نقتبها هي هذه الدنيا لراها مجتمعة في شخصك الكريم من شباب وجمال وحكمة وشجاعة وقضيلة وكل المواهب السعيدة التي تؤدي الى الهناء في ربيع العمر. فلنكني تفكري انت بجميع هذه القيم لا بد من ان تعتمدني اما على علم واسع أو على بأس رهيب. اجتبا للطبيبة الفتاة اريد ان اجرب العلاج الذي تأتيين به والذي سيوديك الى السهالك اذا لما فارقت الحياة.

هيلانة : ان تجاوزت المهلة المحددة، وفشلت في تحقيق ما اصبو اليه، لبحصني سجل الموت مصحوبة باللغات لاني استحق هذه النهاية. وان لم يتم الشفاء يكون الاعدام حتماً جرائي. لكن اذا ابرأتك فماذا تعدي؟ الملك : اناطلي ما تشائين.

هيلانة : هل تلي فعلاً طلي؟

الملك : بدون اي شك. انقسم بصولجاني وبأمل في الحجة.

هيلانة : اداً ستمنحني بارادتك الملكية زوجاً خاضعاً لسلطانك، سأذلك عليه.
لاي لا احصر على التفكير باختياره من الاسرة الملكية الفرنسية. ما دام
اسمي الوضع الاصل لا ينتمي الى دي منت ربيع الثان. فانا اريد احد
تباهاك وأجرؤ على التماسه منك نظراً الى مقدرتك على تلبية رجائي حسب
وهك.

الملك . هذه يدي تعامدك. فلدا اتممت ما تفرجه عليّ سأحقق رغبتك
حالا فما بقي إلا ان تعيني الوقت. لاني قررت ان اكون المريض الخاضع
لعلاجك وانا متكل على الله وعلى مهارتك. كان علي ان اطرح عليك اسئلة
اخرى. انما ثقني بك بامت لا تتطلب سوى ان اعرف من اين تهب ومن
اوصلك الى هنا. مع ذلك هذا غير هام. اهلاً بك دون اي سؤال آخر.
هلموا الى مساعدتي. من يوجد هنا؟ ان كنت فيها الفتاة بمستوى المسؤولية
التي تأخذونها على عاتقك، فلان مكافأتي ستأجل معروظك.

(تصدح الموسيقى ويخرج الجميع).

المشهد الثاني

في قصر كونت روميو

(تدخل الكونتيس والمهرج).

الكونتيس : حيا يا سيدي، لود أن انتبه مدى حسن تصرفك.
المهرج . انا انتصرف كرجل يتغذى مثل الاغنياء وقد قرى كالفنراء. المهم
ان ادخل البلاط الملكي لان هذا من اغلى امتياني.
الكونتيس : الى البلاط الملكي فقط؟ وماذا تريد غيره؟ ألا تعتبر أن في
الدنيا سواه. أتريد فقط أن تدخل البلاط؟
المهرج : في الحقيقة يا سيدي. اذا من الله علي انسان يحض المواعيد

والمفاهيم، يمكنه ان يستفيد منها في البلاط بسهولة. فهناك اذا لم يعرف
المرء كيف يحني رأسه ويحلج قبحة او يتقبل يد سيدة او يلفظ بعض الكلمات
اللائقة في حينها لا يكون لديه يد أو شفة أو قبحة وفي الواقع لا يكون
احداً لدخول أي بلاط. انما انا لذي على القوام جواب لكل سؤال ابهر
به سامعي.

الكوتيس : لعمري كلامك هنا لا غبار عليه ويصلح جواباً على كل سؤال
المهرج : هو نظير مقعد الحلاق، على قياس جميع المؤخرات العريضة فيها
والمستديرة والمربعة والمحدودة، أجل على قياس جميع الناس.

الكوتيس : هل حقاً جوابك يصلح كردّ على كل الأسئلة؟

المهرج : نظير البندقية في يد الجندي، الديار في يد السراي، وعظام الخطوبة
في يد العاشق الولهان، وكأس الخمرة في يد المدمن على الشرب، والماءرة
الفاجرة بين دواعي فاسق معهلك، وشفتي الخادمة الحسنة على ثغر سيدها
الشاب اللاتي، وبكلمة نظير الطعام الشهى امام الجائع الشره.

الكوتيس : نعم، نعم. تسيراتك تتعلق على جميع الاستهانات.

المهرج : من الدوق الى ابط حارس، تلامك كل الأشخاص وجميع الحالات.

الكوتيس : لا بد من ان يكون جوابك هادئاً ليناسب كل الأسئلة

المهرج : هذه حقيقة اكيدة في نظر العالم الذي يدرك ويقدر الامر واضح
جلي. ما عليك الا ان تسألني وعلى انا ان اجيب. فانا خير ولساني زلق
لا يهيه اي موضوع.

الكوتيس : كم اود ان ارجع الي صباي لو استطعت اليه ميلاً. لا بد
من ان يكون طلبي غريباً. انما جوابك يفضي عليه. بعض القبول. بالله عليك
اجبني، هل انت حقا خبير.

المهرج : لعمري هذا سؤال وجه اطرحه على الف سؤال ابضاً وانا مستعد
للإجابة عليها كلها.

الكوتيس : انا يا صاحبي، صديقة مخلصة واعطى عليك.

المهرج : يا الهي يا الهي. كفى كفى، لا تخرجني نفسك.

الكوتيس : اعتد يا سيدتي بذك غير قادر على الاكل من هذا الطعام الدسم
الصبر الهضم على صحتك.

المهرج : يا الهي! حزيني يا سيدتي، ولا ترددي.

الكوتيس : لقد دفت طعام السوط منذ برهة يا صاح، على ما اظن.

المهرج . يا الهي، يا الهي! قلت لك، لا ترددي.

الكوتيس : تقول، يا الهي، لا ترددي، عندما اكلتك عن السباط التي نزلت
على جسمك كالبرد. في الحقيقة هذا امتحان ناجح. هل ترد بمثل هذه
الجرأة عندما تلقي الضربات.

المهرج : لا، ابدأ. لأن أُملي بالله غير محدود. اعتقد بان الامور تخضع
طويلاً لكن ليس دائماً.

الكوتيس : وفي ضيق في الحقيقة ولا يسعني ان اظيل مزاحي هكذا مع
مهروس مثلك.

المهرج : يا الهي. ها هي تشد الوثاق.

الكوتيس : كفى يا هذا. اذهب الآن الى صملك. (عطيه ورقة) وسلم هذه
الى حيلانة واستعملها في الجواب حالاً. اوصي اهلي وولدي بها ولا تبال.

المهرج : توصية حارة، يا سيدتي.

الكوتيس : هذه مهمة صعبة عليك. هل تفهمي؟

المهرج : لكنها مشرفة كثيراً وسأقوم بها فوراً.

الكوتيس : عد سريعاً.

(يخرج كل منها من جهة مختلفة).

المشهد الثالث

في القصر الملكي ياريس وسط قاعة العرش

(دخل برتران ولانو وبارول)

لانو : يقال ان عصر المعجزات ولى، ولدينا فلاسفة يؤكّدون ببساطة اموراً خارقة الطبيعة لا تقبل التأويل. وهذا ما يجعلنا نعتبر اعجب القضايا كمواضيع صنيعة حين نلجأ الى ادعاء العلم بدلاً من ان نفر بجهلها المريع.
بارول : اجل هذه لنذر امجوبة تحدث في عصرنا الحاضر.

برتران: هذا صحيح.

لانو : بعد ان هجرنا اهل الفن.

بارول : هذا ما اقوله عن اشهر العلماء نظير كاليان وبارلساز.

لانو : مع انهم من اشهر العلماء واجدرهم.

بارول : هذا تماماً ما اقوله انا ايضا.

لانو : ومن قال بخلاف ما ذكرت.

بارول : اجل هذا ما اؤكدك بالذات.

لانو : لكن هذا يبحث على اليأس.

بارول : بالصبط كما اريد ان اقول.

لانو : اعني ان هذا جديد في الكون.

بارول : طبعاً اذا لردت برهانا على ذلك ما عليك إلا ان تقرأه في... بربك

ما اسم هذا الكتاب؟

لانو : شرح القوة المستوبة على سطح الكرة الأرضية

بارول : هذا بالصبط ما اعني.

لانو : لعربي، ولى العهد نمسه ليس انشط من حاجة...

بارول : امر غريب جداً. الكلمة وجيزة، لكن عليها ان تعود اليها على الدوام.

وليس سوى العقول الفاسدة لا تحرف بأن...

لافر : حتى سلطة السماء ذاتها

بارول : أجل هذا ما أقوله.

لافر : وفي أسوأ الاحتمالات...

بارول : آخر المسؤولين يظهر رغبة سامية متزايدة بأن علينا، فوق قدرة الملك ان..

لافر : نعلن اعترافاً شاملاً.

بارول : هذا بالضبط ما كنت اتري قوله. كلماتك جواهر ثمينة. ها هوذا الملك.

(يدخل الملك ومنه حيلانة وبعض الخدم)

لافر : مهما كنت مستاءً، لنسب بشرقي بلتي أحب الصبايا بحرلوة ومودة طالما هي في استاد. لكن ألا يجوز ان يراقص غيري؟

بارول : بلعنك أليست هذه حيلانة؟

لافر : أجل هي بعينها.

الملك : أرسلوا في طلب جميع رجال العاشية (يخرج احد الخدم. لهيلانة) ابنتها المحبة الكريمة اجلسي بقرب مريضك، ويبدك الناعمة التي تعبد التي نشاطي الذي هجرني، أؤكد لك ما وعدتك به. والآن كلميني واعطيني من الذي وقع عليه اختيارك كزوج؟

(يدخل سادة عديون ويصفون أمام العرش بينما لاتر وبارول

ينسحبان في صدر المسرح ليصاحبا السجال للبالير).

الملك : ابنتها الفتاة الخطوة، اجيلي حول الملك انظارك الفاحصة في هؤلاء الشبان النبلاء العازبين الذي يديون لي بالطاعة والولاء. فلي عليهم سلطة مطلقة وفضل ابوي. اختاري بحرقة، لأن هذا اصبح من حقلك، بينما هم لا يجوز لهم ان يرفضوا اي طلب.

هيلانة : ما احلى ان تتبح فرص الحب منح كل منكم حبيبة فاضلة ما عدا واحد فقط. لافر (من صدر المسرح لبارول) تنازل عن حصاني بسرجه ولجامه، واحلق لحيتي واقطع اسناني اذا كان حظي اقل من هؤلاء الشبان. الملك : (لهيلانة) لتحصيهم جيئاً، فنجديهم من اصل ثيل.

هيلانة : ارى، يا مولاي، ان الله ردّ لجلالتك كامل صحتك.

الجميع : اشر بذلك، واشركه تعالى على هذه النعمة الغالية.

هيلانة : انا عفراء بسيطة، وكل تروتي كما اعلن، هي بقولي. فإذا شئت يا صاحب الجلالة، آقا على اتم الاستعداد للقبول بحكمك. مع ان الاحرار عندما يعلو وجنتي يهمس في اذني: انا اصبح خديك خديلاً ممن ستختارينه. فإذا كان نصيحتك المرفض يسود الشحوب القتال محياك، ولن اظهر بعددق ابناً على وجنتك.

الملك : هيا اختاري، واعلمي جيداً ان من يرفض حبك يرفض مودتي انا بالذات.

هيلانة : الآن يا دهباء، لعرب من هيكلك الى الحب الملكي، هذا الاله الطافي الذي يكاد يرقق انقاسي (لأول سيد) هل انت مستعد يا سيدي ان تسمح طلي؟
السيد الأول : وان آليته ايضاً.

هيلانة : اشكرك يا سيدي، لم يعد لدي ما اضيفه (التفت الى السيد الثاني)
لاهو : افضل ان اجرب حظي في اختيارها، على ان اغامر بحياتي برمة زهر اللعب.

هيلانة : (للسيد الثاني) يا سيدي، الفخر الذي يرق في عينيك الجميلتين، حتى قبل ان اتكلم، قد اثناني عن عزمي، بما تضمنه من جواب غير مشجع. انسي ان يرفع الحب عشرين مرة الى اعلى، تلك العاطفة المتواضعة التي تنطوي عليه انسي.

السيد الثاني : انا لا ارجو اكثر من ذلك، اذا كنت انت راضية.

هيلانة : ألسي ان تقبل رجائي، فانا التمس من الحب الكبير ان يحقق حلمي. لذا استأذنيك بالانصراف

لاهو : (من صدر المسرح، لبارول) هل رفضها الجميع؟ لو كانوا ابناي لأمرت بجلدهم بالسياط، وارسلتهم الى الثري المستبد ليجعل منهم خصيانا.
هيلانة : (للسيد الثالث) لا تفرغ اذا حاولت يدك. انا اقدرك كثيراً ولا اريد

لذبتك أسأل الله أن يحقق رغباتك وأرجو لك عروساً أفضل مني لذا شئت أن أتزوج.

لافو : (في صدر المسرح) هؤلاء الفتيان قلوبهم من جليد، إذ لم يقبل أحد منهم بها. لا شك في أنهم جميعاً لقطاء معقدين وليسوا أولاداً شرعيين هيلانة : (للسيد الرابع) أنت صغير السن وثيل جد، ولا ترضى بأن يكون لك ولد من لحمي ودمي.

السيد الرابع : أنا لا أفكر هكذا ابنتها الصبية المرامنة.

لافو : (يشير إلى برتران) لا يزال في العنقود كم حبة عيب. اعتقد بأن والد هذا الشاب كان يشرب الحمر. وإذا لم يكن الأمين خيلاً فغا يكون نقي في الرابعة عشرة من سني لاني أعرفه جيداً.

هيلانة : (لبرتران) لا أجرؤ على القول لاني اختارك. لكنني أقبل بأن اختلك طوال عسري، وانضع لسلطتك المطلقة. هذا هو الرجل الذي أريده.

الملك : هيا ابها الفتى برتران، خذها فهي زوجتك.

برتران : زوجتي أنا يا مولاي؟ التمس من جلالتك أن تأذن لي باختيار من تستلطنها عفاي.

الملك : أولاً تعرف يا برتران، عظم الخدمة الجليلة التي أسديتها إلي هذه للصبية؟

برتران : أجل يا مولاي الكريم، انما لا اعلم لماذا يجب علي أن أقترن بها. الملك : أولاً تعرف انها ليرأسي وخلفتني من برائن آلامي المبرحة، واغششتني من أشدق الموت.

برتران : أألانها انهضك من فرش المرض، يا مولاي، يتحتم علي أن اتع أنا. لاني أعرفها جيداً، لانها تصقت على نفقة لبي. أتريد ابنة طبيب فقير أن تصبح زوجتي؟ لن أسمع لأية شقية مظلها أن تهبط بي إلى مستواها. الملك : أنا مستعد لأن اسمحها القلب الذي يجعلها من مقامك. امر غريب إن تعبير دماغنا مختلف باللون والسرعة والحلوة عن غيرها وهي عند هدرها متشابهة لا تميز فيما بينها إلا بالفوارق التي تفهمها نحن أحياناً. إن كنت تأنف من الاقتران بهذه الفتاة لمجرد كونها ابنة طبيب فقير، فانت مخطيء

لد ترددي بالتفصيل، التي تحليلها بسبب اسم غير عريق. لا تصرف هكذا. فعدما تكون الاعمال مشكورة وإن جاءت من مستوى متواضع، ترفع صاحبها إلى أعلى المراتب. لأن الحصول الحميدة فعلي شأ من اتصف بها. والخير يكرم دوماً صاحبه كاتماً من كان، كما أن الشر يذل فاعله وإن كان من أنبل البلاء. هي صيبة عاقلة وجسيمة. وهذا ما لورثته أياها الطيبة ويحير غير حلية وشرف لها. إنما لا يحتفظ إلا برواسب الشرف والاخلاق ومن يدعي بأنه سليل المجد ولا يشبه أباة الكرم فأنبل منه براء. أعمالنا هي التي نصنعنا لا لمجاد اجنادنا. إنما لفظة شرف فهي كلمة لا يتم معناها إلا إذا نحن برهنا على استحقاقنا لمثلها. هي شارة كاذبة نجدها على أشرطة المكبرين ممن خدعوا البشر بمظاهرهم، وهم غير أهل لأن تضم رفاتهم حفة التراب الذي جبلوا منه. ماذا أقول لك؟ إذا كانت المنة تصحبك في هذه المقراء فانا قادر على جعلها تليق بك لأن فضيلتها وشخصيتها أكبر بألفه تأتلك بها. ما دامت الألقاب والثروات عرضة لموادي الزمان. هذا ما تقدمه لك وألح عليك بأن تقبل به.

برفران : لا يستني ان احبها. ولست مستعداً لذل اي مجهود في هذا السيل.
الملك : انا واثق بانك ستقدم اذا لم توافق علي تلبية طلبي.
هيلانة : يكفيني يا مولاي ان اكون سعيدة بشعائك، ولا اريد ان أفكر بخير ذلك.

الملك : أصبحت هبتي في الميدان، ولكي انتفضها علي ان اسعى بكل قواي لتلبية رغبتك. ها خذ يدها ايها الفتى المستهتر يمثل هذه المواقف النادرة. انت تتجاسر على احتقار عظمي بوقاحة ولا تقسم وزناً لتصبحني التزيهة. انت تتجاهل اي عندما اصع ثقل في كفة الميزان تخف امجاد اسرتك كثيراً حيال ما اتري ان اخلعه عليها من تقدير وهبات، وما انحف به عرسها من رعدة وجاه. فاضغط على تشامخك وازدرالك وأضع ارادتك لمشييتي التي لا تبجي سوى ضمرك بالخير والبركة لا تصح إلى غرور كبريلك بل انظر إلى مصلحتك وما يمل به عليك واحبك في خدمة سلطتي الواسعة، وإلا حجتك رعايتي وعزمت مستقبلك وشبابك لمساويء انت في غنى

عنها، تزجك فيها قلعة خبرتك في الحياة وحماة بصيرتك الحمقاء لأن
غضبي سيحرقك من عدلي ومن عظمي. ها تكلم وقل لي حالاً ما هو
قرارك النهائي؟

يورتران : اعدوني يا مولاي، لا يمكنني إلا أن أزعج لوجهة نظرك. لاني
احرف مدى الشرف والاكرام الذي تستطيع ان نحوله عني اذا خرجت عن
طاعتك يا صاحب الجلالة. فان ببل محتلي بأبي علي ان اتفأ بكف وعانتك
وحمايك.

الملك : تناول يدما اذاً، واعلن لها قبولك بها زوجة. وانا اعددا بفرقة ولقب
بمستوى مرتبتك.

يورتران : ها انا اسئل وأخذ يدما.

الملك : ما اسعدك لانك قلوت اخيراً ما اریده انا مليكك لك من الجاه
والرفعة. هذا العهد الذي ولد الآن سأكرسه هذه الليلة في حفلة فاعرة.
اما وليمة العرس فتقام حين يحضر المائون من الاهل. فان احببتها برحت
على انك صلاً تورقني وتودني، والا اصبرت فذلك منك استهتاراً وتعداً مطناً
وتقلناً بقبضاً.

(يخرج الملك ويورتران وحيلاه وشاعه والخدم).

لافلو : (لهارول) اسمع يا سيدي هذه الكلمة.

هارول : ماذا تريد يا سيدي.

لافلو : حسناً فعل مولاي بالتسحابه.

هارول : انسحاب مولاي؟

لافلو : أجل هل أتحدث بلغة غير مفهومة؟

هارول : بل بلغة قاسية لا يمكن سماعه بدون لواقه الفماء. تقول مولاي؟

لافلو : وهل انت تساوي كوت روسيون؟

هارول : عن اي كوت تكلم؟ عن جميع الكوتات؟ عن اي رجل كان؟

لافلو : عن اي شخص لقيه كوت. وهل رفیق الكوت من طينة اخرى.

هارول : انت متقدم في السن يا سيدي، وهذا يمكنني لتصنيف قُورالك.

لافر : أؤكد لك ايها المخادع، اني ملقب برجل وهذا لن تحصل عليه
مهما تقدمت انت في العمر.

بارول : ان لم اخرج على عمل اي شيء عفوياً، لن افضله ابداً.

لافر : انشاء لقلبي بك على السائدة مرتين ظننت انك فني عاقل. وقد رنمت
تفاصيل رحلتك بجدارة مشكورة حملتني على اعتبار سببتك من الورن الثقل.
والآن اهديت اليك. فانا قد شكك بجز على الامر لألك تميل الى الشجاعة
وعليك ان تعيد الكرة في اية لحظة ولن يأسف احد على غيابك.

بارول : ولو لم تكن في نظري من ذوي الصفات الحميدة القديمة.

لافر : لا تستسلم الى الغضب لئلا تجرمك اهلؤلك وتصبح مثل دجاجة
ملولة... اياك ان تستسلم ايضاً الى الحسد والقتل. وداعاً. انا لست بحاجة
لان اضع لك قلبي على مصراعيه. فانا ارى... اعطني يدك.

بارول : كلامي في محله، انت تستحق اكثر من ذلك. انا لم افعل ما يستوجب
تأنيبك يا سيدي.

لافر : اجل وستشرب ما اصبه عليك من لوم حتى الشكاة. لاني غير مستعد
للتراجع قيد شعرة عن موقعي.

بارول : هذا درس فاس لي.

لافر : استعد منه ادا. وان شئت ان تحكّم عقلك، امامك طريق وعر طويل
عليك ان تجتازه. لما ان شاهدت نصك يوماً مغلوباً على امرك فيجب
ان تعلم ان عيادك لوصلك الى هذا المأزق. لود ان اتركك معرفة لوفي
وان ادوس طابعك بصورة افضل كي يسنى لي ان اقول عند الحاجة : ه هذا
رجل اعرف بواقته كما يجب .

بارول : انت تغيظني بطريقة غير مباشرة.

لافر : كنت اود ان يكون عذاب الجحيم من نصيبك وان افرض عليك
الى الابد. لكن لم يعد لي من قوة، لذا اتركك بما تسح لي شبحوحتي
من السرعة.

(مخرج)

بارول : انت لك ولد يعكس عنك هذه الالهة الرقعة ايها المجوز المستهتر.

يصبر قليلاً إذ لا سبيل إلى تحقير الأشخاص المعنوي. القسم بحياتي بأنني سأؤتيه حالما اصادفه في أول فرصة مهما كان مقامه رفيعاً، ولن أرحم شيخوخته. أجل سأؤتيه حالما اصادفه.

(يدخل لاني)

لافو : يا محتال، سيدك قد تزوج وأصبح لك سيدة جديدة، فهل بلغت هذا النبأ أم لا؟

بارول : القسس من سيادتك إن تعجبني هذه الاهانة. فالكونت هو سيدي الصغير العزيز، ومولاي الكبير هو الذي اخدمه هناك في العلاء.

لافو : من تقصد؟ الله سبحانه وتعالى؟

بارول : أجل، يا سيدي.

لافو : استغفر ربك بل سيدك هو الشيطان بهينه. لماذا تشيك ذراعك هكذا على صبرك؟ هل يفعل احد من الخدم هكذا؟ عليك ان تحشر قسمك الكلاب حيث يوجد أنفك. بشرفي، لو كنت اصغر سناً لما تأخرت عن ضربك. يخيل اليّ ان وجودك هنا فضيحة ساقطة، على كل الناس ان يردلوها. واعتقد بأنك خلقت لتكون المضحوة للجميع.

بارول : هذه المعاملة قاسية جداً ولا استحقها يا مولاي.

لافو : ما هذا الكلام؟ لقد كان نصيبك الضرب في ايطاليا لأنك اختلست رمانة. انت مشرد ولست مسافراً شرفياً. انت ترافق السادة وصفوة الناس الكرماء الذين لا تساويهم في المقام، لذلك تستحق كل كلمة لوم وعتاب وتستوجب اعتبارك دجالاً. ها انا اغدرك

(مخرج)

(يدخل برتران)

بارول : جيد جداً. هكذا تسير الامور على ما يرام. دعنا نتخاضل عن المسألة بعض الوقت.

برتران : هل حكم عليّ بحمل الهموم الى الابد؟

بارول : ماذا دهاك يا عزيزي؟

برتران : مهما قسمت من ايمان في هذه الساعة امام الجميع، لن اقبلها كزوجة.

بارول : ماذا تقول، يا صديقي.

برتران : لقد زفوني قسراً يا عزيزي بارول. انا ذاهب الى الحرب في توسكانا، ولن اقبل بها مطلقاً كزوجة.

بارول : اني لا اريد بقائك في فرنسا التي لا تستحق التضحية بها الى الحرب. برتران : هذه رسائل من والدي ولا ادري ما هو مضمونها. لاني لم قرأها بعد. بارول : يجعل بك ان تطلع عليها. ها الى الحرب، يا ولدي. من يقي في بيته ليحاق زوجته الشرعية ويصرف بين ذراعها نمغ رجولته بدلاً من ان يساعد ابطال الحرب الشجعان يدفن شرفه في القبر وفي معظم انحاء فرنسا يعيش كالبهايم كما لو كنا في اسطبل. اوليس الأولى بنا اذاً ان نمضي الى الحرب؟

برتران : اجل، هذا واجب. سأرسل زوجتي المزعومة الى بيتا وسأسيء اليها بكرمي لهذه الفتاة التي نسبت في هربي. سأكتب الى الملك ما لم اجرؤ على مصارحته به لان هذه الفتاة التي قدمها لي ستحملني على الانتحار بحملة ابطاليا لمحاربة العليد من البلاد. اذ بت ارى في الحرب هدوما لا يقاس بما تضره داخل بيتي هذه المرأة البغيضة من قلق واضطراب. بارول : هل سيدوم هوسك هذا؟ هل انت واثق مما تقول؟

برتران : تعال معي الى غرفتي لتزويدي بنصائحك. اريد أن أرسلها في الحال. وغداً نذهب، انا الى الحرب، وانت الى عزلك الكئيبة.

بارول : هذه فكرة رائدة اقترحها كثيراً. فهي نظير للموسيقى الشجية، وفيها سائر وعميق الاثر. الشاب المتزوج لا يفهم ان يكون إلا رجلاً تيمساً تنخر الحسرة قلبه. قال الامام اذاً. سأتحلى به بشجاعة، ها. الملك اغفلت بهذا التصرف ولا حيلة لك ازاده سوى الصمت اذ لا سبيل الى تغير حرف من هذا الحال.

(يخرجان)

المشهد الرابع في مكان آخر من القصر.

(يدخل هيلانة وفي يدها رسالة ثم يدخل المهرج)

هيلانة : والدني تحاطبني بحنان. لرجو ان تكون بخير.
المهرج : هي ليست على ما يرام. انما صحتها جيدة. وهي مسرورة انما
ليست سعيدة كما قلت. هي بالذات خير ولا ينقصها شيء في الدنيا. لكنها
مع ذلك ليست على ما يرام.

هيلانة : ان كانت بالذات خير، فماذا يعول دون ان تكون سعيدة؟
المهرج : في الحقيقة هي بالذات خير ولا ينقصها سوى امرين.
هيلانة : الاول انها ليست بالجنة حيث يشاء الله ان يسكنها قريباً، والاخر
انها لا تزال على الارض حيث يريد الله ان يضيها لينقلها الى جواره عما قريب.
(يدخل بارول)

بارول : حلت عليك البركة، يا سيدتي الطيبة القلب.
هيلانة : انا واثقة يا سيدي بانك تنمي لي كل خير وهناء.
بارول : انمي حقاً ان تزيد افراحك وتدوم الى ما شاء الله (للمهرج) أهذا
انت يا مغفل؟ كيف حال سيدتي المجهوز؟
المهرج : آمل ان ترسم تجاعيد وجهها على محياك، وان انال انا ذراعها
كما أشتي.

بارول : انا لم اتيسر بنت شفة.
المهرج : لصبري، انت لست اعقل ما اظن، لان لسان المرأة غالباً ما يرمي
بصاحبه في الهلاك. يجعل بك ان لا تلفظ حرفاً ولا تأتي عملاً ولا
تصرف شيئاً ولا تعطك درهماً، حينئذ يصفلك المذكورة ان تسوي شروى
تقير.

بارول : الى الراء، ايها المحتال الدجال.

المهرج : كان الأولي بك يا مولاي ان تقول لي الي دجال اواسه دجالاً،
لكت بالصواب نطقت يا مولاي.

بارول : هيا انت مجنون موتور. وقد اكتشفك على حقيقتك.
المهرج : لو لم تكتشفني في شخصك يا مولاي؟ لو لم يكتفك احد
بالبحث عي؟ فاليبحث لي يضيع سدي، واذا يوصلك الي اكتشاف جوك
المطبق المتغلغل الي اعماقك سيفرح جميع الناس وتضاعف سرورهم
وضحكاتهم.

بارول : انت مغفل منقطع النظر حقاً، وهوسك لا يدع مجالاً للشك، وفوق
ذلك تريد الرحيل هذا المساء يا سيدي، لان قضية هامة تستدعيها. هناك
واجبات جسيمة ودواعي حب لا أقولم تقتضي حضورها لإنصافها. وهذا
امر لا يجهله احد مع ان الانتاع القسري يضطرها الي التأجيل، فصبراً.
في هذه الاثناء لا بد من ان تجتمع العناصر الفعالة لمعالجة الوضع بنقمة
طويلاً في خلاصة التبصر وحسن التبيد لبوع الفرج احيراً ونيل الأرب
هيلانة : وماذا يريد ايضاً؟

بارول : ان تستأذني الملك حالاً بالانصراف، وان تظهرني هذا الرحيل المبالغت
كانه عمل شخصي نابع من محض اودتك، وان نصفي عليه مسحة مقنعة
تسبطينها للظفر بها.

هيلانة : بماذا يأمر فوق ذلك؟

بارول : بعد ان تستأذني الملك بالانصراف، ان نتظري تطيئانه اللاحقة.
هيلانة : على كل حال لنا رهن اشارته.

بارول : هذا ما اوصيك به

هيلانة : ارجوك. (للمهرج) تعال معي يا مغفل.

(بخرجان)

المشهد الخامس في مكان آخر من القصر

(يدخل لافو وبرتان)

لافو : آمل ان لا تنظر سيادتك اليه كجندي بسيط.
برتان : كما تريد يا مولاي، بل كجندي عالي الهمة وافر الخبرة.
لافو : قلت تصديق ذلك امتداداً الى تصرعحاته.
برتان : والى شهادات اخرى لا سبيل الى دحضها.
لافو : اداً اكون مخطئاً اذا ظنت هذا الصغر نيراً.
برتان : لوكد لك يا مولاي انه رجل ذو علم واسع وكفاءة ضيقة.
لافو : انا انا مقصر بحق علمه ومتجاوز بحق قيمته، وحالي خطرة بفقر
ما يرشفه به صميره من نوبح. ها هوذا آتي. ارجوك ان تصالحنا لاني
أروم صلقت.

(يدخل البارول)

بارول : (لبرتان بصوت خافت) سيتم كل شيء كما يجب.
لافو : هل يمكنك ان تعلمني يا سيدي، من هو خياطك؟
بارول : ماذا قلت، يا سيدي؟
لافو : انا اعرفه جيداً. اجل يا سيدي. هو بالطبع عامل ماهر وخياط بارع.
برتان : (لبارول بصوت خافت) هل ابصرت الملك؟
بارول : نعم.

برتان : هل هي راحلة هذا المساء؟
بارول : كما تشاء سيادتك.
برتان : كتبت رسائلي واقفلت بالمفتاح على ما لدي من اشياء ثمينة،
وأصدرت اوامري لاعناد الجياد. وهذا المساء حين احصل على الفروس
انهي المسألة قبل ان ابدأ...

لافو : هذا ما يفعله المسافرين الشريف عند تأهبه للرحيل. انما من يكون
ثلاثاً قصته كذباً ويذكر حقيقة معروفة لتمرير ألف عبارة نافذة، هذا يستحق
ان يُسمع كلامه مرة وان يُضرب ثلاث مرات بسبب ثقافته نفاقه. (بارول
حفظك الله ايها القائد الهام).

برتران : (بارول) هل من تغور بينك وبين هذا السيد، يا مولاي.
بارول : لست ادري ماذا يتحتم علي ان اقبل لانال الحظوة في عيني هذا
السيد.

لافو : لقد توصلت الى احتلاك قلبه بخبرتك وعملك نظير سفير الملك الذي
رلت قدمه وسقط في سجن الحلوى. فاصححك ان نهزول مسرعاً لكي
لا يسألك كيف وقعت فيه.

برتران : (للافو) ربما لم تقدره حق قدره، يا مولاي.
لافو : هذا ما يحدث لي دائماً عندما افاجئه وهو يصلي. الوداع يا سيدي.
صديقي، ليس في هذه القشرة الرقيقة من لوزة. ان شخصية هذا الرجل
في ثيابه، فلا تكتل عليه في اية عملية خطيرة النتائج. ولقد جربت سواء
وعرفت مقدار طبعه. (بارول) الوداع، يا سيدي، تكلمت عنك بافضل مما
تستحق الآن وفي المستقبل. لا بد لنا من ان نقابل الشر بالخير.

(يخرج)

بارول : اتسم لك ان عقل هذا السيد غير مكتمل.

برتران : على ما انظر.

بارول : كيف تقول هذا؟ ألا تعرفه؟

برتران : اجل اعرفه جيداً. وهو حائر على رضى الجميع. ها هي السلسلة
التي ظمدي.

(تدخل ميلان)

هيلانة : كما توصيتني يا سيدي كلمت الملك، وحصلت على اذنه بالرحيل
موراً. انما هو يريد محادثتك.

برتران : انا طوع بئانه. يحب عليك يا هيلانة ان لا تستغربي سلوكي الذي
يمد لك بيباً من ظروفى وكما تفضيه مهنتي والعمل المقدس المفروض

عليّ. انا لم اكن مهياً لمثل هذا الحدث الهام. لذا ترينني هكذا مضطرباً،
لان المسألة تدعوني الى ان ارجوك للعودة حالاً الى مراك. فأوجدي نفسك
قبل غيرك حجة هذا الانماس. لان عذري لا يبدو لولي مما هو في الواقع.
والأمور التي تستدعيني هي أصغر مما تظهر لأول وهلة لا سيما لك انت
التي تعرفنيها (يسلمها ورقة) هذه لوالدتي. سيمضي يوماً قبل ان اشاعلك
من جديد. لذا اتركك تتصرفين بحسبك.

هيلانة : كل ما يسمني هو اني علمتك الامانة التي تكن لك كل احترام.
برتران : هيا هيا. كفي من هذا التجيل

هيلانة : ان انقطع عن سد الفراغ بما انا لا احد يسمني وقد خاتني الحظ
ولم أعد قادرة على مواصلة السعي.

برتران : اتركي هذا. فانا مستعجل جداً. الى اللقاء. إسفي سريعاً.

هيلانة : لرجوك يا مولاي ان تعلمني.

برتران : ماذا تريدان ان تقولين.

هيلانة : انا لا استحق الكنز الذي حصلت عليه، ولا اجزى على القول هذا
لي مع انه في الواقع يخصني. ولنا مستعدة لان أعطف حياءً وبعل، لرضي،
ما جعله القانون من نصبي.

برتران : ماذا تقصدين؟

هيلانة : امرأة، بل بالأحرى لا شيء في الحقيقة. لا اريد ان اعلمك
يا سيدي بما تصبو نفسي اليه. انما الغباء والاعداء وحدهم يفترون بدون
ان يمانقوا.

برتران : لا كأخوي. ارجوك ان تعطيني في الرحيل. هيا الى حصانك. اسرعي.

هيلانة : لن انصاف امرك ابداً يا مولاي الكريم.

برتران : (لبارول) اين سائر رجالي يا سيدي؟ (هيلانة) الوداع (تخرج هيلانة)
انذهبي. هيا عودي الي يتي. اما انا ظن ارجع اليه ابداً طالما استطعت ان
اشهر سخي او اسمع قرع طبلتي. الى الامام، الى الهرب.

بارول : تشجع. غافك المولي

(مخرجان)

الفصل الثالث

المشهد الاول

في فلورنسا داخل قصر الدوق.

(تصاح الموسيقى. يدخل دوق فلورنسا مع حاشيته ثم الثامن من السادة القريسيين وبعده من المراقبين.)

الدوق : هكذا سمعت الآن نقطة غفظة اسباب هذه الحرب الاسامية في مختلف مناقشاتنا وقد أسألت ولا تزال تسيل نهراً من الدماء.
السيد الاول : هذه الحرب تبدو لسبادتك ظالمة وفتاكة يشنها العدو علينا بضلوة.

الدوق : لذلك انا منهوش جداً ان يوصد ابى عمنا ملك فرنسا قلبه دون اغائنا في قضيتنا هذه العادلة.

السيد الثاني : يا مولاي الكريم، لا ينبغي ان اعين المعطيات البديئة كرجل غير مطلع على ما يستدعي النصائح الضرورية في مثل هذه الاحوال الغامضة. لنا لا استطيع ان اصارحك بما يجول في فكري، لاني وجدت نفسي في هذا المأزق المار في الموضى وقد خطبت جميع آمالي.

الدوق : دعوا الملك يتصرف على هواه.

السيد الثاني : لكنني وثق بلد نخبة من شبانا الذين ضايقهم الحمود سيتوصلون يوماً الى الضرر ها على الدواء اللازم لمعالجة هذا الوضع المتوردي.

الدوق : اهلاً بهم وسأحيطهم بكل الأكرام الذي يمكنني ان اتحصهم به.
انتم تعرفون مراكزكم وحالما يسقط بعض القادة المتقدمون ستستبقون
انتم في شغل مواضعهم. فإلى الغد، ايها الشجعان، في السهل مفتى البطولة
والانتصار.

(تصدق المربي ويخرجون).

المشهد الثاني

في قصر كونت روميو

(تدخل الكونتيس والمهرج).

الكونتيس : كل شيء تمّ كما لويد، ما عدا مجيئه معها الى هنا.
المهرج : بشرفي، لرى سيدي الشاب هذه الايام شديد الكتابة.
الكونتيس : ارجوك ان تقصّر لي كيف عرفت ذلك؟
المهرج : مثلاً، هو ينظر الى حذائه ويدمد، ويحكّم سترته ويدمد، يطرح
سؤالاً ثم يدمد، ينظف استانه ويدمد. ولما اهرق رجلاً بهذا المزاج الغريب
باع قصره الرائع لقاء اغبية.

الكونتيس : (تفتح الورقة المطوية) لننظر ماذا يكتب لي ومعنى يريد ان يأتي إلينا.
المهرج : انا لم اعد اميل الى ايزابو منذ ان جئت الى هنا. لان جماعتنا
وايزابو في الزيف لا يوازنون جماعتكم في البلاط. وإله الحب في نظري
قد فقد عقله، وبدأت اهرق بدون حماس نظير رجل عجوز يتضاعف نعلقه
بالمل.

الكونتيس : ماذا ارى هنا؟
المهرج : ما تقع عليه عينك.

(مخرج)

الكوفيس : (تفرأ) « أرسل لك كفة أُنقذت حياة الملك وأُنقذت حياتي
تزوجها لكى لم امتلكها، وأُنقذت على ان لا اقدم على ذلك ما دمت
حيّاً. سطرين بانى هربت. لذا افضل ان اطلقك انا بنفسى على الامر قبل
ان ينقله الناس اليك ما يحلو لهم. واذا كانت الدنيا واسعة كما يقال سأترك
مسافة شاسعة بيني وبينها.
بكل محبة واحترام، ولذلك القصص »

برتران

لقد انعطأت ايها الطائش بفراخك من افضال الملك الكريم، وبجلب غضبه
على رأسك، وبكره خلة فضيلة كسبت احتقار الامبراطور.

(يدخل المهرج)

المهرج : يا سيدتي، بأي نأ حزى أنا سيدتي الصبية والفرسان اللذان
راقعاهما؟

الكوفيس : ما الخبر؟

المهرج : على كل حال، لا يخلو البأ من تعزية، فانك لن يُقتل على ما اعتقد.

الكوفيس : وماذا ينقذه من القتل يا ترى؟

المهرج : لن يُقتل يا سيدتي، لذا ظل هارباً كما علمت. فهكذا لن يعرض
نفسه لخطر الحرب على التربعثر مغوف المقاتلين، على كل الحال سيهلك
عدد كبير من الرجال، وهكذا لن تتم ولاذات كثيرة. ها هم بعض القادمين،
قد اتوا ليخبروك بما ترغين من التفاصيل. ان من جهتي، اعلم قطع ان ولدك
قد هرب.

(مخرج)

(يدخل هيلانة ووجهان)

الوجه الاول : (للكوفيس) حفظك الله يا سيدتي.

هيلانة : يدو، يا سيدتي، ان مولاي ذهب بهلانيا.

الوجه الثاني : لا تقولي ذلك.

الكوفيس : اختصمي بالصبر. عذرا يا سادة. واجهت مروراً تعاقب الأفراح

والأترار حتى لم تعد هذه ولا تلك تغزني لأول وحلة. ارجوك ان تقول لي اين ولدي؟

الوجه الثاني : مضى يا سيدتي لبحكم دوق فلورنسا. وقد صادفناه في الطريق. نحن آتون من تلك الجهات، وبعد تسليم بعض رسائل عاجلة لرجال البلاط سنعود بدون تأخير.

هيلانة : ألفتى نظرة على هذه الرسالة، يا سيدتي. (تقرأ) « عندما تستلمين الخاتم الذي اضعه في اصبعي والذي لن يفارقه ابداً، وعندما تُريني ولداً انجبته من احشائك وأكون انا اياه، حينئذ يمكنك ان تعتريني زوجك. لكن حتى ذلك الحين لن اكون رجلك ابداً ». هذا حكم رهيب جاف.

الكونتيس : هل جئت بهذه الرسالة، يا سيدي، من قبل ولدي؟
الوجه الاول : نعم يا سيدتي، ونظراً الى مضمونها العجيب، آسف على ما تجشمت من مصاعب في ميلها.

الكونتيس : ارجوك يا هيلانة العزيرة ان تشجعي، لانك باحكارك جميع الآلام لنفسك تحرميني من نصفها. لقد كان ابني، لكنني انكرت الآن اتساهل الي. فانت من الآن وصاعداً ابنتي الوحيدة. اظن انه ذهب الى فلورنسا!

الوجه الثاني : نعم يا سيدتي.
الكونتيس : لينخرط في سلك الجندية.
الوجه الثاني : صدقيني، هذه رغبة السامية، وسيحيطه الدوق بكل الاحرام الذي يستحقه مستواه.

الكونتيس : هل اتسا راجعان الي هناك؟
الوجه الاول : اجل يا سيدتي، على جناح الصجلة في اول عربة سريعة.
هيلانة : (تقرأ) « الي ان لا يعود لي من زوجة، لن تعني لي فرنسا اي شيء »
هذا قول في غاية المرارة.

الكونتيس : هل هذا مذكور في الرسالة؟
هيلانة : نعم يا سيدتي.

الوجه الاول : هذه ليست سوى فورة غضب لن يطلوعه قلبه على استمرارها.
الكونتيس : يقول ان فرنسا لن تعني له شيئاً الي ان لا يبقى له زوجة.

ان كان في الدنيا مخلوق افضل من ابني، فهي حتماً هذه الصبية الممتازة التي تستحق زوجاً يخدمه عشرون احمق مثل ولدي، ويحبونها في كل حين كسيدتهم الكريمة من كان يرفقه عندما رأيته؟

الوجه الاول : لماذا فقط ووجه عرقه فيما مضى.

الكونتيس : هو حتماً السيد بارول، اليس كذلك؟

الوجه الاول : اجل يا سيدتي، هو نفسه.

الكونتيس : وهو شخص غبي سافل، يورط ابني في حملات لا شأن له فيها.

الوجه الاول : بالفضل يا سيدتي الجليلة، هذا الفتى غارق في القباح والمعاصي ويتحتم عليه ان يقلع عن صحبه

الكونتيس : اهلاً بكما، يا سيدتي. ارجوك عندما تقابل ولدي ان تعلمه بان السيف لا يشرذ الشرف المفقود. وعلاوة على ذلك، ارجوك ايضاً ان تسلمه الرسالة التي سأعطيك اياها.

الوجه الثاني : نحن رهن اشارتك في هذه المهمة يا سيدتي، وفي كل مهمة تكلفتنا بها في سبيل قضية جديدة مثلها.

الكونتيس : اشكر لطفكما، وارجو ان ارد لكما هذه الخدمة الكبيرة. هل تريدان ان تراقباني؟

(تخرج الكونتيس وبعدها الوجهان)

هيلانة : (وحدها) : الى ان لا يبقى لي من زوجة، لن تعني لي فرنسا اي شيء. فرنسا لن تعني له اي شيء الى ان لا يبقى له من زوجة. لن تبقى لك زوجة يا روسيون في فرنسا. فاسترد اذاً جميع حقوقك. لاني طردتك من بلدك وعزمتك لمحاظر حرب لا هواة فيها، لاني اهدمتك عن مرح البلاط حيث كنت قبلة انظار احلى العيون لتصبح هدف السيوف القنرة. ايها الرصاص الاعمي الطائر يحف على اجسدة اللهب على طريقك وضع في الفضاء. اغلق وراءك الهواء الذي يشقه لزيك بدون انقطاع ولا تمس سيدي بسوء. الرجل الذي سيطلق عليه النار، انا عيته للربيع به، والرجل الذي سيصوب سلاحه الى صدره المقامر، انا الحظيرة حرضته على

ذلك. وإذا لم تُنسب في قتله أكون قد جعلت موته. قلولي لي إن العرشي
للأسد المفترس حين يزور تحت وطأة الجوع كي يحرقني بأنيابه لأنني استحق
جميع مصائب العالم دفعة واحدة. لا، لا يجب أن تعود إليّ ينك يا روسيون.
خادرة هذه الحرب حيث الجرح يمكن أن يقضي على أي إنسان. أريد
أن أرحل، لأن حصوري هنا يحملك عن أهلك. وهل يعني أن أمكت؟
كلا ثم كلا؛ عندما يهب الريح على هنا أليت أنيأ. من الفردوس، عندما
تسحق الملائكة أريد أن أرحل، لتوصل إليك السمة الكفية نأ هربي ونعري
قلبك الحزين. اقترب أيها الليل، وغب أيها النهار لأنني لود أن أنسل ملققة
بأساي كالسارقة واختفي في أحلك الظلمات الفاحمة.

(الخرج)

المشهد الثالث

في معسكر أمام فلورنسا

(نصيح الموسيقى. يدخل دوق فلورنسا وبرتران وسادة وضباط وجوهر وغريمي).

الدوق : (لبرتران) انت خالد مرسائنا، وركن هام يدعم آمالنا، ونحن مستعدون
لتيه وعود طالملك الميمون.

برتران : هنا عيب قليل على كاهلي، على كل حال، نسمي لمساعدتك
في أمجادك حتى النفس الأخير.

الدوق : إلى الأمام إذا. وكل أملي أن يحالف الحظ سيوفا ويقودنا إلى
النصر المجيد. إيت في مستوى لشكاري، وسنرى في صديق محبك وعدو
مبغضيك.

المشهد الرابع في قصر كونت روستون

(تدخل الكونتيس ووكيل الصرف.)

الكونتيس : يا للأسف، لماذا تمهدت بإيصال هذه الرسالة التي؟ ألم تتوقع ما أسفر عنه محتواها؟ وهي ما كتبت إلا لهذه الغاية. أعد قرائتها.
وكيل الصرف : « انا ذاهبة لزيارة أحد المعاهد، لأن ولعاً جسوراً قد مهد لي ارتكاب خطأ جسيم يدعوني إلى التكفير عنه بسري حافلة القدمين على الأرض الباردة. اكسبي التي حتى عندما يترك ابنك مهنة حمل السلاح، ويهود اليك سيداً عزيزاً بالقرب وقت أمتي له المعادة تحت سقف بيتك وفي كنف رعايتك: بينما أنا في بعدي عنه للقدس اسمه بحشوع وهيام. اطلبي منه ان يسامحني على ما سببه له من متاعب. فقد قررت الاسحاب بهائياً من حياته مهما واجهت من معاطر وتعملت من عذاب. هو طيب القلب وأنا لأجل تحريره من ارتباطه بي بوثاق الزواج، لن احجم عن الارتقاء في احضان الموت ».

الكونتيس : كم من الألم والشقاء يكمن في هذا التصريح المتصاعد من قلب جريح. انت يا بني لم تظهر في حياتك قلة تفكير إلا عندما حملتها على الرحيل هكذا. لو كنت تحدثت اليها لاقتعتها بالمدول عن مشروعها الألم لكنها لم تترك لي مجالاً لأبقائها عدي كما اتس.

وكيل الصرف : اعذرني يا سيدتي، كان علي ان اسلمك رسالته قبل هبوط الليل حتى يتسنى لنا العثور عليها لكنها كتبت ان كل محاولة تذهب سدى.
الكونتيس : اي ملاك سيبارك هذا الزواج العاق؟ لن يجع الأ بفضل صلوات ميلاته. فأسأل الله ان يستجيب دعائها وان يسامحه على ضلاله ولا ينزل به ما يستحقه من عقاب صارم. اكسب، اكسب يا رينالدو، الي هذا الزوج الضي الذي لا يستحق هذه المرأة المثالية، ويين له ان ما قاله بحقها مخيف

غير مغفول، وأنه ادعى قوّادي جصره الاوعن. اجل، ارجوك ان تبرز، له شناعة ما تقدم اليه من حليش. عجّل في تسليمه هذه الرسالة، لأنه عندما يعلم برحيلها، قد ياتر الى الرجوع اليّ، وأمل ان تعود هي ايضاً حالما تدري بالامر لأن حبها له عميق اصيل. ومهما كان عزيزاً عليّ، لست قادرة على عدم تقدير عواطفها في هذا المجال. ارجوك ان تعجل في ايصال هذه الرسالة اليه، لأن قلبي منقل بالهموم، والأعوام قد اصنت بيتي وانضغت همتي. ولم اعد اتحمل ذرف الدموع المسخنة وسهر الليالي، ولا يذنتني الى هذه البادرة إلا قلتي على مصر الاثني معا.

المشهد الخامس

عند اسوار فلورنسا

(يسمع وقع سيارة عسكرية بعيدة. تدخل امرأة عجوز من فلورنسا ثم ديلا وفولتا ورمبا وبعض الأصدقاء).

الأرملة : ما تملأوا اذا اقرب هؤلاء الجنود من المدينة نخسر جمال الطبيعة الذي تتمتع به.

ديانا : يقال ان الكونت الفرنسي قد ادّى لنا خدمات جليلة.

الأرملة : هاك اشاعة انه اسر قائداً من الأعداء وأنه يده قتل شقيق الدوق المتحرد. لقد اضاعوا جهودنا بسلوكهم طريقاً مخالفاً. أنصتوا، ألا يمكن التعرف عليهم من اصوات ابواقهم؟

ميلا : ها بنا رجع الى بيونا مكثفين بالقصة التي سمعتها. صدقني يا ديانا، واحلري هذا الكونت الفرنسي. لأن، شرف الطبراء هو عيبتها البارزة وهو ليس ارقاً بموتس ويكسب مثل الفضيلة.

الأرملة : اعتبرت ببارتي كيف أراد أحد الوجهاء من مرافقك ان يستملك.
 مريانا : انا اعرف هذا الثمين. قطه الطاعون. هو محتال يدعى بارول، متأمر
 دساس يعمل لحساب الكونت. احذريهم يا ديانا لأن وعدهم وعهودهم
 وعداياهم ليست سوى مظاهر دغاورة تستر باسياء اخرى للشعوبه. وقد ذهبت
 فتيات عديداً صاحباً قوايتهم ومكرهم. والبلية العظمى هي ان البعولة العريفة
 لا يسمحها ان تمنع ضحاياها جديداً من ان تلصق بالدين الذي يهتدون، وانا
 في غنى على ما اعتقد، عن قول المزيد بهذا المعنى. انما النعمة التي تملكها
 ستحفظك من كل شر، اذا لم تعرضني لحظر سوى خسارة وداعتك.
 ديانا : لا داعي للخوف عليّ.

(تدخل هيلانة منكرة وملحة بلان)

الأرملة : ارجو ذلك من كل قلبي. ها هي المثلثة بالثال تقرب منا. وانا
 واثقة بأنها ترغب في السكن عندي، لأن كثيرات يرغبن في ذلك. دعيني
 استجوبها. (لهيلانة) حفظك الله يا سيدي، الى اين انت داعية؟

هيلانة : الى الممد. قول لي، من فضلك، اين بيت الزائرون.

الأرملة : في نزل الصلاح القريب من هنا، في جوار باب المدينة.

هيلانة : وهل يؤدي اليه هذا الدرب الذي نراه امامنا؟

الأرملة : اجل. (تسمع مثنية عسكرية بعيدة) اسمعي، ها هم الجود قادمون
 البنا. فلذا ثقت ان تنتظري مرورهم اينها الزهرة النقية، رافقتك الى هناك.
 إذ اني، لحسن حظك، اعرف صاحبة النزل المذكور.

هيلانة : هل انت صاحبه؟

الأرملة : اذا لم يزعجك ذلك.

هيلانة : شكراً. سأنتظرك.

الأرملة : هل انت قادمة من فرنسا؟

هيلانة : اجل يا سيدي.

الأرملة : ستشاهدين هنا احداً ابتاء بلدك، وقد ادى لنا خدمات جليلة.

هيلانة : ارجوك ان تقولي لي ما اسمه؟

ديانا : كونت روسيون. هل تعرفينه؟

هيلانة : بسماع ذكره فقط كأحد النبلاء الشبان، لكنني لم أبعثه ابداً.
ديانا : مهما كان الأمر، هو غنى مشكور السلوك، حرب من فرنسا على
ما يقال لأن الملك أرغمه على الزواج. هل تصديق مثل هذا الخبر الغريب؟
هيلانة : نعم، بالطبع. هذه هي الحقيقة الناصقة، لأنني أعرف زوجته.
ديانا : وفي خدمة الكونت، وجيه بصمها بانبح الصوت.
هيلانة : ما اسمها من فضلك؟

ديانا : السيد بارول.
هيلانة : أنا من رأته، لأنها إذا قودت بالكونت الكبير النفس، لا يوجد
فيها ما يستحق الذكر، مع أنني لم اسمع أحداً ينفي ما تصصف به من فضيلة
فائقة.

ديانا : يا للأسف يا سيدي، أرى أن زواج امرأة برجل لا يحبها هي عبودية
لا تطلق.

الأرملة : لهني عليها، إنما ذهبت ستكون كسيرة القلب (تشير إلى ديانا)
هذه الفتاة تستطيع أن تقوم حيالها بدور فعال، إذا شأبت.

هيلانة : ماذا تقولين؟ هل تطنين أن الكونت العاشق يمتاعها كفتية غير شرعية.
الأرملة : أجل، لأنه لجأ إلى من يسكنون من اغرائها، لتجود عليهم بمصمة
يرجونها من خاة مظلها. لكنها علمت بمآربهم فرفضت كل عروضهم حفاظاً
على عفتها.

(يدخل حصة بارول وهم يترجمون، وحلة اعلام غفلة ومرة من الحبس الطورنسي بينهم يرتاد
وبارول).

ديانا : حفظها الله من كل اذى.
الأرملة : ها قد وصل الجنود. فهذا هو انطونيو ابى الدوق البكر، وذلك
هو اسكالوس.
هيلانة : أجمده شاباً رائعاً.

ديانا : لكه مع الأسف غير شريف (تشير إلى بارول). وهذا من يجره إلى
الفساد. لو كنت زوجة هذا الخسيس لادست له السم بدون تردد.
هيلانة : أيا منهما تحبين؟

ديانا : هذا الفرد المفلوف رأسه بالشال. لكن، لماذا هو هكذا حزينا؟
هيلانة : ربما بسبب جرح تلقاه أثناء المعركة
بارول : وربما فقد طلبه.
مريانا : لا بدّ من ان يكون مستاء من أمر ما. انتظريه كيف لاحظتنا.
الأرملة : نيا لك.

(صحنى محرقة لبارول)

مريانا : (للأرملة) ثبّا لما تبديه من اعتبار حيال هذا القاسى الدنيء.
(يخرج برتران وبارول مع الجنود)
الأرملة : لقد مرّ الجنود. تعالي لينها الزائرة لأدلك على نزلك. هناك اربعة
او خمسة تائبين قد نذروا ان يزوروا المعبد متبركين، وهم الآن هنا.
هيلانة : اشكرك بكل تواضع. (تشير الى مريانا وديانا) اذا كانت هذه الحيزبون
وهذه الصبية الغائبة سيصبحان الليلة معنا، فانا الكفّل لجميع النفقات
والشريفات. ولكي أنفي بما يوجب علي بصورة الفضل، ارؤد هذه المفراء
الشابة ببعض نصائحي الصلبة.
مريانا وديانا : نقبل دعوتك بطفة خاطر.

المشهد السادس في المعسكر الفلورنسي.

(يدخل رترقي والثاني من قلعة الفرنسيين.)

السيد الأول : هيا يا سيدي العزيز، انجزه ودعه يتصرف على هواه.
السيد الثاني : انا كنت سيادتك لا ترى فيه انساناً جباناً، فلن يمتك ان
تقدرني حق قدرتي.

السيد الأول : اقم بهياني يا مولاي، ان هذه قسطة صافية.
برتران : اظنني مفضولاً به الى هذا الحد.

السيد الأول : صلي يا سيدي، اني اقول لك ما اعرفه مباشرة وبكل صراحة،
كأني اعطيت نفسي بالذات. هذا محتل جبان ومناق لا يشق له غبار لا
يقطع عن الكذب والخداع ولا يتحلى بأية مزية مشكورة تستحق ما يحيطه
به سيدك من رعاية.

السيد الثاني : من الأفضل ان تعرفه أولاً، انا تكلمت عن صفات لا يصلح
بها. هو أني بما هو المظلم، وانت لوليتك ثقتك، فاستملك ثم تخلى عنك
وانت في امس الحاجة اليه.

السيد الثاني . اؤليس ذلك أولى من ان ندعه يذهب للبحث عن طيله في
مهمة يعتقد انكم بالقيام بها بدون امهال.

السيد الأول : انا اترأس فرقة من الفلورنسيين، واتعهد بأن اناغته على حين
غرة. لذلك سأتركك على من هم اهل للثقة وكلني لبعان بانه ان يرى فيهم
اي عدا. فتوقه ونعصب عينه بطريقة يظن معها انه انتقل الى معسكر العدو
ساعة نفوده الى عيانتنا، بينما سيادتك تشرف على استجوابه. فاذا كان النفاذ
حياته يدهي الخوف يؤكد لك انه ان يخونك او يروج بما يعرفه عنا من
معلومات سرية، وهو يقسم على صحة مضمونها، لا تحمل كلامي على
محمل الجحد ولا تثق بحكمي عليه.

السيد الثاني : دعه يأتي بطيله وهو يأتي ان لديه خطة عجيبة، فنضحك عليه. وحالما ترى سيادتك عظم شجاعته ومن اي معدن هو الذي يظن نفسه انه من الذهب الخالص، اذا لم تعامله كخفي مفضل يكون تقديرك اياه في غير محله ولا يوجد لملكه دولة. ها هوذا.

(يدخل بارول).

السيد الأول : (ليتران بصوت خافت) دعنا نضحك قليلاً، ولا نعرض على مفصده. فلنذهب على كل حال لجلب طيله.
برتران : (لبارول) يظهر، يا سيدي، ان هذا الطيل عزيز جداً على قلبك.
السيد الثاني : لا تفكر بالأمر كثيراً، فالمسألة لا تعدو كونها مسألة طيل ليس الا.

بارول : مسألة طيل ضاع هكذا، وبا لها من قضية جوهرية شغلت محمل الفرسان غالية جندنا.

السيد الثاني : القائد الذي كان يفقد المعركة غير ملأماً ابداً على فقدان هذا الطيل الذي يُعدّ كآخرة حربية، لم يكن قبصر نفسه ليستطيع تحاشيها لو كان في موقف هذا القائد.

برتران : ليس لنا ان نشككي من نجاحنا. صحيح أن عسارة هذا الطيل لا تضرنا، انما لا سبيل الي الاستحصال عليه ثانية.
بارول : بل كان هذا ممكناً.

برتران : كان ذلك مستطاعاً، لكنه لصحى الآن مسحياً.
بارول : لا، لا. هذا لا يزال ممكناً. اذا لم يكن اصحاب الأعمال الباهرة مشكورين على فضلهم إلا نادراً، ساسترد هذا الطيل بطريقة عجيبة واحاول اعادته الي مكانه بسرعة على الأقل، مهما كلف ذلك من جهد وعناء. اجل سألزم بهذه التجربة كانهجاز نبل. واذا نجحت فيها سيشاركك الدوق ويكلفك بصورة مرضية لائقة نوازي براعة مساك.

بارول : اتسم لك اني سأنفذ ذلك على اكمل وجه.
برتران : لكن لن يبقى لك وقت للنوم.
بارول : سأباشر العمل منذ هذا المساء. وسأبدأ منذ هذه اللحظة بتدبير

وسائل العمل وشحن كفاءتي لإكمال استعداداتي للفوز. وحول... سلف الليل
لا بد من أن تبتلك اختبري السارة.

برتران : هل يعني اعلام سيادته برحمتك الجريئة؟

بارول : أنا اسهل ما هو مدى نجاحي، يا مولاي، انما اعاهدك على مثابرتي
ومحاولتي بدون كلل للوصول الى ما نصبو اليه.

برتران : انا اعرف علو همتك، واقدر مهلتك وشجاعتك. فالى اللقاء.

بارول : انا لا احب كثرة الكلام.

(يخرج.)

السيد الأول : ليس من يحب الماء اكثر من السمك. او لا يكون هذا
الفتى مقدماً عندما يتكفل بتأمين مثل هذه المهمة التي يعرف سلفاً انها
تتوق طاقته وتحمّل مسؤوليتها ويفضل ان يلقى عليها الامة عوضاً عن
التهرب من اعمالها

السيد الثاني : انت لا تعرفه يا سيدي كما اعرفه انا الوائق ببرايمته بدون
شك في التفغل الى قلب اي رجل، والتمسّ خلال اسبوع من كل فوشيات.
انما حين نكتشفه على حقيقته يظل على الدوام تحت رحمتنا.

برتران : هل تصدّق انه لن يفعل شيئاً من كل ما وعد بتنفيذه جلياً؟
السيد الأول : ايّداً. سيعود الى سيرته السابقة باختلاطات يدعمها بالكذب
والمنز كعادته. لكننا نحس له بالمرصاد. وحله الليلة سينكشف امره وغراه
كيف يقع في الفخ لأنه لا يستحق عطف سيادتك.

السيد الثاني : تستلّي بمطاردة كاثطوب قبل ان نعرّبه من حيله. فلقد نال
نصيبه من تائب السيد لأمرو. وعندما سسلخ جلده المستعار عن لحمه النجس
ستلمس هذه الليلة بالذات لمس اليد اي دجته اللعين المتريص بنا.

السيد الأول : عليّ ان اذهب واهيئ شركي لكي نوقعه فيه.

برتران : لا بد لشقيقك من مرافقتي.

السيد الأول : كما تشاء يا صاحب السيادة تركك بخير.

(يخرج.)

برتران : الآن أعفك الى البيت واريك الفتاة التي حدثتك عنها.

السيد الثاني : تقول لي انها صبية شريفة.
يوتران : هذه عنتها الوحيدة. فقد كلمتها مرة ورأيتها باردة بشكل عجيب.
فأرسلت إليها مع هذا المغرور الذي نزلني، هدايا ورسائل، فردتها لي. هذا
كل ما فعلته حتى الآن. ألا تريد ان تصحبي لمشاهدتها؟
السيد الثاني : بكل سرور، يا مولاي.

(بهرمان)

المشهد السابع

من فلورنسا داخل بيت الأرملة

(داخل هيلانة والأرملة)

هيلانة : اذا كنت لا تزال تشك بتكديدي أنني روجته، لست ادري كيف
اقنعك بدون ان اخسر ما ربحته في هذا المجال.
الأرملة : مهما كانت خسارة لروتي جسيمة، لنا استعوض عنها برفقة شأني،
والجاهل كل الدسائس والمؤامرات. لذلك لا أريد تشويه سمعتي بعمل مشين.
هيلانة : وانا لن اطلب منك ذلك أبداً. نقي لولاً بأن الكونت زوجي، وان
ما صرحت لك به هو حقيقي بحفايره، وان يكن سرياً. نقي اذاً بأن المسائلة
التي اطلبها منك لا يمكن ان تؤول الي الفضل.
الأرملة : هلتي ان اصغفك، لأنك البت لي ان حظك كبير في الجاح.
هيلانة : خدي هذا الكيس المبحوث ذهاباً فهو عربون تقدير سعادتك العالية.
وانا مستعد لأن ادفع لك ضعفه مع الفائدة حالما احصل على النتيجة المرجوة.
الكونت يغازل ابتك ويحاصر جمالها من كل الجهات، وهو مصمم على
الظفر بمقاتتها. فما عليها إلا ان تتظاهر بالموافقة على مسيرته حسب تعليماتنا.

وعندما نطقي عليه اشواقه اغيرة، لم يرفض لها طلباً، فالكوث يضع في
اصبعه خاتماً لهماً توارثته أسرته لها عن جد منذ اربعة او خمسة اجمال
نظراً الى ما لهذا الخاتم من قيمة باهظة. لكنه في حماسه وهوسه لا يشهد
ان يعطيه بدون مساومة، كما تقتضيه الظروف، ثم يقدم بعد ذلك على تصرفه
وتسريحه.

هيلانة : طلبه مشروع، كما ترى. فقط اريد من ابنتك قبل ان تبدي رغبتيها
في الاستسلام ان تلح في طلب حاتم وان تمن له موعداً. واعيراً ان تحلي
المكان وهي تعرض على ذاتها عصفاً لتسحاب، وبعد هذا الاجراء اصيف
الى بلنتها ثلاثة آف دينار فوق ما كنت اعطيها.

الأرملة : انا موافقة. درّب اذا ابنتي على كيفية تصرفها كي تنسك من
القيام بهذه اللعبة القذرة بنجاح في الزمان والمكان اللازمين. ففي كل مساء
يأتي يرفقه بعض الموسيقيين من جميع الفئات لإنشاد بعض الأغاني التي
تشيد بجمالها وبخصالها بطريقة مبالغ. ان لا فائدة من طرده عن نوافلها
لأنه بظل متشبهاً كأن حياته متعلقة بها.

هيلانة : منذ هذا المساء سنحاول تنفيذ المؤامرة. فان نجحت يكون قد
ظهر ما يبيته من سوء نية يجمعها عمل جدي رصين من جهة، ومن ضمن
نية يجمعها على الأرجح عمل جدي ايضاً. وهي كلا الحالين ليس من شطأ
رغم احتمال وقوع الخطأ. فإلى العمل اذا.

(انصراف)

الفصل الرابع

المشهد الأول في معسكر على ضوء القمر.

(يحدث المشهد الأول بينه خمسة أو ستة جنود ويختبئون في كمين.)

السيد الأول : لا يمكن ان يأتي إلا من هذه الناحية من السياج وحالما تباغتونه، خاطبوه بأقصى لهجة من السباب تعرفونها، وان لم تفهموا لفته، لأننا نري ان نضلمر بعدم فهمها ما عدا واحد منا سنعتبره كترجمان.

الجندي الأول : اسمح لي يا سيدي ان اكون انا المترجمان.

السيد الأول : ألم يكن لك من علاقة سابقة به؟ ألا يعرف صوفك؟

الجندي الأول : كلا يا سيدي. أؤكد لك اني لا اعرفه.

السيد الأول : بأي لفة غير مفهومة سنجيبه؟

الجندي الأول : بلغة نضمرعها لهذه العاية.

السيد الأول : لا بد من ان نوهمه اننا عضنة اجبية نعمل لحساب العلو. وهذا له ألوان متعددة من اللهجات المتقاربة. فعلى كل واحد منا ان يتكلم بلهجة مختلفة على هواه بدون ان يعرف ماذا نقول، بشرط ان نضاهر بأننا نضاهم، وهذا يكفي لتحقيق مشروعتنا، حتى ان كان كلاما كتعب الغراب، المهم ان نصل الى مبحثنا. لما انت فعليك انه نضاهر بمظهر سياسي محنتك.

لا سيما بنظر مارك وعنه هيثك. ها هوذا قد عاد ليقضي ساعاته في نوم عتيق، ثم يعود ليندق على الجماعة سبل كذبه وسبابه وشذوذه، حسب ما يوحى إليه دهله وأهكاه.

(يدخل بارول)

بارول . الساعة الآن العاشرة. بعد ثلاث ساعات يحين أوان رجوعه. ماذا أقول له اني فعلت؟ لا بد من اختلاق اعتذار مقنعة. ها هو قد أخذ يشم رائحة الخبث والمذلة التي بدأت تطرق بابه. لا شك في ان لهجتي ستكون قاسية. لكن ظني، بعد ان ابرهنت اني خائف من صباغات إله الحرب ومن اعوانه، لا يجرؤ على مساندة ادعاءات لثني المبهمة.

السيد الأول : (على حدة) هذه مقدمة لهجتي الجبانة.

بارول : اي شيطان ذهني لاختلاق قصة هذا الطفل الضائع، لا سيما انا اجهل قصته ولا اعرف بالقبض نوابله. يجب علي ان اصطحب نفسي بعض الجراح وان ادعي اني تلقيتها أثناء المعركة. انما الجراح الخفيفة لا تقبضي، اذ يقال لي: هل خرجت من المعركة بخلدوش بسيطة؟ ولا اجرؤ ايضاً على اصطناع جراح بليغة. فما العمل؟ من اين آتي بالبراهين؟ لا بد من ان اصور لساني ولا اتفوه بما يثير الشبهات حولي، بل اتنوع بصمت حلو، اذا تورطت بموقف حرج.

السيد الأول : (على حدة) هل من المحصل ان يعرف من هو، وان يقابله بمثل تصرفه؟

بارول : اتنى ان يكون تعريف نهائي كلياً نظير كسر سفلي الإسباني.

السيد الأول : (على حدة) لا يسمن ان تؤمن لك ذلك.

بارول : اذا سأخطن لحياتي وادعي ان ذلك خدعة حربية.

السيد الأول : (على حدة) لن تنطلي هذه الحيلة.

بارول : أو أن ادفن لياحي وادعي ان لصوحاً مرّوني أثناء الطريق.

السيد الأول : (على حدة) قد لا تقيد هذه الوسيلة.

بارول : وانما قسمت باتي تفنت من كوة القلعة...

السيد الأول : (على حدة) من اي علو؟

بارول : من علو ثلاثين ياعاً.

السيد الأول : (على حدة) الحلفان الثالث لا يحمل احداً على تصديق ذلك.

بارول : ان احصل على اي طبل من طبول العدو، وأقسم بانني انا انتزعته.

السيد الأول : (على حدة) منسمع قرع احدهما في الحال (يقرع طبل).

بارول : هذا الآن طبل عدو.

السيد الأول : (يهجم على بارول) قروكا مافوسو كاركو كاركو كاركو.

الجميع : (يهجمون) كاركو كاركو هيلان بار كارو كارلو.

بارول : السجدة السجدة. (يقبض عليه الجنود ويمصبون له عينه) لا، لا نمصبوا

لي عين.

الجندي الأول : بوسكو نروبولو بوسكو.

بارول : ارى انكم فرقة من جنود الشر. اسفأ على حياتي، لأنني لا للمهم

لقتكم. إن وجد بينكم ألماني أو دانمركي أو هولاندي أو ايطالي أو فرنسي

ارجو ان يحاطبني بلفته، ومايوح له ياسرر تهلك الفلورنسين.

الجندي الأول : بوسكو فونادو. انا افهك واتكلم لفك كيرليوننو. يا

صديقي، اجهل لربك وتضرع اليه، لأن سبعة عشر خنجراً ستحرق صدرك

وتمزق قلبك.

بارول : يا الهي.

الجندي الأول : اجل اجهل وتضرع. منك ريفانها دولشي.

السيد الأول : أشكوري دولشر فولبوركو.

الجندي الأول : القائد يوافق على ابقائك حياً. وسأخذك اليه معصوب العينين

لكي يتقصى معلوماتك. فربما لبعض ما توجه اليه يعضر عك.

بارول : اتركوني على قيد الحياة، وانا اطلعكم على اسرار مسكرنا وعلى

قواتنا وخططنا. اجل ساطلمكم على امور تدهشكم.

الجندي الأول : المهم ان تقول الحقيقة.

بارول : اذا شككم بكلامي، تستطيعون قتلي.

الجندي الأول : اركوندو ليتا. هيا بنا. سنمنحك مهلة.

«خرج مصحفاً يهزون تحت حرمة»

السيد الأول : (لأحد جنوده) اذهب وقل للكوت وروميون ولأضي، أننا
القينا القبض على الثرثرة، وأنا مستحفظ به مصوب العينين إلى أن تصلنا
أخبارهم.

المجدي الثاني : أنا ذلعب يا سيدي.

السيد الأول : لا تغفل عن اعلامهم بأنه مستعد أن يخون جماعته لإرضائنا.

المجدي الثاني : نعم، يا سيدي.

السيد الأول : حتى ذلك الحين سأحفظ به في مكان حرير وتحت الحراسة
المشددة.

(يخرجون).

المشهد الثاني

في فلورنسا داخل غرفة في بيت الأرملة.

(يدخل برتران وديانا)

برتران : قبل لي انك تدعيي قوتيلال.

ديانا : لا يا سيدي الكريم، أنا اسمي ديانا.

برتران : هذا اسم الهة وانت تستحقينه مع كل الثموت الجميلة. لكن يا
صاحبة النفس الكبيرة، ألم يدعب الحب قلبك المحنون؟ إذا لم يحالج حماس
الشباب صدرك إلى الآن تكونين خاة غريبة بل غملاً من الحجر البارد الخالي
من المواطن، عليك ان تشهي بوالدتك حين حبلت بشخصك اللطيف.
ديانا : كانت امي اذاً فاضلة.

برتران : وانت ستكونين مثلها.

هيلنا : كلا، كانت والدتي تقوم بواجب كما هو مفروض عليك نحو امرائك يا سيدي.

برتران : لرجوك ان تكفي عن هذا الكلام. لا نمارضي افكاري. انا ارتبطت بها عود. لكن احبك انت بانخلاص، تدفني اليه انوثتك وتجملي رحيم اشارتك لأخدمك راضياً مسروراً.

هيلنا : اجل انتم الرجال تخدمونا لخدمكم بلورنا. لكن حين تنتشقون شذى وروردينا لا تتركون لنا سوى اشواكا لتمزق ابدينا، ونعبرونا بما تجرؤونا منه. برتران : كم مرة قسمت لك...

هيلنا : الاخلاص لا يفهم على عدد الحلفان، انما على المعاملة البسيطة البريئة التي نحضوننا بها. نحن لا نقسم إلا بكل مقدس، ورب السما يشهد على صدق نيّتنا لكن قل لي ان قسمت بكل ما هو سامر باني احبك من كل قلبي، هل تصدقي ولو لاحظت اني احوالك بطريقة اجرامية؟ فالحلفان ليس مقبولاً اذا تعهدت باسم من اعبد به بأي سأتصرف خلافاً لشرائعه. هكذا قسمك ليس الا كلام، واحتجاجاتك هزيلة يقصها الطابع الأصيل، على الأقل في نظري.

برتران : القسم منك ان تغيري رأيك فيّ، وان لا نكون هكذا قاسية في حكمك علي فحيي مقدس ووقائي لا يعرف التكلّف الذي يتهم به الرجال. فلا ترددي بل باديني عواطف المريضة لكي تصح، قولني لي انك لي، وسيدوم حيي لك كما بدأ نريها مخلصاً.

هيلنا : اتا اري ان الرجال لا يصدقون في مثل هذه القضايا، واننا نخدع انفسنا اذا اعتبرناهم صادقين. اعطي هذا الخاتم كمبرهن مودتك لعله يقتضي بحسن نيتك.

برتران : ساعبرك اياه يا عزيزتي، لأنني لا امالك الحق بالتنازل عنه.

هيلنا : انت لا تريد اعطائي اياه، يا مولاي.

برتران : هذا شعار شريف يخص امرتنا، وقد ورثه عن ابي وجدي، وعار علي ان افقده.

ديانا : بروليتي تشبه خاتمتك، وعفتي هي جوهره اسرتنا وقد ورثتها عن امي
وجدني وقدماها سيكون لقطع عار الوث به سحبي. وهكذا اري ان تحفظك
تحميس لحذري في صد هجيمتك المتكررة.

برتران . هيا خذي خاتمي. فانا اهلك شرقي وقلبي وحياتي واطيع اولمرك.
ديانا : (تأخذ الخاتم الذي ينولها اباه برتران) عند حلول منتصف الليل،
اطرق نافذة حجرتي، وسأقترع امر دخولك بشكل لا يدع امي تلمني بوجودك،
لكي احذرك باسم الوفاء، حين تندس في فراشي الطاهر ان لا تمسك فيه
اكثر من ساعة وان لا تبس بته شعة. ولطلي هذا اسباب قاهرة ستق
عليها عندما ارد لك هذا الخاتم في هذه الليلة سأضع في اصبعك خاتماً
يثبت لك في مستقبل الأيام اجتماعنا هذا. للوداع الآن. لا تتأخر، فقد ريجت
بشخصي زوجة وفة، وانت تحرمني من كل ليل في البقاء مخلصه.
برتران . في احضانك اجد المجة على وجه الأرض.

(مخرج)

ديانا : (وحدها) ارجو ان تعيش لشكر الله وتشكرني. لأننا حتماً نحتاج
مرحلة دقيقة. فولدتني ابائي بالطريقة التي سبقتني بها مالك قلبي. وقد
اكدت لي ان جميع الرجال يقسمون على الوفاء، وقد اقسم هو ايضاً ان
يتزوجني عندما تموت امرأته. وانا واضحة بأن اسريح بفره عندما اذن لي
بطن الأرض. وهما ان الفرنسيين هم عملاء الى هذه الدرجة، فليقترن بمن
يشاء لأنني اريد ان اغشه وأصبح هكذا خاتمة حفرة.

(مخرج)

المشهد الثالث

في خيمة ضمن المعسكر الفلورنسي يتبرها مشعل موضوع على مائدة.

(يجل سبدان غريباً جنبهما ثلاثة جود).

السيد الأول : ألم تسلمه رسالة والدته؟
السيد الثاني : أجل اعطينه اياها منذ ساعة. وقد قرأ في مطورها ما قلب مزاجه رأساً على عقب كأنه امسى رجلاً آخر.
السيد الأول : لقد جلب على رأسه ملامة استحقها برفضه زوجة صالحة وسيدة رائعة.

السيد الثاني : وعرض نفسه لاستياء الملك الذي حجب عنه رضاء ورعايته الواردة. ما طمطك على امر مستحفظه في اعماق صدرك.
السيد الأول : عندما تقوله لي سأحرص على ابقائه في سرّي، كأنه في صندوق مغفل.

السيد الثاني : لقد استمال هنا في فلورنسا سيدة صبيّة، خفيفة نقيّة، بعد أن اعطاها خاتمه الذي ورثه عن اجداده، لأنه يعتبر نفسه اسعد الرجال بهذا الحب المشويّه.

السيد الأول : وقانا الله شر الضلال لأن اوضاعا ليست على ما يرام.
السيد الثاني : نحن خونة يحق انفسا. وكما يجري في سائر المؤامرات، نرى الدسائس يتحادثون فيما بينهم عن آمالهم وطمعهم حتى يروا نواياهم تنقلب عليهم ويترنّد كبلهم الى نحرهم. وهكذا مستحقه مكيدته الخاصة إذ يرون به الويل ويتدهور نبله الى الخصيف ويبيع سره المخفي.
السيد الأول : اولا تدور في رؤوسنا دسيسة خفية سافلت تفسر نوايانا الشريرة. اعتقد بأنّه لن يكون هذا المساء بصحبتنا.

السيد الثاني : لن يمتنى له ان يوافينا إلا بعد منتصف الليل. لأنه مرتبط بموعد في ساعة متأخرة.

السيد الأول : وهذه الساعة تقترب بسرعة فائقة. على كل حال يمرني
ان يحضر مناقشة رفيعة، ليأخذ فكرة عن حكمة الشخص بعد تقديره كثيراً
هذا البطل المزيف.

السيد الثاني : لن نهتم بهذا الرجل قبل وصول الكونت، لأن حضوره يسحق
قلب هذا الشقي.

السيد الأول : بانتظار ذلك، ارجوك ان تغيدني عن مجرى الحرب.

السيد الثاني : سمعت انه مهّد الطريق الي تحقيق السلم.

السيد الأول : لذلك استطع ان اطمأنه بأن الصلح قد تمّ.

السيد الثاني : ولماذا بفعل كونت روسيون عندك؟ هل يسافر الى مكان
آخر ام يعود الى فرنسا.

السيد الأول : لاحظ من هنا السؤال انك غير مطلع على مشاريعه.

السيد الثاني : بل بالعكس، يا سيدي، انا مشترك فعلياً في جميع اعماله.

السيد الأول : منذ شهرين يا سيدي، هربت زوجته من قصره بحجة قيامها
بزيارة احد المعايذ، وتحت هذه الزيادة يخشوع لا يوصف، وبما هي تقضي هنا
بعض الوقت تمرض نفسها الى انفس التجارب ونهبت ضحية حزنها وفارقت
الحياة اخيراً، وهي ترتج الآن في الأعداء السماوية.

السيد الثاني : ماذا ثبت صحة ما تقول؟

السيد الأول : أولاً رسائلها التي تؤكد حكايتها حتى حين وفاتها. وموتها
ذاته الذي لم تستطع ان ترويه، قد اكده كاهن تلك المنطقة.

السيد الثاني : وهل علم الكونت بأمرها؟

السيد الأول : اجل، بكل التفاصيل الخاصة التي تهرمن على صدق الحقيقة.

السيد الثاني : وما يمزق قلبي أسى هو انه مسرور لموت ذلك.

السيد الأول : كم يستعجل احبائنا في تمزية انفسنا، بالكشفي من شقاء قلوبنا.

السيد الثاني : وكم نستعجل لفضاً وربة شفائنا من خلال دموعنا، قبل سمعته
هنا يظفي على شر سلوكه الممنين هناك.

السيد الأول : لا نسي ان نسبح حياتنا سداً للخير ولحمته الشر، وان

فصالحنا تشامخ علينا اذا لم تجلبها سياط التوبة عن دنوبنا، وان فضائلنا
ترزح تحت وقر قوطنا اذا لم ترتفع بها مآثرنا الى فوق.

(يعدل احد العبد).

ابن سيدك يا هذا؟

الخادم : صلاف الدوق في طريقه واستأذنه بالانصراف. وسيرجل سيادته
غداً الى فرنسا بعد ان نكرم الدوق عليه برسائل توصية الى الملك.
السيد الثاني : ستسغه التوصية كما يلزم عندما تكون ملحّة.

(يعدل برتران).

السيد الأول : الملك مستاء الى درجة ان لا شيء يخفف حنقه. ها هو
صاحب الجلالة. قل لي، هل اجتزنا منتصف الليل يا مولاي.

برتران : حكمت هذا المساء بالهجاز في ست عشرة قضية كانت تستغرق
كل واحدة منها شهراً كاملاً. استأذنت الدوق بالانصراف وودعت ذوي
ودفت ابرقي وليست عليها ثياب الحداد وكنت الى سيدتي الوالدة اني
عائد واكملت استعمانات رحيلي ورتبت هذه الطرود الكبيرة وارسلت عدة
اشياء ضرورية وكان آخرها اهتمامها، لكنها لم تصل بعد.

السيد الثاني : مهما كانت المسألة صعبة، انا كنت جلالتك تنوي ان تبارح
هنا السكان اليوم صباحاً، عليك ان تسجل في الرحيل.

برتران : اقول انها لم تصل بعد، وانحش ان اسمع عنها كلاماً لا يرضي
في المستقبل. هل سيلمأ قريباً ما ترقبه من حوار بين الجندي وهذا الجبان؟
ها اكشف لي حقيقة هذا المولى المزيف الذي خدعني اذ ليس كل ما
يرق ذهاباً.

السيد الثاني : (لبعض الجنود) غدوه. (يخرج الجنود) هذا الفتى المسكين
قضى الليل بطوله بين شجيرات العنب فسكّر.

برتران : هذا امر بسيط. لقد نالت من قدميه شدة الإرهاق، بعد أن اعمل
طويلاً مهمازيه بطن جواده فجمع به. كيف حاله الآن؟

السيد الأول : سقط كما انصرفت بذلك سيادتك، وهذه الشجيرات ساعدته.
اتما لكي احييك حسب رغبتك لقول انه يروح كفلاح ذلقت كل حليها

على الأرض. فلقد اعترف بأخطائه وفنوه لموركن الذي ظنه راعياً، منذ ذكرياته الأولى حتى الساعة المشؤومة التي استقر فيها على هذه الشجيرات. لماذا تظن أنه قد احترف؟

برتران : بشيء لا يمسني، أليس كذلك ؟

السيد اللطاني : أنا كتبت لقراري وسيتلى عليه. فإذا كان الأمر يتعلق بسيادتك كما اعتقد، ما عليك إلا أن تكون طويل ألبال حتى نسمع كل ما تشاء.

(يردد الجرد ويرتطم بالرول مصوب العينين)

برتران : قطه الطاعون. هيونه مصوبة. إذا لا يمكنه أن يقول كلمة واحدة عني. لنلزم الصمت.

السيد الأول : احذر لعبة الشطرنج والسندان. كراشو ترطاسا.

الجندي الأول : (لبارول) هو يطلب تفنيك. ماذا أنت مستعد أن تقول بدون إشراكه في الكلام.

بارول . سأبوح بما أعرفه بدون أن يجبرني أحد، وإذا سحق لحمي بالمرهم لن أخفوه بحرف واحد.

الجندي الأول : يوسكو سيموركو.

السيد الثاني : هوليزو شيكور موركو.

الجندي الأول : (يأخذ ورقة) أنت قائد حكمهم. ضابطاً بأمرك بالإجابة على الأسئلة التي سأطرحها عليك بموجب هذه المذكرة.

بارول : سأجيب عليها بصراحة لا يمكن الشك فيها كألمي في الحياة.

الجندي الأول : (يقرأ) أسأله أولاً ما هو عدد فرسان الدوق؟ وما هو رأيك فيهم؟

بارول : لديه خمسة أو ستة آلاف حصان، لكنها متعبة وليست صالحة للخدمة. وجنوده كلهم مشغولون وروؤسائهم جماعة من الماسكين المحاربين. أقسم لك

بشرطي وبحياتي التي اتبثت بالمحافظة عليها باني أقول الحق.

بارول : اجل، أقسم باني لا أقول سوى الحق مهما عرضت علي.

(يكتب الجندي)

برتران : (للسيد الأول بصوت خافت) لا شيء يهمه. تباً له من محال مكار

السيد الأول : (لبرتزان بصوت خافت) انت مخطيء يا سيدي. هذا الرجل المائل امامك اسمه بارول، هذا الجندي الباسل كما يقول هو عن نفسه، يحمل كل مشاكل الحرب في طية شاله، وكل غمرته في قرابه خنجره. السيد الثاني : (بصوت خافت) من الآن وصاعداً لن اتق بأي اسان لمجرد نظافة نصلته، ولن اصدق اقواله لمجرد لئاقة ثيابه. الجندي الأول : هذا مكتوب.

بارول : اجل، اكبر خمسة لو ستة آلاف حصان او ما يقارب هذا العدد. اكتب تقريباً، لأنني لا اريد ان اقول إلا الحقيقة. السيد الأول : (لبرتزان بصوت خافت) قوله اقرب ما يكون الى الواقع. بورتزان : (للسيد الأول بصوت خافت) لكنني لا اقدر ابدأ صراحة من هذا النوع.

بارول : (للجندي الأول) أوصيتك يا مسكين ان لا تنسى شيئاً. الجندي الأول : هذا ايضاً مكتوب.

بارول : اشكرك بوضوح يا سيدي. فالحقيقة واحدة لا تغفر. وهؤلاء هم في الواقع مساكين.

الجندي الأول : (يقرأ) اسأله ما هو عدد الخيالة؟ وما هو رأيه فيهم؟ بارول : لعمرى، انا لا اقول سوى الحق ولو بقي من عمري ساعة واحدة فقط. هيا اكتب، سيوريو: مقة وخمسون، سيجتيان: مثله، كورمبوس: مثله، يعقرب: مثله، كيليان وكوسمو ولودميك وكراتي، كل واحد منهم: مقتان وخمسون. وفرقي لنا شيفر، وفوموند، وبتي كل واحد منا مقتان وخمسون. فيكون المجموع خمسة عشر ألفاً، نصفهم لا يجرؤ على السقوط رغم خوذتهم، مخافة ان ينهشموا الى مئات القطع المتناثرة.

(الجندي الأول يكتب).

بورتزان : (للسيد الأول بصوت خافت) ما هو مصيره؟

السيد الأول : (لبرتزان بصوت خافت) الشكر على معلوماته القيمة. (بصوت خافت للجندي) اسأله عن اخلاقي، ثم عن مكائبي لدى الدوق. الجندي الأول : كتب كل هذا. (يقرأ) اسأله ايضاً اذا كان في المعسكر

رجل فرنسي يدعى الضابط دومين، ثم ما هي سمته وما هي منويته وادبياته وخبراته في الحرب، وإذا كان يعتقد بإمكان تحريضه بالذهب الزنان على الثورة والمصيان. وما رأيه بذلك؟ وماذا يعرف عنه شخصياً؟

بارول : استحلفك بأن تسمح لي في هذا المجال أن أجيب عن كل سؤال على حدة بدءاً بهذا.

الجندي الأول : حل تعرف الضابط دومين؟

بارول : أجل أعرفه جيداً. كان متمرناً عند رجل يتعامل اشغال الرفو في باريس ومان نصيبه الطرد، لأنه اعتدى على فتاة قاصدة من دار رئيس الشرطة فحبلت منه وهي غرساء مخفلة لم تستطع صده.

(بعد السيد الأول المنصب بارول بنجشة بعد).

برتوان : (للسيد الأول بصوت خافت) الغض، جندك الآن، فربما سقطت قريضة على رأسه وانتقم لك منه.

الجندي الأول : وهل هذا الضابط موجود حالياً في معسكر دوق غلورنسا؟
بارول : على ما أعلم، هذا المصطوك الذي يأكل القمل بدنه، هو الآن هناك.
السيد الأول : (لبرتوان بصوت خافت) لا تنظر إلي هكذا شديراً، ستسمع في الحال ما يخص سيادتك.

الجندي الأول : (لبارول) ما هو وضعه بالنسبة إلى الدوق؟

بارول : الدوق لا يعرفه إلا كضابط مسكين تحت إمرته. وفي ذلك النهار كتب إلي بكي طرده من الفيلق. وأظن أن الرسالة لا تزال في جيب.

الجندي الأول : لسري، لا بد من البحث عنها.

(بعد نحو بارول ويبتعد).

بارول : لتكلم جدياً. لم أعد أدري أين وضعتها بالضبط، أهي هنا أم في

خيمتي؟ ربما في ملف مع سائر رسائل الدوق.

الجندي الأول : (يسحب ورقة) ما هي الورقة. تريد أن أقرأها لك؟

بارول : لست أدري إن كانت هذه هي الورقة بالذات لو لا.

برتوان : (للسيد الأول بصوت خافت) كيف يقوم ترجماننا يوظفها؟

السيد الأول : على أحسن ما يولم.

الجندي الأول : (يقرأ الكونت، يا ديانا، رجل احمق، محمل ذهاباً.
بارول : هذه ليست رسالة الدوق يا سيدي. هذا تيه موجه الى فتاة شريفة
من فلورنسا، من قبل كونت روسيون، الرجل الغني الفاسق المتهوس. ارجوك
ان ترد لي هذه الورقة.

الجندي الأول : لا، اسمح لي أولاً ان اتم قراءتها.
بارول : انا اسمح، لأنني اريد هنا ان اكون اكثر احترماً نحو الفتاة. فانا
اعرف الكونت الشاب، وهو خطر جداً، لأنه يشبه الموت الذي يعمرس
البيوتات كالسمكة الكبيرة التي يتلع كل سمكة صغيرة تصادفها في طريقها.
برتران : (على حدة) نيا له من محال لمن.

الجندي الأول : ان كان يهدف على السس وعوده العرفية، قل له ان يترك
الذهب، جانياً، لأنه قلما يدفع ثمن ما يأكل. اما الصفقة التي يصو اليها،
فلكي تتم يجب ان تحقق نصفها على الأقل. فما عليه الا أن يعمل، ثم
يعقد الصفقة. وما دام لا يدفع اي عربون، دعه يدفع سلفاً كل القيمة.
انصراً، صديقي انا الجندي، يا ديانا، وتعاطي مع الرجال، وياك ان تعانقي
الأولاد. اتكلمي على الكونت السفل لأنني اعرف جيداً انه يدفع سلفاً كما
قلت لك، لكن ليس في الوقت اللازم، كما همس لك في اذنك.

التوقيع: بارول

برتران : (على حدة) سيجلد امام افراد الجيش، وعلى جيته هذه الأقوال
الخبيثة.

السيد الثاني : (على حدة) هذا يا سيدي، هو صديقك المحاضر العالم المتعدد
اللغات والجندي المحدث بمقدرته.

برتران : (على حدة) الى الآن لم اكره الا الذهب، وهذا الرجل في نظري
ذئب شرس.

الجندي الأول : (لبارول) لاحظ يا سيدي، من محيا القائد ان انصامتك
الى صفواته يسره كثيراً.

بارول : انا يا سيدي، انشئت بحياتي واحافظ عليها بأي نم، لا لأنني
اعشى الموت، بل لأن دنوبي عديدة، واريد ان اقضي باقي العمر بالتوبة

والتكبر عنها. فتركني على قيد الحياة يا سيدي، في السجن، أ، مريوطاً
إلى عموده، حيث تشاء. المهم ان اعيش.

الجندي الأول : سئى ما يمكن عمله اذا واصلت اعترافاتك بصدق وبتو
تحفظ. لنعد الى الضابط دوماي. لقد أدتني عن مكانته لدى الفوق ومن
مهارته. فماذا تعرف عن اغياله؟

بارول : هو رجل لا يتورع عن سرقة البيضة من تحت الدجاجة. كذلك
لا شيء يردعه عن الاختصاب والخطف. وهو لا يفي بوعوده ولا يسمع
شيء عن نقص عهوده وإيمانه. يكذب بسهولة كأنه يقول الحقيقة، ويدمن
على السكر كأنه فضيلة، وهو دوماً ثمل قدر كالخنزير، يصبح ويمسي على
عمل الشر دون ان يحجم عن زرع الفساد ولوثكاب الموبقات. جاداته معلومة
ولا مزيد لسمائه ولقلة مروءته. بالاعتصار فيه من التفات كل ما في الرجل
الخبث، وليس فيه اية مزية حيدة تشفع بمعاصيه.

السيد الأول : (على حدة) بت لوذ معرفته بسبب ما ذكرته لي عنه.
برتران : (على حدة) لأجل هذه الأوصاف التي لا تشرف! قتله البرص. انا
اراه شبه الذئب تملأ.

الجندي الأول : (لبارول) وماذا تقول من خبرته في خون الحرب؟

بارول : بلمني يا سيدي، لأكد لك انه قرع الطبل امام المهرجين الإنكليز.
ولا اريد ان اضيف اليه اية نعيمة. هذا كل ما اعرفه عن خبرته العسكرية.
مع ذلك، في هذا البلد، مكان يدعى « مايل لند » عليم فيه كضابط لجميع
الجنود في فرقة المهلوتين حكماً لردت ان اكرمه بقدر ما يستحق في
هذا المجال، ولست ادري ان كنت وفيه حق.

السيد الأول : (على حدة) لرى النيط يلزمه الى حد انه يجمع الشرور
في قبح سلوكه.

برتران : (على حدة) قتله الطاعون. هو في نظري ليس إلا ثعلب مرلوخ غدار.

الجندي الأول : (لبارول) بما ان صفاته هكذا سيئة فلا غنى لي عن سؤالك
اذا كان الذهب يقره ويندسه الى الثورة والتمرد؟

بارول : نظراً الى عسرة طبعه يبيع خلاصه يربع دينار، فيتغلى عن الجنة ويحرم منها احضاده الى الأبد.

الجندي الأول : وماذا تقول عن احبك الضابط الثاني دومين؟

السيد الثاني : (على حدة) لماذا تراه يسأله عنى؟

الجندي الأول : (على حدة) ما صنف هذا الرجل؟

بارول : هو غراب من نفس الفصيلة، لا يساويه لبدأ في الخير بل يفوته شراً وضاداً. وكجبلان، يسبق اخاه، مع ان هذا الأخير شهير بخساسته. قبي التراجع والفرد لا جبان يضاهيه، اما في الهجوم فقدماء تنسّران في الأرض على الدولاب.

الجندي الأول : اذا أشقنا حياتك، هل تتعهد بخيانة الفلورنسين؟

بارول : نعم، مع ضابط القرمسان كوت روسيون.

الجندي الأول : سأبادل القائد بضع كلمات بصوت خافت لأعرف ما هو قراره؟

بارول : (على حدة) لا اريد أن يكلّمني احد بعد الآن عن الطبل. سحقاً لجميع الطبل. اما لكي اخدم هذا الكونت الشاب المتهتك ولوصي اليه بالثقة، قد اقيت بنفسى في المهالك. لكن، من كان يفكر بنصب مثل هذا الكمين الذي اوقعنى في الفخ؟

الجندي الأول : لا خلاص لك يا سيدي، يجب ان تموت. يقول القائد: بما انك حشيت يمينك وبحث بجميع اسرار الجيش وبحثت لاعداء المعارين وكشفت هكذا عن طبيعة سلاح النبلاء فانت لا تتحلى بأي شرف في هذه الدنيا. وبالنتيجة يجب ان تموت. هاء يا جلاد اقطع رأسه.

بارول : يا الهي. دعني على قيد الحياة يا سيدي. دعني انتظر ساعة وفاني.

الجندي الأول : (يمصّب له عيبه) شاهد الآد موتك يا مسكين وودع اصدقائك ثم اجل بصرك فيما حولك. مهل تعرف هنا احداً.

برتران : نهارك سعيد ايها الضابط النبيل.

السيد الثاني : عافاك الله ايها الضابط بارول.

الجدي الثاني : مانا تقصد ان تقول لسيدي لانو ابها الضابط، فأنا ذاهب الى فرنسا.

السيد الأول : ابها الضابط الكريم، هل تريد ان تزودني بنسخة من الفصيدة التي نظمتها لديانا تكريماً لكورت روسيون؟ لو لم تكن جباناً حقيراً لكنت جابهتك واحذتها منك بالقوة. لكن، الوداع.

(يخرج الجميع ما عدا بلرول والسيد الأول).

الجدي الأول : لقد عصرت كل شيء ابها الضابط، ولم تعد تملك سوى شالك.

بلرول : من لا يتوقع دماره وحراب بيته على اثر اكتشاف اشتراكه في مؤامرة خطيرة؟

الجدي الأول : إن تسكت من ابجاد بفعة تحققر فيها المرأة بقدر ما نابني من الازدراء بسعك حيثل ان تكون وعيم انة من السفهاء. اتمنى لك العافية يا سيدى، انا ايضاً ذاهب الى فرنسا وستحدث عنك هناك.

(يخرج).

بلرول : (وحده) الحمد لله على كل حال. مهما كان قلبي كبيراً فهذا الوضع يحمله على الانفجار. لا اريد ان اظل ضابطاً بعد الآن. لكنني اريد أن آكل واشرب بأمان كأني مخلوق في الدنيا. يجب ان اكون بكل بساطة فقط كما انا في الحقيقة لأعيش على هواي. فمن يعرف نفسه انه جبان عليه ان يلزم الحذر دائماً. أن الجبان لا بد له يوماً من يصنف كحملة. إصداً يا سيف، وغب يا حبل. وانت يا بلرول عش يهوان في احضان العار والذل. لقد أصبحت سخيلاً بل في عاية المسخف. وما دام في هذه الدنيا نصيب من السوارد والمكان لكل رجل، هيا اذهب الى حيث يدعوك مصيرك المحتوم

(يخرج).

المشهد الرابع في فلورنسا عند الأرملة.

(تدخل هيلانة والأرملة وديانا)

هيلانة : لكي اتمكنك يا بني لم اظنك سيقبل بيننا كبير الأمراء، وامام هرشه سأجئو قبل إنحار مشاريعي. منذ مدة أدت له خدمة جليئة عزيزة علي قلبه كحياته، خدمة نهز عواطف الجلاد المنحجر وتستند رأته والحنانة. علمت ان سموه كان في مرسيليا، ولكي اذهب الي تلك المدينة وجدت قافلة علي اهبه الرحيل، وكان الجميع يستقلون اتي مائة. كان الجيش ممزقاً فوجع زوجي الي القصر، وكنت أمل، باذن مولاي الملك، ان اعود قبل وصول ضيفنا.

الأرملة : يا سيدتي اللطيفة، لم يكن لديك سابقاً خادمة امينة ترعى مصالحك. هيلانة : ولا انت كان لك سيد، لو بالحري صديقة لكافية اخلاصك. لا تظني ان السماء قد ارسلتني لأمد يد العون الي ابتك كما ساعدتني علي ايجاد زوجي. لكن الغريب في الأمر ان يلجأ الرجال الي مداراة ما يكرهون، بينما تقتهم في اشواقهم الفراسي المخذولة تنهار في ظلام الليل. تندغدغ الدعارة ما تبغضه عندما يغب الوعي عن بصائرهم. ستحدث في هذا الموضوع قريباً. وستألين كثيراً يا ديانا بسبب انقيادك الي تعليماتي المسكية.

ديانا : ارجو ان احفظ بشرفي الي آخر نسمة من حياتي، وان اظل صامدة اتحمل كل العنايات في سبيل رضاك.

هيلانة : استحلفك ان تصبري قليلاً. فالوقت يمد اليها صفاء ابهام الضيف قهرم الأشجار وتغيب الأشواك، لا رغم الشوك تشم رائحة شذى العطر. هيا لنذهب، فمررتنا جاهزة والمهل امامنا قصيرة المدى، والنعرة في النهاية،

ما دامت الخاتمة تتوج العمل. ومهما كانت المشاكل مغلقة وعسيرة الحل
لا بد من بلوغ النتيجة الحاسمة.
(تخرجان)

المشهد الخامس في قصر كونت روميون

(تدخل الكونتيس ولانر والمهرج).

لافو : كلا، ثم كلا. لقد ذهب ابنك ضحية تضليل مشعوذ مكاره، ناعم
اللمس يفتن بدعائه المشؤوم عقلية شعب بكامله. بدونك كانت كنتك لا
تزال على قيد الحياة، وابنتك هنا بقربك في كنف الملوك الذي يرعاه بطريقة
احصل بها لا يتلقى من هذا الثعلبان القلدار الذي حدثتك عنه.
الكونتيس : كم أتمنى ان لا أكون عرقته، لأنه سبب موت اشرف امرأة
عرقها. حتى ان كانت من لحسي ودمي، وإن كلفني الكثير من عناء التريفة
ومن سهر الليالي لو كنت امها الحقيقية، لما تطفل حيها في اعماق قلبي
اكثر مما انا متعلقة بها الآن.

لافو : هي سيده كريمة الأصل موفورة الكرامة.
المهرج : في الحقيقة هي جوهرة نادرة لا تقدر بثمن.
لافو : بل هي رهرة زاهية فواحة المطر، لا عشبة رديئة كما يظنها البعض.
المهرج : انا لست بحالم كبير يا مولاي، كي أتميز بين الزهر والعشب.
لافو : ما هي مهنتك ايها الدجال المجنون.
المهرج : اجل، انا مجنون في خدمة امرأة، ومحتال في خدمة رجل.

لافر : اشرح قولك.

المهرج : استميل روحه الرجل الذي اعدمه.

لافر : ممكن تكون دجالاً في رعاية مصالحه.

المهرج : وأنتح لامراته عن رغباتي المرفية بخدمتها.

لافر : انا موافق على قولك انك محتال ومجنون معاً.

المهرج : في خدمتك يا سيدي.

لافر : كلا ثم كلا.

المهرج : اجل يا مولاي. ان لم استطع ان لخدمك، سأخدم اميراً خطيراً مثلك.

لافر : اي لمر تعني؟ هل هو فرنسي؟

المهرج : اسمه انكليزي، انما طلعه البهية الجذابة تدل بالحري على انه

فرنسي اكثر مما هو انكليزي.

لافر : من هو هذا الأمير؟

المهرج : الأمير الأسود يا مولاي، الملقب بأمر الظلمات اي ابليس.

لافر : (يرمي اليه بمحفظة نقوده) اليك نقودي، وانا اعطيك اياها كي لا

تكف عن خدمة سيدك وقد خبرته جيداً. فخير على خدمته دائماً.

المهرج : انا من سكان الغابات يا مولاي، واحب اضرار النار. والسيد الذي

حدثك عنه يحب النار المشتعلة. ربما لأنه امر خطير، فما على حاشيته

إلا ان تفلوم مجلسه في البلاط. اما انا فأفضل البيت الضيق الباه الذي

تلبه العظمة بسرور وانفة في شيفه لأنه يلائم القوم المتواضعين. ولأن اغلب

الداخلين يرتجعون بسبب صخبهم ويميلون الى الطريق المفروش بالزهور

المؤدي الى الباب الكبير والنار المتهبة.

لافر : سر في طريقك لأنني اخذت اشعر بالنعب في حديثك، وانا أمن

لك ذلك كي لا ينشأ خلاف بينا. اكمل طريقك، واجتهد ان تحسن معاملة

جيادي بلون ان تحتال عليها.

المهرج : اذا احتلت عليها لن يكون خداعي سوى لعبة سمجة والطبيعة

تميز مثل هذا اللعب.

(مخرج)

لافو : (الكوتيس) تبا له من محال لعين. ايه حقا؟ وغد سافل.
 الكوتيس : هذا صحيح يا مولاي، هو لا يعرف لليلة معنى. بمكث هنا
 بمحض لولائه؛ واذا أظهر قلة حيلته هكذا قلأنه لا يحترم احداً.
 لافو : لا ضرر من ذلك، وأنا اسبه على تصرفه. اريد ان اقول لك اني
 عندما سمعت بموت هذه السيدة، وغرب عودة سيدي ولديك، رجوت مولاي
 الملك ان يكلمه بخصوص ابنتي. فوعدي بجلالته حبراً، واقترح عليّ هذا
 الزواج، عندما كانا كلاهما لا يزالان غاصرين. فحدثني سموه بالاحاح مجدداً
 في هذا الموضوع، ولكي يضع حداً لاسيائه من ولدك، لم يجد لولي من
 اللجوء الى هذه الوسيلة. فما رأي سعادتك؟

الكوتيس : انا سرورة جداً يا سيدي، ولو ان لري اتجار هذا المشروع قريباً.
 لافو : سموها عادت من مرسيليا الى مقرها منشطة كأنها في الثلاثين من
 عمرها. والملك سيكون هنا غداً، اذا صدقت معلوماتي التي نادراً ما تخدعني
 ولا تخيب توقعاتي.

الكوتيس : يسعدني جداً ان آمل بمشاهدتها قبل ان اموت. فقد وصفتني
 بعض رسائل تقيدي ان ولدي سيكون هنا في هذا المساء. فامتحن سياتك
 ان تمكث عندنا حتى تتم مقابلتهما.

لافو : كنت الساعل يا سيدي، بأية صفة تعرف اليهما؟

الكوتيس : عليك ان تبرر امتيالك المشرفة.

لافو : لقد استخدمتها كثيراً على هواي واشكر الله اني لا تزال انعم بالوقار
 والاحرام.

(يدخل المهرج)

المهرج . يا سيدي، ها هو مولاي (ابنك قد وصل) وعلى محياه عصبة
 من المخمل. ولست ادري ان كان يريد اخفاء جرح وراء هذا المخمل.
 مهما كان الأمر هي عصبة حلوة، وغداً مولاي فيها خيال بثلاث شمرات
 ينسا حذاه الأيمن يخلو من امة علامة فارقة.

لافو : لا بد من ان يكون قد تلقى جرحاً ببل اثناء القتال، وهي شارة
 مشرفة بدون شك.

المهرج : وجهك انت ليس انقى منه.
الافو : هيا نشاهد ابنك لأنني في غاية الشوق لأنحدث الي جدي شاب نظيره.
المهرج : لعمري هناك عشرة اشخاص، يركلون قبعات جميلة لها ريشات
مميّزة وينحنون للسلام عليه.

(مخرجان).

الفصل الخامس

المشهد الأول

في مرسيليا امام منزل فخيم.

(تدخل هيلانة والأرملة وديانا وعثمان).

هيلانة : الهرولة في عربة السفر نهاراً وليلاً، امر مرهق حقاً، لكن لا حيلة لنا لتجنبه. انما تقوا انتم الذين تقيمون في خدمتي باستمرار، رغم تحذرتكم وانتم راضون لا تظنرون، بأنني لن أنسى ولاءكم ما صحيت، واعتبر ذلك من حسن حظي.

الوجه : ولئن أنسى الفضلك يا سيدي.

هيلانة : يدخل الي اني شاعبتك في بلاط فرنسا يا سيدي.

الوجه : اجل ذهبت الى هناك مروراً عابدة.

هيلانة : اعتقد بانك لا تزال تحافظ على مقامك الرفيع ورحمن رعايتك مهما تقلبت الظروف التي تبدل احياناً عن كل كلفة رسمية. لذا ألتصم منك خدمة اعتبرها معروفاً تطلق به جيدي على مدى الأزمان.

الوجه : ماذا تريدان يا مولاتي؟

هيلانة : ان تكرم وتسلم جلالة الملك هذا المروض وان تساعدني على مقابلة، بما لك من نفوذ في البلاط.

الوجه : الملك ليس الآن هنا.

هلاثة : ليس هنا؟

الوجه : لا، حقا. لقد رحل الليلة البارحة مستعجلاً على غير عادته.

الأرملة : يا الهي لقد ضاع ثمننا سدى.

هلاثة : العبرة في النهاية يا مولائي. مهما عاكستا الظروف وهزئت الوسائل،

لا بد من الوصول إلى الغاية، لذا كان لنا فيها من نصيب. ارجوك ان تقول

لي الى اين ذهب؟

الوجه : الى روسون على ما فهمت، حيث انا ايضا ذاهب.

هلاثة : (تمد اليه ورقة) رجائي اذاً يا سيدي، بما ان من المحتمل ان

نقابل الملك قلمي، ان تكرم وتسلمه هذه الورقة. أؤكد لك انك لن تعرض

لأية ملامة بالعكس سيذكرك على خدمتك. وسأوافيكما بأسرع وقت ممكن.

الوجه : (يستلم الورقة) سأقوم بهذه المهمة مسروراً.

هلاثة : وشكرون مشكوراً مهما حدث. هيّا نمتطي صهوة جيلدنا (لرجلها)

تعالوا تنهياً للرحيل.

(بمخرجون)

المشهد الثاني

في باحة قصر كوفت روسيون.

(يدخل المهرج وبارول يده ورقة).

بارول : يا سيدي الكريم، أرجو أن تسلم هذه الرسالة للسيد لافو. كنت في الماضي تعرضني أكثر من الآن، حين كنت ارتدي ثياباً أنظف. لكنني حالياً كلي عار، والشمب يبدو على سحتي ورائحة عرقِي ربما تبعث على الإشمئز.

المهرج : حقاً هبتك لا نرضي ولا تبعث كثيراً على الإرتياح، وأنا عارم على أن لا أشم مثل هذه الرائحة الكريهة بعد الآن. (يسد أنفه) أرجوك أن تقترب من النافذة المفتوحة.

بارول : هيا لا حاجة إلى سَدِ أفك يا سيدي، فانا لم تكلم إلا على سبيل التشبيه فقط.

المهرج : يا صديقي إذا كان تشبيهك له هذه الرائحة، فعلي أن أسد أنفي لقاء تشبيه آخر. ها هوذا لافو بناته.

(يدخل لافو)

شكراً. سيادته يمثل الغدر، كالذئب الماكر الذي سقط في مستنقع قفر ضحل المياه. أرجوك أن تفعل ما تستطيع عمله لإغراق هذا اللعين. لأن سحتي تدل على الممكنة والبؤس والحث واللؤم والردالة مجمعة. أنا أؤكد لك أن كآبته تكبر نفوري. لذا تركته لسيدك.

(يمرح)

بارول : يا مولاي، أنا رجل سيء الحظ، قست عليّ تقلبات الأيام. لافو : وبماذا تريد أن أسفلك؟ فات الأوان حالياً لتقليم الظفر. بماذا أمأت إلى الرمان حتى غاملك بهذه الخشونة، وكيف خدشت الظروف وجهك، وهي تشبه السبلة الشريفة التي لا تدبر للدجالين ظهرها كي لا تتجع مكانهم

في رعايتها. (تعطيه قطعة نقود). هذا ربع دينار لك. اتنى ان ينصمك الدهر
ويغير احوالك ويمسك الحظ ليلتك. لدي أشغال اخرى، فاعذري.
بارول : اتنى من سيادتك ان نسمع مني هذه الكلمة الوجيزة.
لافلو : (يعطيه قطعة نقود اخرى) هل تريد المزيد من المال؟
بارول : لا يا سيدي الكريم، انا ادعي بارول.
لافلو : لذلك تريد ان تقول لي كلمتك. لعة الله على الشيطان. هات يدك.
كيف حال طهلك؟
بارول : انت اول شخص تمكن من رؤيتي على حقيقتي وعرف قيمتي.
لافلو : حقاً؟ وانا اول من عسروا صديقتك.
بارول : انت وحدك تستطيع ان تعيد اليّ اعتباري، لأنك انت سبب ضياعي.
لافلو : صحيحاً لك ايها اللعين انت تريد بمساعدتك ان اقوم في وقت واحد
مقام الله الكريم العادل ومقام الشيطان اللعين القادر. فأضعك بعد ان نسييت
في سقوطك كما تقول. (يسمع صوت يوق) ها قد وصل الملك. الا تسمع
صوت اليوق يا محفل؟ سنأتي اليّ فيما بعد. بالأمس بلغت احبارك المشؤومة
يا موهوس، وهي غير مطمئنة ابداً. هيّا اتبعني.
بارول : اشكر الله على وجودك معي.

(مخرجان).

المشهد الثالث في قاعة كبيرة بقصر كونت روميون

(صاح الموسيقى يدخل الملك والكونتيسة لافو وسادة وحرس الخ)

الملك : لقد خسرنا بفقدانها جوهرة غالية. ضحيا روثي رهونا. اما ولدك فقد ضيحه جتونه لأنه لم يعرف مقدار ضه.
الكونتيسة : هذه مسألة غلظة يا صاحب الجلالة. أكتس من سبادتك ان لا ترى فيها سوى ثورة عابرة اثارها ثوب شبابه، لأن الدم يغلي في عروقها ويلهب عتوانه فيحرق ما حوله، وقد اعمى الطيش بصيرته.
الملك : ليتها السيدة الموقرة، لقد سامحت وسيت اسامته. ولو كنت انوي الانتقام منه، لما كان الآن هنا بجوارك.
لافو : هنا ما وجدت ان امير عنه، وانا اكتس عقول ابها الملك وصفحك.
لرجو المعذرة، فهذا الشاب تصرف حيالك وحيال والدته وزوجته ابصاً بشكل مبهين. انما الضرر الأكبر لحقه هو شخصياً. إذ فقد روجه الحساء وبريق عينها الجلاوين وعقلها الراجع وفصيحتها السامية.
الملك : حيا اجلوه الى ها، فان إلقاء نظرة واحدة عليه تفسر كل ما يعذب قواده وتخفف ما اقترفه من ذنوب. والمرأة التي اساء اليها اكثر من سواها قد فارقت الحياة وابنت ذكرها في قلبه غصة لا نخمد نارها. فليقتل كغريب لا كمجرم (لأحد الوجهاء) أفهمه ان هذه هي رغبتي.
الوجه : امرك مطاع، يا صاحب الجلالة.

(يخرج)

الملك : (للافو) ماذا قال عندما ابديت له فكرة لقتله بابتك؟ هل حدثه بالأمر؟

لافو : هو يحرم جلالته احتراماً لا مزيد عليه، ولكن يخالف مشيئتك.
الملك : اذا، سمعته وليمة العرس. ومنذ برهة استلمت رسائل تشيد بأمجاده.

(بعد برتران).

لافو : ما أروع محيطك المشرق، وما أزهى طالعك البهية !
الملك : (لبرتران) أنا لست كالنهار الحزين، بل كالشمس الساطعة، حتى
إن كان البرد يساقط بغزاره. ألعن الأشعة المنيرة تجدد اليوم، فأبرز بسك
لأن الطقس عاد إليه الصفاء.

برتران : أتمنى من رحابة صدرك يا صاحب الجلالة أن تصفح عن ذنوبي
وتقبل توبتي الصادقة.

الملك : كل شيء انتهى. لا تزد كلمة علي ما نطقت به. ولنغتنم فرصة
السلام والوثاق لأن الوقت يمر بسرعة ونحن نتقدم في السن، فلا ندعه يفلت
مننا (يشير لافو إلى برتران) هل تتذكر ابنة هذا السيد؟

برتران : بكل فخر واعتجاب ليها الأمير. في الماضي وقع إعجابي عليها
بدون أن يحسر قلبي على دفع لساني إلى التعبير لها عن حقيقة شعوري
بحورها وحيال هذه العاطفة الأولى لست ادري كيف طفى علي فظنرت ليها
بهم الإزدراء وكرهت جمالها وكرهت فضائلها، وفي كل مكان ثم أبصر
إلا قبض صفاتها العالية بايشع الظواهر الخداعة. وهكذا بدت لي هذه المرأة
التي بقيت على حسنها وعلى صفاتها جميع الرجال والتي أحببتها أنا في الماضي
فخسرناها وقد انقلب صلاحها في عيني إلى أخط الفساد.

الملك : ها أنت تجد لنفسك الأعذار الكافية. فإن إقرارك بأنك أحببتها
يخفف من سوء تصرفك. والحب الذي يأتي متأخراً يشبه نعمة تنزل علينا
بطء وتطلب على ملتصبها الحكيم كأنها علامة مريرة تصرخ: ان فقيدنا
صبية بريئة، لأن استخفافنا للجاني حملنا على الإستهتار بالأشياء الثمينة التي
نملكها ولا نعرف قيمتها إلا عندما نخسرها، كما لنا لا نقدر الأشخاص
من حولنا إلا بعد أن يهربوا عن أنظارنا أو يصبحوا من مكان القبور. غالباً
ما ندعنا أهواؤنا العمياء إلى التضحية بأعز أصحابنا الذين نبكيهم بعد أن
نخسروهم لأن صداقتنا العميقة لا تلبث أن تدرك تصرفنا المشين، لكن بعد
فوات الأوان. أرجو أن يكون هذا التنبيه ناقوس الخطر حيال هيلة العاتية.
الأولى بنا أن نسالها. عليك الآن أن تقدم هديتك للحساء مدلين لأن الجميع

يوافقون عليها، ونحن هنا بانتظار ان ينتهي زملك بافراح عرملك هذا الثاني.
الكوتيس : لرحو ان يكون ابهج من الأول. بارك الله مملكك، والآ أدركني
الموت قبل ان تتم فرحة زولملك هذا.

لافو : اقرب، يا ولدي، يا فرحة عمري وثروة أسرتي. قدم لي برهاناً على
حبك لاهتي علي رجاء ان يجمعك بها في القريب العاجل. (يزرع برتران
من اصبعه خاتماً ويغطيها لياه) بحق لحياتي التي وغطها الشيب، وجمال
شعر هيلانة التي ماتت وكانت امرأة مثالية، هذا خاتم يشبه الذي رأيته في
اصبعها يوم ودعتها وهي تغادر البلاط.

برتران : هذا لم يكن يوماً خاتمها.

المملك : (يأخذ الخاتم) دعوني اتمحصه، لأن نظري وقع عليه منذ بركة
مراراً عديدة وأنا احدث، ويخيل لي ان هذا الخاتم يخصني. لأنني عندما
اعدت هيلانة قلت لها: اذا لوحجها الظروف الى حماتي، فهذا الخاتم
كفيل بأن يؤمنها ليا. فهل اخلت عليها وحرمتها من اقوى وسيلة يملكها
بما يلزمها من العون؟

برتران : لؤكد لك يا صاحب الجلالة ان هذا الخاتم لم يكن يوماً خاتمها.
الكوتيس : انسم لك بحياتي يا بني التي شاهدته في اصبعها، وكانت حريصة
عليه حرصها على حياتها.

لافو : انا وانتي بأننا كانت تضعه في اصبعها.

برتران : انت مخطيء يا مولاي، هي لم تره ابداً، اذ اني فلقته من الثامنة
حين كنت في فلورنسا، وكان مصروراً في ورقة كتب عليها اسم من رميتي
به، وهي خاتمة من البلاء كانت تظني حراً من كل ارتباط. لكنها عندما
لوحشت لها حقيقة وضعتي واعطت لها اني لا استطع تلبية رغبتي حسب
الأصول والشرف نحفظت بلزغان اليم. لكنها دون ان ترضى ابداً بأن تسترد
خاتمها هذا.

للمملك : بلوتوس ذاته الذي يعرف فن تحويل المعادن لا يملك سر طبيعة
هذا الخاتم اكثر مني. لأنه كان يخصني، وقد ضمن هيلانة ايضاً. فلا اهمية
لن اعطاك لياه. ان كنت حقاً على يقين بأنك تتمتع بكامل وعيك، اعرف

بأنه كان لها واعترف أيضاً بأية وميلة عجيبة متخربة قد حصلت عليه منها، يوم اشهدت عليها جميع الملائكة بأنها لا تتزعزع من اصبعها إلا لكي تعطيك ابنة شخصياً في السرير الذي لم تشاركها اياه مطلقاً أو لكي ترسله اليّ اذا داعيتها محبة فادحة.

برتران : هي لم تره ابداً.

الملك : انقسم لك بشر في انك لا تقول الحقيقة، وانك تبحث في نفسي قلقاً خائفاً. فلو ثبت انك عديم الإنسانية الى هذا الحد... هذا غير ممكن. مع ذلك انا اعلم جيداً انك كنت تكرهها حتى الموت. وقد فارقت الحياة، ولا شيء، إلا عندما تفضض عيني ساعة ألقظ آخر انقاسي، يمكن ان يغير قناعتي بسرّ هذا الخاتم. (للحراس) خلوه. (يطوق الحرس برتران) فهما حدث، فالبراهين الظاهرة تثبت ما احمسى ان يكون قد حلّ بها وما سُنْتُ هذه الصية باستهتارك من أليم العذاب. خلوه. وسأُنظر فيما بعد في هذه القضية بحمق وتلقيق.

برتران : اذا توصلت الى البات كرون هذا الخاتم يخصّ هيلانة تثبت في الوقت ذاته بأنها اصححت في سريرها في طورسا حيث لم تذهب ابداً في حياتها. (يخرج برتران، يحيط به الحرس)

(يحمل الوجه الذي سادته هيلانة في رسالة)

الملك : هذه الأفكار الفظيعة تخلي بالي.

الوجه : ايها الملك العادل، لست ادري ان كنت استحق الملامة أو لا، هذا معروضي قدمته سيدة من طورسا كادت تفقد عفتها اربع او خمس مرات ورجعتي ان اسلمك اياه شخصياً. قد كلفني بهذه المهمة وألّحت علي بلطف كلامها منمسة وهي تنتظر علي احر من الجمر جوابك وأوامرك يا صاحب الجلالة. وقد بدت اهمية القضية بوضوح على محياها المشرق الا قالت لي بكلماتها الرقيقة التي تشغل الآن بال جلالتك بأن الأمر يهمك للغاية.

(يسلم الرسالة الملك الذي يخطها).

الملك : (يقرأ) ... وبعد وعود عديدة صريحة بأن يتزوجني كونت روسيون

عندما تموت امرأته يحمر وجهي عجباً بأن أعلن انه اغتامي . الآن نرمل هذا الكونت ولم يف بوعده لي بانفاذ شرقي، بل هرب من فلورنسا بدون ان يعلمني بعزمه على الرحيل لئلا اطلبه بوفاء تعهده . فأرجوك ان تصفني منه يا صاحب الجلالة وانا واقفة بأنك قادر على ذلك . وبألا انتصر شاب طائش اغوى فتاة فصاحت عفتها لأنها صدقت كذبه وانطلى عليها عدائه .

لافو : لوذ أن اشترى صهراً حديداً من السوق وبيع هذا المشاش الذي لم اعد أتق به .

الملك : لقد حلفتك السماء يا لافو بهديك الى هذا الإكشاف الهام . جيئني بصاحبة هذا المعروض . وعجلوا باحضار الكونت الى هنا . (يخرج احد الوجهاء مع خادم . للكونتيس) انخس يا سيدي ان تكون هيلانة قد لفتت نحيبها ضحية مجرم شر .

الكونتيس : هي هذه الجلالة، ليس اماناً إلا الانتصاف من المجرم اللئيم .
(يدخل برتران يحمل به الحرم)

الملك : (لبرتران) انا اصعب يا سيدي من نظرتك الى المرأة كأنها عتاء توحى اليك بالهرب حالما تحلف بأنك ستؤمن لها الحماية الزوجية، ومن رغبتك الآن في الزواج . (يعود الوجه مصطحباً ديانا والأرملة) من هي هذه المرأة؟

ديانا : لنا يا مولاي، تلك التيمية الفلورنسية المنحدرة من اسرة كابولية القديمة العهد . وعلى ما بلضي، اصبح معروضي معلوماً لديك وبنت يا صاحب الجلالة تعرف ما اشكو منه، وكما انا مظلومة بسببه .

الأرملة : انا انما يا مولاي . وشيخوختي وشرقي وأيمان وغرور مثل هذا النيف المشين الذي لا تفره ولا ترضى به جميعاً بأن ينهب ضحيته هذان الزوجان لا بد من إيجاد حل لهذه المشكلة المعقدة

الملك : اقرب لهما الكونت . هل تعرف هاتين المرأتين؟

برتران : انا لا استطيع ولا اريد ان انكرهما يا مولاي . اني اعرفهما حق المعرفة . هل هناك تهمة اخرى؟

ديانا : (لبرتزان) لماذا تنظر الى زوجتك بمنزل هذا الازدراء؟

برتزان : لا علاقة لي بهذه المرأة يا مولاي.

ديانا : اذا تزوجت مستح امرأة عيري شخصك الذي يخصصني، ولعيرها مستقيم عهدك المقدس الذي يخصصني أيضاً، وستحرمني من ذاتي لأنني احسن نفسي بطبيعة الحال، وعودك ليست نفساً من كيانك اكثر مما تخص التي ستزوجها والتي سترتبط هكذا بحياتنا نحن الاثنين.

لافر : (لبرتزان) بسنحك، على ما ارى، ليست بمستوى فضيلة ابني، لذا اعتبرك مستحقاً ان تكون زوجها.

برتزان : (الملك) يا مولاي، هذه المرأة مجنونة ومضربة، وقد سخرت في الماضي مرراً من تصرفاتها. فأرجو أن نغفر جلاطك رأيك في، وان تكون على يقين بأنني لرفع من ان انحط الى الدرك الذي نطقتني لتحدثت اليه. الملك : رأيي، يا سيدي، أن نغفرم ولهاها حين تصالحان. فأعني ان تضعك امالك في مستوى أعلى من الذي لراك فيه

ديانا : ارجوك، يا مولاي الكريم، ان تسأله، بعد أن يقسم اليمين، ألم يمتلك بتوليته؟

الملك : ما هو جوابك على هذا السؤال الوجهه؟

برتزان . انها عاهرة لا تستحي، تباع جسدها لكل من يدفع ثمنه الرخيص في سوق الدعارة.

ديانا : هذه امانة لا اقبلها يا مولاي. لو كنت كما يقول لكان اشتراني بأبخس الأثمان. لا نصليته. انظر الى هذا المعاتم الذي يحطف جماله الأبصار والذي تغمر فيه بشرة طائلة. لقد اعطاني اياه كعاهرة في سوق الدعارة كما يقول، لو كنت انا كذلك.

(تشير الى حاتم من اصبعها)

الكوكبيس : ها هو يحتر نجلاً. لأن هنا هو غنامهم بالذات. فمذ عشرة اجيال هذه العاسة انتقلت بالوراثة من الجد الى الابن ثم الى الحفيد، وهكذا حملها جميع افراد الأسرة. فهي لذا زوجته، وهذه العاسة هي بمثابة الف شاعر والف يرهان.

الملك : ألم تقولي أنك أبصرت ها في الهياط شخصاً يمكن استدعاؤه للشهادة.

ديانا : هذا صحيح يا مولاي، لكنني أكره أن أقدم للشهادة مثل هذا الرجل الدنيء الذي يدعى بأورول.

لافو : رأيت اليوم هذا الرجل، إن كان يستحق اعتباره من الرجال.

الملك : (يلفت الي رجاله) ابحثوا عنه وجعلوني به.

(يخرج بعض الخدم).

يوتران : ما الفائدة؟ هو معروف كمحلال دجال ملطخ بجميع ما في العالم من افتقار، تأنف طبيعته المتحطة أن تقول كلمة صدق واحدة. فهل شهادة مثل هذا المخبوق الخبيث تجعلني هذا أو ذلك من اصناف البشر؟

الملك : المدعية لديها خاتم اخذته منك.

يوتران : هي صادقة يا مولاي. وهذا دليل على انها أصعجتني وانها جلدتني بصحتها ودلائها، فارتعيت في احضائها أثناء فورة الشباب. وكانت عالمة بالفولوق التي تفصل بيني وبينها. ولكني نذلل كل رفض من قلبي أثارت اشتاوتي بتسنعها الشكلي، لأنها تعرف جيداً أن كل صنوع مرغوب ولا كل عقبة تقف في وجه الشهوة تحمسيها وترغبها في مضاعفة الاحاج. أخيراً لا أنكر أنها البارع في اصطلاح الرجال وفي فرض شروطها عليهم. فقلت هذا الخاتم لقاء ما جادت عليّ به من متعة كما يشتريها غيري بسم السوق.

ديانا : لا أنكر ذلك. فقلت بعد أن طردت زوجتك الأولى البيلة، لم استعرب منك أن ترحل زواجنا. لديّ كلمة أخيرة. بما أنك تعطر إلى الفضيلة انا لا آسف على فقدانك كزوج. كلّ أحدٍ يجلب لك خاتمك كي اعينه اليك بشرط أن ترد لي خاتمي.

يوتران : لا خاتم عندي

الملك : أرجوك أن تشرحي لي كيف كان خاتمك.

ديانا : يا مولاي، هو يقبه تماماً هذا الخاتم الذي تضمه في اصبعك.

الملك : (يمس يده) هل تعرفين هذا الخاتم؟ انه عين الخاتم الذي كان في اصبع الكونت.

ديانا : وهو الخاتم الذي أعطته إياه حين قدس في سريري.

الملك : أدا كانت قصة رمية إليه من النافذة رواية مختلفة.

ديانا : وإن ما قلته أنا هو الحقيقة الناصحة.

(يدخل «بارول».)

بوتران : (للملك) يا مولاي، أنا أعترف بأن هذا الخاتم كان يخصها.

الملك : أنت تعلم بكل بساطة، وألاحظ أنك ترتجف كريمة في مهب

الريح. (يشير لديانا التي بارول) أهذا هو الرجل الذي تكلمت عنه؟

ديانا : أجل يا مولاي.

الملك : (لبارول) تكلم يا محتال، وكل بصراحة كل ما تعرف. أنا آمرك

بأن تكلم ولا تخف غضب معلمي، فانا أحبك من أذاه، إذا كنت صادقاً.

ماذا تعرف عنه وعن هذه المرأة؟

(يشير إلى هكوت وهي ديانا).

بارول : يا مولاي، لقد تصرف معلمي دائماً كرجل نبيل شريف، ونظير

كل الوجهاء تصرف أيضاً على هواه.

الملك : هيا أخبرنا بدقة وتفصيل، هل أحب هذه المرأة.

بارول : أجل يا مولاي، لقد أحبها.

الملك : كيف أحبها؟

بارول : أحبها يا مولاي كما يهوى أي وجه امرأة جميلة تأخذ بمجامع

القلوب.

الملك : أراك تتقلب في كلامك. فأني نوع من المحتالين أنت؟

بارول : أنا رجل مسكين في خدمتك يا مولاي.

لافر : هذا طبل مستاز يا مولاي، لكنه ركبت المارة وخطيب غير مفوه.

ديانا : هل تعرف إن كان وعدني بالزواج؟

بارول : نعمتي، أنا أعرف أكثر مما أريد أن أقول.

الملك : لولا تريد أن تصرح بكل ما تعرف؟

بارول : أجل يا صاحب الجلالة، كنت الوسيط بينهما كما قلت لسيداتك.

وأضيف أنه كان يحبها، بل كان في الحقيقة مولعاً بها، ويتكلم عن ابليس

وعن المظهر وعن الثروات ولا ادري ماذا ايضا. علاوة على ذلك كنت
اسمع تسمياتهما، فطلعت انهما تلما في سرير واحد والله وعدهما بالزواج،
وغير ذلك من التفاصيل التي تجلب على رأسي الويلات لذا بحث بها.
لذا لن اقول كل ما اعرفه.

الملك : لقد قلت كل ما يهمني، إلا اذا اضفت انهما متزوجان. في الواقع
انت بارع في تمويهاتك. يمكنك ان تثقف هناك. (لديها) تقولين ان هنا
الخاتم يخصك؟

ديانا : اجل، يا مولاي الكريم.

الملك : من اين اشتريته؟ او بالحرى من اهداك اياه؟

ديانا : لم يعطني اياه احد، ولم اشتريه.

الملك : من اعارك اياه؟

ديانا : لم استعده من احد.

الملك : اين وجدته اذاً؟

ديانا : لم اجد له في مكان.

الملك : بما انك حصلت عليه بطريقة غير التي ذكرناها، اعلميني كيف
استمكن ان تعطيه اياه؟

ديانا : انا لم اعطه اياه مطلقاً.

لافر : هذه المرأة زلفة اللسان يا مولاي، وتتكلم كما يحلو لها.

الملك : هذا الخاتم كان يخصني، وقد اهدته لأول زوجة اقترن بها الكونت.

ديانا : انا اجهل ان كان لجلالتك او لها.

الملك : خذوا هذه المرأة، لأنها لا تعجبني. احبسوها واحبسوه هو ايضا.

(لديها) اذا لم تبقي لي كيف وصل اليك هذا الخاتم قبل مرور ساعة من
الآن ستفانيين.

ديانا : لن اقول لك ذلك ابداً.

الملك : خذوها.

ديانا : انا مستعدة لتقديم سند كفالة، يا صاحب الجلالة.

الملك : الآن ايفتت انها حلوة

ديانا : (لبرتزان) اسم لك، إن كنت عرفت في حياتي رجلاً، أنك حتماً أتت.
 الملك : (يشير إلى بورتزان) لماذا تهتمها لذا طوال هذا الوقت؟
 ديانا : لأنه مذنب وغير مذنب. وهو يعرف ولا يعرف اني لم اعد عذراء.
 ليها الملك الكريم، تقسم بحياتي باني لست عاهرة. فأنا إما عذراء، او راحة
 هذا المعجوز.

(تسرع إلى لانيو)

الملك : هذه المرأة تسخر منا. عذوها إلى السجن.
 ديانا : يا لانيو! اذهبي واحضري لي مبلغاً من المال لكفالتني. (تخرج الأرملة)
 ارجوك ان تصبر قليلاً علي يا صاحب الجلالة. لقد أرسلت في طلب الصانع
 الذي صنع هذا الخاتم وهو يحجب عني. لما هذا السيد الذي استغفني كما
 يعلم جيداً، فهما كان موقفه غير سليم بالنسبة إليّ، انا اسامحه. هو يعلم
 جيداً أيضاً انه دُرس سريري، ومع انه صبرني أشد، ورغم كونني في نظركم
 ميتة، انا اشعر بحياتي يتحرك في احشائي. هذا هو سريري. فإني نظنونها
 ميتة، لا تزال في الحقيقة على قيد الحياة. وهذا ما يفسر هذه الأحجية الغامضة.
 (تعود الأرملة تصيحها هيلانة).

الملك : لو ليس في الأمر من مستحضري لرواح يخدعون نظري بطريقة
 علمية؟ هل ما اراد حقاً والعي؟

هيلانة : كلا، يا سيدي الكريم، أنت ترى عيال زوجة، اي اسمها لا شخصها.
 بورتزان : لا بل كلاهما معاً. المفور.

هيلانة : يا سيدي العزيز، عندما كنت نظير هذه الصبية، عرفتك حنوياً وروفاً.
 هنا هو خاتمك، وهذه رسالتك التي تقول فيها: « عندما تحصلين على الخاتم
 الذي اضعه في اصبعي، وتحملين في احشائك جنيناً من صلي. الخ... »
 كل هذا قد تم. فهل تريد ان تصبح زوجي، الآن وقد أصبحت مرتبطة بي
 بعهد مزدوج؟

بورتزان : عندما تفسرون كل هذا بوضوح لجلالة الملك، سأحبك أكثر فأكبر.
 هيلانة : اذا كان ما قلته لك غير واضح، فيديهي ان يفصل بينا طلاق
 حاسم (للكوتيس) يا لاني العزيزة، هل اراك حقيقة امام ناظري؟

لاأقو : عناي تشمران بحريق كمنعول البصل. سأبكي في الحال (البارول)
 يا عزيزي المخلوق، اعزني مندليك لحظة اشكرك. تعال لتراني وتسليني.
 انما اترك هنا وسيتك لأنها تستدعي الشفقة.
 للملك : (لهيالة) اعلميني مرحلة فمرحلة كيف جرت هذه القصة. ولتعمرنا
 حقيقتها بالسعادة والهاء. (لديانا) ان كنت لا تزالين زهرة فطرة نقية اختاري
 زوجاً وانما ادفع بالقتك. لأنني حررت انك بمساهمتك الفعالة قد انتقذت حياة
 زوجة بمحاضتك على بتوليتك وطهارتك. فهذه المغامرة وكل التعقيدات
 التي واقفها ستوضح لنا حسب مشيتنا. الى الآن كل شيء يبدو على ما
 يرام. واذا كانت الخاتمة انصاً هكذا سعيدة، فان كل الولايات الماضية ستزول
 وتتضاعف حلالة المستقبل. (تصدح الموسيقى).

(تصاح الأنغام مع المشاهدين).

غمرت الملك موجة من السرور بعد ان تمّ تمثيل المسرحية، وكل شيء
 انتهى بالحنى لد تسي لنا ان نحصل على رضاكم عن موضوع الرواية.
 وكل يوم بدل مجهوداً جديداً لنبل اعجابكم، ملتصين سباحكم ودفاعكم
 هنا. عمدوا لنا بد العون بلطف، وحذوا قلوبنا السّحية معكم
 (مخرج الجميع).

﴿ تَمَّت ﴾

الليلة الثانية عشرة

تعريب

ج. يونس

أشخاص المسرحية

- مهر طويي بلش : عم اوليفيا.
 اورسينو : دوق إليري.
 سير اندريه أكاشيل.
 ملفوليو : وكيل اوليفيا.
 فاست : مهرج اوليفيا.
 قبيان : في خدمة اوليفيا.
 سيسيان : قولم فيولا.
 انطونيو : ريان سفينة، وصديق سيسيان.
 فلشان {
 كوريو {
 مبدئ في خدمة الدوق.
 ريان سفينة وصديق فيولا.
 الكونتيس اوليفيا.
 فيولا : نوامة سيسيان، وعاشقة الدوق.
 ماريا: وصيفة الكونتيس.
 مائة، وكهنة، وبحارة، وضابط، وموسيقيون، وخدم.
 تجري الأحداث في مقاطعة إليري.

الفصل الأول

المشهد الأول

في قصر الدوق

(يدخل كوريو وبعض السادة. تترد الموسيقي)

الدوق : إذا كانت الموسيقي غذاء الحب، فاعرفوا من الألحان ما طاب لكم حتى يرنوي منها قلبي. أسبحوي هذا الايقاع مرة أخرى، فقد دأب أدني كما يدأب النسيم العليل باقة من البنفسج حاملا معه عبقها. كفى، لم يعد الايقاع مستعسا كما كان منذ لحظة. كم أنت مرهف الحس وسريع التقلب، أيها الحب !

كوريو : هل تريد أن تصطاد يا سيدي ؟

الدوق : ماذا أصطاد، يا كوريو ؟

كوريو : الأكل.

الدوق : يملكني الآن شعور نبيل. عندما رأيت عيناى لوليفيا للمرة الأولى، تخيلت التي انها تعطر الهواء من حولها. ومنذ تلك اللحظة أصبحت طريدة تلاحقها رغباني الملحة باستمرار.

(يدخل كلتان)

ماذا تحمل إلي من أخبارها ؟

فلتكن : لم أخط برؤيتها. لكني أحمل إليك الجواب الذي نكته التي خاطبتها.
لن نرى السماء وجهها قبل مضي أعوام بتمامها. انما نظير راحة جيمة، لن
تسير الا محببة، وسسقي كل يوم غرضها بدموع سحبة. كل ذلك لكي
يفى حبها لشقيقها المتوفي حيا في ذاكرتها الحزينة.
الدوق : من تملك قلبا بهذه الرقة وتبادل انساها مثل هذه المحبة، سيكون
تملقها به عظيما عندما سيلا عقلها وقلبها دافع واحد يطفى على سائر
مشاعرها الأخرى. نعال نذهب الي المروج وخمائل الأزهار حيث يطيب
لأحلام الحب أن تهجم في ظل الأغصان. (يخرجان)

المشهد الثاني

على شاطئ البحر

(تدخل فيولا وريان وحضر البسطة)

فيولا : أيها الأصدقاء ما اسم هذا البلد ؟

الريان : هذه المقاطعة تدعى إليري، يا سيني.

فيولا : ليس لدي ما أضله في مقاطعة إليري. فشقيقي موجود في مقاطعة

إليري، وربما نجا من الفرق. ما رأيكم في ذلك أيها البحارة ؟

الريان : لقد حالفك الحظ فنجوت بنفسك.

فيولا : مسكين أنتي. كم أود أن يكون الحظ حليفه هو أيضا، وأن يكون هو
أيضا قد نجا بنفسه.

الريان : أنت على حق يا سيني. ولأخضع أملك، يسعي أن يؤكد لك انه
عندما حدثت لغرة في مركبتنا وتعلقت أنت بوزورتنا مع من نجا، أبصرت أعماك

يمسك بكل فطنة بالصاري المكسور الذي كان يطفو على سطح البحر
شاهدته يصارع الأمواج كما هل آريون الشاعر اليوناني عندما غرق وامتنى
ظهر الحوت.

فيولا : قولك هذا تستحق عليه أن تمنى ما تشاء من الذهب. إن سعادتي، إن
صح ما ترويه لي تجعلني أتوقع لأخي بهجة مماثلة لما أشعر به من الأمل، لا
سيما إن كلامك عنه يشجني على ترجيح هذا الاعتقاد. هل تعرف هذه البقعة
من البلاد ؟

الربان : أنا أعرفها جيدا، لأن سقط رأسي حيث ترعرعت لا يحد من هنا
سوى مسافة ساعات قليلة سيرا على الأقدام.

فيولا : من يحكم هذه المنطقة ؟

الربان : يحكمها دوق نبيل القلب والاسم معا.

فيولا : ما اسمه ؟

الربان : اورسينو.

فيولا : اورسينو لقد سمعت أبي يردد ذكره. وكان عازبا حينذاك.

الربان : لا يزال عازبا. إذ لم يرض على غيابي عن هذه الديار سوى شهر.
وقد بلغني أنه يخطب ود الحناء أوليفيا.

فيولا : من هي أوليفيا هذه ؟

الربان : عذراء فاضلة، ابنة دوق توفي منذ سنة تقريبا، تاركاً لها تحت رعاية
أحبها الذي مات أيضا منذ عهد ليس بعيد. ويقال إنها اعتزلت العالم حبا به.
فيولا : أرد أن أدخل في خدمة هذه السيدة، وأن تبقي مكانتي الاجتماعية
مجهولة إلى اليوم الذي أبلغ فيه هدي.

الربان : من الصعب الوصول إلى ما تبغين، لأنها ترصد سماع أي عرض، ولو
كان مصيره الدوق نفسه.

فيولا : أنت بهي الطلعة أيها الربان، ورغم أن الطبيعة تخفي عادة كثيرا من
الردائل وراء المظاهر الجميلة، أعتقد بأن طيبة قلبك تتسجم مع محاك الرسم.
أتمنى إليك أن تكتم أمرى وتساعدني على التعمي للوغل غايبي وأنا أعدك
مقابل ذلك بمكافأة جزيلة. أريد أن أنخرط في خدمة هذا الدوق، على أن

تقدمني أنت إليه بصفتي أحد الفئان. وأنا والله بأن مسلك سبكل بالنجاح،
لأنني أجد شئ أنواع الفناء. لذلك سيخبرني أهلاً لخدمته. أما بالنسبة إلى ما
سيحصل بعد ذلك، فاني أترك أمره للزمن. المهم أن نلزم أنت المصمت.
الربان : لكن لك ما تريد، ولذا زلّ لساني وكشمت سرك فليعطني، النور
في عيني.
فيولا : أشكرك جزيل الشكر. عافني إليه.

المشهد الثالث

في منزل أوليا

(يدخل سير طوي بلث وماريا)

سير طوي : سحقاً للشيطان. ماذا دهالك حتى ثقل عليك هكذا موت أخيك.
أنا والله بأن الحزن هو علو الحياة.

ماريا : يا سير طوي، عليك أن تحضر مساء في الوقت المناسب، لأن ابنة
أخيك تنتقد بشدة أوقات حضورك غير المناسبة.

سير طوي : إن تتقدمني هي، أفضل من أن تكون موضع انتقاد.

ماريا : نعم، لكن عليك أنت أيضاً أن لا تتمدّد حدود النظام.

سير طوي : لكنني حسن الهمام. وثاني توهمني لمعارفة الخمرة مع أصحابي.

ماريا : معارفة الخمرة ستغني على مستقبلكم. لقد سمعت السيدة تكلم

البارحة عن المارس الأبله الذي اصططحت معك ذات مساء ليكون عاشقها.

سير طوي : من ؟ سير اندريه أكاشيك.

ماريا : هو بالذات.

سير طوي : انه أقوى رجل عرفته في مقاطعة إليري.

ماريا : هذا لا يهم.

سير طويي : مدخوله السنوي يعادل ثلاثة آلاف دينار.
ماريا : أجل، لكن هذا المبلغ الضخم لا يبقى في حوزته طوال السنة، لأنه
مبتر مهووس.

سير طويي : كيف تقولين هذا ؟ هو لاعب ماهر، ويجيد ثلاث أو أربع لغات،
ويتمتع بمواهب طبيعية جيدة.

ماريا : بل هو أبله مشاكس جبان، يخلف جبهته من عنقه في المشاجرات.
سير طويي : قوم من الكذابين، من يتكلمون هكذا بحقه. قل لي من هم هؤلاء
الأشخاص ؟

ماريا : هؤلاء يقولون أيضا انه يسكر كل مساء بصحبتك.
سير طويي : أجل، يظل يشرب نخبة ابنة أخي حتى يستولي عليه السكر. وأنا
بدوري أظل أشرب نخبة ما دلفت حجرتي تماعدني على ذلك، وما دام
هناك شراب في مقاطعة إليري. جبان كل من يرفض أن يشرب نخبة حتى
يسكر. ها بنا. ها هو سير اندريه أكتشيك قادم.

(يدخل سير اندريه أكتشيك)

سير اندريه : يا سير طويي بلش، كيف حالك ؟
سير طويي : يا لك من رجل رائع، يا سير اندريه.
سير اندريه (يحاطب ماريا) : برك الله جمالك أينما الحمناء.
ماريا : وأنت أيضا يا سيدي.

سير طويي : إنشرب يا سير اندريه، للشراب.
سير اندريه : من هذه الضيفة ؟
سير طويي : هي وصيفة ابنة أخي.
سير اندريه : اقربي يا سيدي. أريد أن أتعرف اليك معرفة أوفى.
ماريا : اسمي ماريا، يا سيدي.

سير اندريه : أكرر عليك ، اقربي، يا سيدي ماريا.
سير طويي : لا نخدع نفسك بأنها الفارس الشهم. قلت لك أن تقترب أنت
منها، أي أن تغازلها.
سير اندريه : أقسم لك بأني لم أكن أبغي التودد إليها. هل هذا ما تريد قوله ؟

ماريا : وداعا أيها السادة.

سير طويي : اذا تركتها تذهب هكذا يا سير اندريه، ستعجز يدك عن أن تسل
السيف من غمده.

سير اندريه : اذا ذهبت هكذا، أيتها السيدة أنظنين أن يدي ستعجز عن أن
تسل السيف من غمده ؟ هل تعتقدين بأنك تشكين غيها ؟
ماريا : أنا لا أمسكك بيدي، يا سيدي.

سير اندريه : تستطعين إمساكي بيديك اذا شئت.

ماريا : أرجوك أن تضع يدك في مخبر اللبن فاصبح رطبة.

سير اندريه : ماذا تمنين بقولك هذا ؟

ماريا : إن يدك يابسة، يا سيدي.

سير اندريه : أظن ذلك. لست بأحمق لأدع يديّ تبتلان. لكن ما هذا
المزاح ؟ هل لديك منه الكثير ؟

ماريا : أجل عندي الكثير منه. انما الآن، وقد اظلت يدك، لم أعد أملك شيئا
منه. (تخرج).

سير طويي : لم يسبق لي أن أراك مهزوما كما رأيتك اليوم.

سير اندريه : يخيل إليّ أحيانا أن نصيبي من الذكاء لا يتعدى مستوى الرجل
العادي. غير أنني أحب كثيرا تناول لحم العجل. وأعتقد بأن هذا يسيء إلي
ذكائي.

سير طويي : لا أشك بذلك.

سير اندريه : عدا سأمتطي حصاني وأعود إلي منزلي.

سير طويي : ماذا تمنى أيها الفارس العزيز ؟

سير اندريه : كنت أتمنى لو أنني قضيت في تعلّم اللغات وقتا مماثلا للسدة
التي كرستها لنفسي لمتشاق الحسام، والرق وصراع الخنازير. سأعود غدا إلي
منزلي، لأن ابنة أخيتك لا ترغب في رؤية أحد، ولأن الدوق الذي يمكن
بالقرب من هنا يهازلها.

سير طويي : هي لا تحب الدوق، وقد أقسمت أنها لن تتزوج رجلا يفوقها
مؤلة أو ذكاء أو منا. ولن تحت يمينها.

سير اندويه : سأملكك هنا شهراً آخر، لأنني وجل غريب الأطوار، أحب حفلات الرقص التكرية.

سير طويي : هل أنت بارع في مثل هذه التفاهات، أيها الفارس المغوار ؟
سير اندويه : أجيدها مثل أي رجل في مقاطعة إليري بشرط ألا يكون من رؤسائي. ومع ذلك، لنا أرباباً بأن نلاد في هذا المضمار برجل عجوز

سير طويي : لماذا تخفي مهارتك هذه ؟ هل تعيش في عالم يفرض علينا اعتفاء جملتنا ؟ أعتقد بأن سائقك متوترة المصلات ؟

سير اندويه : أجل، إنها على قدر كبير من الصلابة. هل نرتجل بعض الملامح ؟

سير طويي : وما عسانا نفعل أفضل من ذلك ؟ هل نحن من مواليد برج الثور ؟

سير اندويه : الثور يؤثر على الضلوع والقلب.

سير طويي : بل على الفخذ والساق. (يخرج جان).

المشهد الرابع

في قصر الدوق

(يدخل فلان وميلا وقد ارتدت ملابس حمام)

فلان : إذا استمر الدوق في اغداق نعمه عليك، يا سيزاريو، ستنال حظوة عظيمة في عييه. إذ أنك لم تعد غريباً عنه، رغم أنك لم تمره إلا منذ ثلاثة أيام.

فيولا : هل تخشى قلبه أم تخشى لعمالي حتى تشق في استمراره في حسن معاملته لي ؟ هل هو متقلب في مشاعره ؟
فلان : كلا. صلتني.

(يدخل الدوق وكورديو وجعفر وجمال الحاشية)

فيولا (مخاطب فلان) : شكرا، ها هو متبل بحونا.

الدوق : من رأى سيزاريو ؟

فيولا : أنا هنا، رهن اشارتك، يا سيدي.

الدوق (مخاطب أفراد حاشيته) : اجعلوا قليلا (يخاطب فيولا) يا سيزاريو، أنت الآن تعلم كل شيء عني، لأنني كشفت لك غفائا أفكاري. فعليك أن تحت حطاك نحوها، ولا ندعها تصدك. ابق واقفا أمام بابها وقل لخدمها أنك لن تغادر منزلها قبل أن تحظى بمقابلتها.

فيولا : بدون شك، يا سيدي. إذا كانت مشيئة إلى أحرانها، كما بلغي، فلن تستقبلي.

الدوق : قم بأي عمل، تجاوز جميع حدود اللياقة، ولا تمد بدون نتيجة.

فيولا : لنفترض أنني تمكنت من التحدث إليها، فماذا أقول لها ؟

الدوق : كاشفها بحبي لها، وباعجالي وبتلقي بها، ومنتجع في تصوير احتماي بها. فسماعها ذلك من فمك أيها الفتى، أفضل مما لو صورته مبعوث دو مهابة ووقار.

فيولا : لا أظن ذلك، يا سيدي.

للدوق : بل أنا وأنت من النتيجة، أيها الفتى فأنت أشبه بفتاة، ونعمرة صوتك تساعدك على القيام بدور المرأة. أعلم أن بربك قد احتارك لهذه المهمة. سيصحبك أربعة أو خمسة أشخاص. وإذا شتم اذهبو جميعا يرفقة لأنني أكون سعيدا عندما أبقى وحيدا. إذا وفقت في مهنتك ستكون حرا مثل سيدك، وستظل ثروتك حكرا عنك.

فيولا : سأفزل بسيلتك ما استطعت. (على حدة) نأ له من صراع مرهق. كيف أفزل به حين أريد أن أكون زوجة له.

(يخرج الجميع)

المشهد الخامس

في منزل لوليفيا

(تدخل ماريا وسبحا تلت)

ماريا : قل لي اين كنت، وإلا لن اعطوك. ستأمر سيدتي بشفك بسبب تفيلك.
فاست : لتأمر بشفي. عس كان مشغولاً في هذه الدنيا لن يخشى شد الحبل.
ماريا : فوضح ما تقصد قوله.

فاست : لن يرى شيئاً برجه.

ماريا : لقد اجبت ببراءة. استطيع ان اتول لك من اين جئت. وبهذا التعبير لا
انصبي شد الحبل.

فاست : من اين انت، يا سيدتي ماريا؟

ماريا : من الحرب. يمكنك ان تقول هذا في حماقتك.

فاست : ألا تتم الله بالذكاء على من يمتعون بالنباهة. أما بالنسبة الى الحمقى
فأنى لهم ان يستمدوا ما ليس لديهم من المذهب.

ماريا : مستحق لانك تغيث طوول هذه المدة، بل سطرده. وهل عقاب الطرد
يوفرني الشق بالنسبة اليك؟

فاست : الشق لفصل من الزواج غير الموفق. اما فيما يتعلق بالشط فالصيف
يدير امرها

ماريا : انت اذن مصمم.

فاست : نعم صممت على امرين.

ماريا : متى ذلك انك لم تصمم على اي شيء.

فاست : وهو كذلك. إمضي في طريقك. ادا عدل سير طوي ذات يوم عن
معارفة الخمرة، مشكوبين انت كثر نساء مقاطعة إليري سرورا.

ماريا : انغرس. يا لك من تاه. كفى، فالسيدة مقبلة. اسمع نصيحتي وقدم لها
اعتذارك بكل فطنة (تخرج) .

(تدخل اوليا وسهرلو)

فاست : اذا حسن لديك ايها الظريف، دع ذهني يتوقد، لان العقول المتطرفة التي تظن انها تحتكر المواقف غالبا ما تكون حمقاء. اما انا فرغم قناعتي بأنني لا املك كثيرا من المواقف أعتبر نفسي معتدلا. لان المثل يقول ان المجنون المميز أفضل من العاقل الاحمق.

اوليا : خذوه. لا اريد مجانيين هنا.

فاست : ألا تسمعون ايها الأغبياء؟ خذوا هذه السيدة. لا مكان هنا للمجانين. اوليا : يا لك من مجنون هزيل. لا اريد بعد الآن ان اراك هنا، ما حمت قد فقدت براءتك.

فاست : النقص الذي تربته في. يمكن اصلاحه. فضحفي يمكن التغلب عليه بتأولي مزيدا من اللحم الجيد. وقلة نزاهتي يمكن اصلاحها بالتصالح المفيدة. سيدتي تقول ان لا مكان للمجانين هنا. وبالتالي انا اكرر طلبي ان تأخذوا هذه السيدة من هنا.

اوليا : لقد امرت بأن يأخذوك انت.

فاست : يا سيدتي، دعيني اثبت لك انك مجنونة.

اوليا : هل تستطيع اثبات ذلك؟

فاست : بكل براعة، يا سيدتي.

اوليا : هات برهانك.

فاست : لاجل ذلك، علي ان اسألك كأننا في الفصل العجني. اما انت فعليك ان تجيبي علي جميع اسئلي.

اوليا : فليكن ما تريد، يا سيدي لنا مستعدة لمناقشتك برهانك نظرا الي عدم انشغالي بعملية اخرى.

فاست : لماذا انت حزينة، يا سيدتي؟

اوليا : بسبب وفاة اخي، ايها المخبول.

فاست : نفسه في جهنم، علي ما أعتقد، يا سيدتي.

اوليفيا : لا، بل نفسه في السماء ايها النبي.
فاست : انت اذا مجنونة ايها المبدء، لانك حزينة بسبب وجود نفس احبك
في السماء. خفوها، فلا مكان للمجانين هناك ايها الصادة.
اوليفيا : ما واثق بهذا المجنون ما ملفوليو؟ هل بالامكان اصلاحه.
ملفوليو : بالامكان اصلاحه. ولو تطلب الامر اذقته احوال الموت. العلة
تضي على الانسان العقل، يسا تصلح دائما احوال المجنون.
فاست : ألا هلاك الله، يا سيدي بحاجة عاجلة ليكمل بها جنونك. سير طوبى
مستعد لان يقسم بأنني لست ثعلبا وبأنك لست سوى ابله.
اوليفيا : ما ردك على هذا يا ملفوليو؟

ملفوليو : انا أتعجب من سموك كيف ترناحي الى معاشره مثل هذا النذل
الذي رآه البارحة مهزوما امام احد المجانين أمثاله. ألا تريه مرتبكا؟ انا اعتبر
ان هؤلاء هم الذين يسيرون بمشاهدة مثل هؤلاء المجانين وكأنهم هم انفسهم
مجانين.

اوليفيا : انت مصاب بمرض الانانية، يا ملفوليو. عندما يكون المرء صاحب
خلق كريم، تراه يقلد الامور حق قلرها. والمهرج الماهر الذي يمرح فقط لا
يُعتبر سيء النية. وكذلك الرجل العقل الذي يتفقد فقط بفعل ما يسيء الآخرين.
فاست : ليمحك بربك موهبة الكذب، لانك اثبتت كثيرا على المجانين.

(تدخل ماريا)

ماريا : يا سيدتي، في الباب شاب نيل يريد التحدث اليك.
اوليفيا : هل هو آت من قبل الدوق اورسيزو؟
ماريا : لا أعلم، يا سيدتي. انه شاب جميل يصحبه موكب رفيع المستوى.
اوليفيا : من من رجالي يوقته هناك؟
ماريا : سير طوبى، سييك، يا سيدتي.

اوليفيا : ارجوك ان تعديني من هنا، ان تكلم كمجنون. (تخرج ماريا). انت
يا ملفوليو، ادا فهمت ان الرسول من قبل الدوق، اذهب وقل له: اني مريضة او
اني خرجت من المنزل. قل له ما تريد لأتحلص منه. (يخرج ملفوليو) ألا

تري يا سيدي، ان الاعيك قد عفا عليها الزمن ولم تعد تنطلي على احد؟
فاست : لقد كلمتي، يا سيدي، كما لو كنت والدة ابن بكر مصاب
بالجنون، لا أضله جويطار. ها قد وصل احد اللربك وهو نظير امه الثائرة.
(يدخل سر طوي)

اوليفيا : قسم بشرمي بأنك نصف سكران. من في الباب، يا عمي؟
سير طوي : رجل نبيل.
اوليفيا : رجل نبيل؟ ومن هو؟
سير طوي : رجل سبل يقف في الباب. (يخاطب فاست) حسناء ايها
المجنون.

فاست : يا سر طوي...
اوليفيا : كم تبدو منهوكا، يا عمي. فالوقت لا يزال مبكرا.
سير طوي : ما هذه الواقعة؟ انا اكره الواقعة. هناك من يقف في الباب.
اوليفيا : من هو؟

سير طوي : انا لا أهتم به ولو كان الشيطان بعينه. صلفني. (يخرج).
اوليفيا : هل يشبه السكران، يا ايها المجنون؟
فاست : يشبه غريفا غيا مجنونا. الكوب الاول من الخمر يجعله غيا، والثاني
يجعله مجنونا، والثالث يفرقه.

اوليفيا : اذآ، بلغ عمي الدرجة الثالثة من السكر، وغرق. هيا اعطني به.
فاست : ما زال مجنونا فقط يا سيدي. والمهرج سيحتي به (يخرج).

(يدخل ملولو)

ملولو : الشاب الغريب الأطوار الواقف هناك، يا سيدي، يؤكد انه يريد
التحدث اليك. وقد قلت له انك مريضة. فزعم انه علم مسبقا بذلك، ومع
هذا، اتى للتحدث اليك. وقلت له انك نائمة، فزعم ايضا انه علم مسبقا بالامر
ومع هذا، اتى للتحدث اليك. ماذا تريدان ان اقول له، يا سيدي؟ يبدو انه
يرفض الاعتذرات التي تقدمها له للحيلولة دون مقابلة اياك.

اوليفيا : قل له اني لا أود التحدث اليه.
 ملفوليو : هذا ما ردّدته له مرارا. لكنه مصرّ على البقاء واقفا في الباب، يرغب
 في التحدث اليك مهما كلفه الأمر.
 اوليفيا : أي نوع من الرجال هذا الوغد؟
 ملفوليو : هو اسان ملنا.
 اوليفيا : أي سلوك يجع هذا الرجل؟
 ملفوليو : انه سيء المخلوق، يزعم انه يريد ان يكلّمك شتّى أو أبش.
 اوليفيا : اي نوع من الأشخاص هو؟ وكم عمره؟
 ملفوليو : يعتقد بأنه مقطوم حديثا عن ثديي أمه. لانه يتكلّم بجسّارة، وهو ذو
 وجه نضير.
 اوليفيا : دعه يدخل، واستدع لي وصيفتي.
 ملفوليو : انبها الوصيفة، سيدتك تدعوك.
 اوليفيا : اعطني خماري وضعه على وجهي. سأسمع مرة اخرى الى مبعوث
 لورسينو.

(تدخل فيولا)

فيولا : من منكما سيدة المنزل؟
 اوليفيا : وجهي سؤالك اليّ فأجواب عليه. ماذا تريدين؟
 فيولا : لرجوك انتبها الحساء ان تقولي لي، هل انت سيدة المنزل؟ لاني لم
 أرك من قبل. فأنا اكره ان يذهب كلامي أدراج الرياح. لانه بالاضافة الى
 إحكام حياخته اجهدت نفسي في حفظه، فلا تدعيني عرصة للزدرءاء، اذ ان
 اي تصرف غير لائق يجرح احساسي.
 اوليفيا : من ارسلك، يا سيدتي؟
 فيولا : لا استطيع ان أقوه الا بما نقلته. وهذا السؤال خارج عن مهمتي.
 انتبها سيدة اللطيفة، تولي لي بكل بساطة، هل انت سيدة المنزل ام لا لأستهل
 خطائي؟
 اوليفيا : هل انت مثل؟

فيولا : لا، أؤكد لك ذلك من أعماق قلبي، وأقسم لك أيضا بأنني لست
الشخص الذي أعتقد. هل أنت سيده المنزل؟

اوليفيا : نعم أنا سيده المنزل.

فيولا : سأستهل خطابي السعد لنديدك واكشف لك عن مهيتي.

اوليفيا : أدخل في صلب الموضوع فأنا لست من المصيح.

فيولا : لقد اجهدت نفسي في حفظه وفيه الكثير الكثير من الشعر

اوليفيا : هذا يعني انه خيالي. ارجوك ان تحفظ به نفسك. لقد علمت بأنك

كنت وقحا عندما رقت في باي، وسكنت بتبولك من قبل الفضول لأراك،

لا لاصنع اليك. فلذا كنت مجرد مجنون، انسحب. ولذا كنت عاقلا، اختصر

كلامك. فأنا لست مستعدة للدخول في حوار غير متساك ولا موزون.

ماريا : ان اردت الذهاب من هنا يا سيدي، فهذا هو طريقك.

فيولا : لا، ارجوك (تخاطب اوليفيا) هديني روح هذا الصالح الوائف الى

جانبك يا سيدي.

اوليفيا : قل لي، ماذا تريد؟

فيولا : أنا رسول...

اوليفيا : لا شك في انك جئت لتعلم لي عن امر مرعب، لأنك تبدو في غاية

الخوف والجزع. لوضح لي رسالتك.

فيولا : رسالتي، علي ان أبلغك ايها سرا. فليست طالب اكرام ولا ملحن

حرب. أنا احمل غصن الزيتون بيدي، وكلامي لا يتطوي الا على السلام

والوئام.

اوليفيا : مع ذلك، كانت مقدمتك قاسية. فمن انت، وماذا تريد؟

فيولا : القسوة التي أبدتها هي مجرد دور مسرحي تعلمته. أنا من أنا، وماذا

أريد، فهذا يبقى سرا كالبكارة. هذه الكلمة مقدسة بالنسبة اليك، وهي بذينة

بالنسبة الى نية امرأة سواك.

اوليفيا (تخاطب ماريا) : دعيا وحلنا. أريد سماع هذه الكلمة المقدسة

(تخرج ماريا) والآن ما هو النص الذي تريد ابلاغني اياه؟

فيولا : اينها السيدة الجميلة...

اوليفيا : قلت، ما هو النصف الذي تريد ابلاغني اياه؟

فيولا : النصف في قلب اورسينو.

اوليفيا : في قلبه؟ في اي قسم من قلبه؟

فيولا : في اول قسم منه.

اوليفيا : لقد قرأته، ووجدته محض كثر. هل عندك ما تريد ان تقوله بعد؟

فيولا : ذهيني أناشده وجهك أينها السيدة الحسنة.

اوليفيا : هل أرسلت سيدك لتحدث الى وجهي. ها قد ابتعدت عن نصك.

لكني سأريك وجهي. (تتزع الخمار عن وجهها) انظر، هذا ما انا عليه

حاليا. هل رأيت ما يسرك؟

فيولا : هذا رائع. اذا كان الله وحده هو الذي صنعه.

اوليفيا : نرى بأنه يقوى على الريح والمطر.

فيولا : هذا جمال عجيب التكوين. هذا الاحمرار وهذا البياض صاغتهما يد

الطبيعة بكل القان يا سيدتي. ستكونين القى المخلوقات اذا حملت معك كل

هذه الميزات الى القبر دون ان تتركى صورة عنها في هذا العالم.

اوليفيا : لى اكون قاسية القلب الى هذا الحد. سأترك صورة عن مفاتي في

رؤسيتي. هل أرسلت سيدك الى هنا لشعيب مني؟

فيولا : انا اعلم بما انت عليه. انت كثرة الاعجاب بنفسك. لكنك نظلين

جميلة ولو اصبحت شيطانا. سيدي يحبك، واعلمي ان حيا كهذا يعني ان

يكون ميادلا.

اوليفيا : كيف يعني؟

فيولا : يحبك حتى المائدة، بدموع سنية وتأوهات منهيه

اوليفيا : سيدك على علم بفكري. فأنا لا أستطيع ان احبه. مع ذلك أتصوره

رجلا قاضلا، وأعلم بأنه نبيل وسيل بيت أصل، ويتمتع بشباب غض، وهو

عفيف كريم الاخلاق ومتقشف شجاع، حسن الهندام رشيق للقوام. ورغم ذلك

كله، انا لا أستطيع ان احبه. وكان ينبغي عليه ان يعلم ذلك، منذ وقت طويل.

فيولا : لو كنت احبك كما يحبك سيدي الذي يمضي حياته في الحرمان والتفتش لاجلك، لما رأيت مبررا لرفضك هذا
اوليفيا : ماذا كنت تفعل؟

فيولا : كنت أنصب خيمة أمام بابك، وأنظم أشعارا عاطفية عن حيي المحترق،
اتشدها عاليا في عممة الليل، وأصرخ متلفظا باسمك حتى يطلع صده التلال،
ولا أنقطع عن تكرار هذا حتى تشغني عليّ.

اوليفيا : من اي بيت نحدرو؟

فيولا : انا رجل نبيل، يفوق اصلي ثروتي. ومع ذلك، ثروتي تكفي.
اوليفيا : عد الي سيدك. فأنا لا استطيع ان احبه. وليكف عن ارسالك لي. الا
اذا اردت ان تعود صدقة لتخبرني كيف كان وقع هذا الرد عليه. ودعا
اشكرك. اتمنى هذا على نفسك من قبلي (تعطيه محفظة).

فيولا : لست رمولا مأجورا، يا سيدتي فاحفظي بمحفظتك. ينبغي ان
تقدمي المكافأة لسيدي، لا لشخصي. ألا ليت الحب يحول قلب من تحببه
الى صخر، ويجعل حبك وحب سيدي يلتقيان الازدهار. ودعا ابنتها الجميلة
القاسية. (تخرج).

اوليفيا : من اي بيت نحدرو؟ تقول: « انك رجل نبيل، يفوق اصلك ثروتك،
ومع ذلك، ثروتك تكفيك ». انقسم لي بأئك انت هو. ان لهجتك ووجهك
وشكلك ومشيتك وروحك، جميعها تثبت نسبك. لكن، مهلاء لا تسرعني يا
اوليفيا. هل اتخذ السيد زعي الخادم؟ هل مثل هذه الخلعة تحل المشكلة؟ اني
انحر بمغتن هذا الشاب تلج عيني غنوة. فالارجح انه هو. ها قد أقبل ملفوليو.
(يدخل ملفولو)

ملفوليو : انا رهن شاركتك، يا سيدتي.

اوليفيا : اسرع وراء هذا الرسول الخبيث الذي يمت به الي الدوق. لقد ترك
هنا هذا الخاتم رغما عني. قل له اني لا أقبله، لا أريد ان تفر منطبه احلام
كاذبة. انا لست له. ولذا اراد هذا الشاب ان يمر من هنا غدا مأسرح له لماذا
رفض منطبه. اسرع يا ملفوليو.

ملفوليو : سمعا وطاعة، يا سيدتي. (يخرج).

لؤلؤها : لا أعلم ماذا أفعل. وأخشى أن تكون عيني قد سحرت خيالي كثيرا.
أيها القدر اظهر قوتك. نحن لا نملك زمام أمورنا. فما هو مَقْدَرُنا لا بد من
وقوعه. (تخرج).

الفصل الثاني

المشهد الاول

في ممكن على الشاطئ

(يدخل بطرس وسيميان)

البطرس : ألا تريد الاقامة طويلا، ولا تريد ان أصبحك؟
سيميان : كلا، ارجوك. ان يرجي يرسل اليّ النور شاحبا، ولقدري المليون
قد يؤثر على قدرك. فأستحلفك اذا ان تدعني أقحم مصالبي بمفردي. قد
أسيء مكافأتك على صلاتك لي اذا تركتك ترزح تحت قسم منها.
انطونيو : دعني أعرف فقط الى اين قت داعب.
سيميان : لا، لا، لا، لال طريقتي مليء بالخرابة والتهور. لكنني ألاحظ انك تتجمع
باحساس مرهم. انت لا تريد ان تتزعزعي ما لويد الاحتفاظ به لنفسك، وهذا
ما يدفعني بقوة الى الهوى لك بسري. أعلم لذلّ يا انطونيو، ان ادعي سيميان
رغم اني اتخذت لي اسما آخر هو اسم رديكو. والذي اسمه سيميان دي
سألين، وأعتقد بأنك سمعت به. لقد رزق توأمان انا وشقيقتي التي ولدت
معي في ذات النهار. كنت أتمنى لو شابت النساء ان تنهي معا حياتنا كما
بدأناها سوية. لكنك انت قررت عكس ذلك. وقبل ساعة تقريبا من انتشارك
ايامي من أعماق اللجة غرقت فيها اخني.

انطونيو : يا للأسف. تباً له من يوم مشؤوم.

سيمتيان : رغم انها تشبهني الى حد كبير، فقد كانت مشهورة بجمالها وكانت لها اطلاق ترغم حتى حشدها على الاقرار بروعتها يا للأسف! لقد غرقت في مياه البحر العمراء، وينبغي علي ان اغرق ذكراها في مياه اكثر مرارة ايضاً.

انطونيو : اعذرنني، يا سيني علي ضياعتي غير اللائقة بمقامك.

سيمتيان : اعذرنني انت يا انطونيو علي ما سبته لك من ارعاج.

انطونيو : اذا كنت لا تريد ان تجرح حبي لك جرحاً بليها، دعني اصبح خادماً لك.

سيمتيان : اذا كنت لا تريد ان تخسر الشخص الذي انقذته، كف عن الامحاح. وداعاً للمرة الأخيرة. اني مرهف الحس حتى ان عيوني تخونني لدى قول مناسبة اني من هذا القبيل اشبه والدتي. وأنا ذاهب الى قصر الدوق لورسينو. وداعاً.

انطونيو : لصحبك نعم الباري. (يخرج سيمتيان) اعدالي كيرون في قصر لورسينو. ولولا ذلك للحققت بك الى هناك بسرعة. لكنني احبك الى حد اني أماً بجميع المحاطر. انا ذاهب. (يخرج).

المشهد الثاني في أحد الشوارع

(تدخل بيولا بينما مقولير)

مقولير : ألم تكن منذ برهة مع الكونتيس لوليبيا؟
فيولا : أجل، منذ لحظة يا سيدي. ولم يمض على مغادرتي إياها سوى الوقت الذي استغرقه وصولي إلى هذا المكان بخطى متعجلة.
مقولير : هي تعيد إليك هذا الخاتم. كان بإمكانك أن توفر عليّ هناك حمله اليك. وتريد منك أن تؤكد لسيدك أنها لا تحبه وأن لا تعود مجدداً إلى مقابلتها في هذا الموضوع، إلا إذا أردت أن تظلمها على حالة سيدك إثر تلقيه رفضها. والآن، خذ هذا.

فيولا : لقد قلت هذا الخاتم مني لعلك لا تريد استعادته.
مقولير : انت أغليت به إليها بكل وقاحة، لأن إرادتها هي أن يعاد إليك. وها هو ملقى على الأرض أمام عينيك فتناوله، وإلا أصبح ملكاً لعابري السيل.
(يخرج بعد أن يرسي الخاتم عند قدمي بيولا)

فيولا (تلتقط الخاتم) : لم أترك لها خاتماً. ماذا تريد هذه السيدة؟ هل أعجبها شكلي؟ القدر لا يريد ذلك. فقد تأملتني ملياً حتى أنها بدت شاردة الذهن وهي تتحدث إليّ. هي تحبني بدون شك، وتدعوني مجدداً إلى زيارتها بواسطة هذا الرسول الخشن. هي لا تريد خاتم سيدي. لكنه لم يرسل إليها خاتماً قط. أنا صاحب الخاتم. ولذا كان الأمر كذلك، لأنها المرأة المسكينه، فمن الأفضل لك أن تمسحي رؤيا من أن تهويني. إياها التخفي، انت انتهاك يستفله عنو الجنس البشري ببراعة. كم هو سهّل على المخادعين المهرة أن يؤثروا في قلوب النساء الضعيفات. مرد ذلك هو ضعفنا وليس شخصتنا، وسلوكنا هو صورة طبق الأصل عن نوبة تكويننا. كيف يمكن تسوية هذه المسألة؟ سيدي يحبها كثيراً، بينما أنا مقرمة به، وهي رغم لإدراكها مقومة بي.

الى اين سيحمل بنا كل هذا؟ انا كرجل لا يعني ان اعطي بحب سيدي، ولا كأمرة كما انا الآن في الواقع. يا للأسف! كثيرة هي التهنيدات غير المجدية التي فترعتها من فم المسكينه اوليفيا. ايها الزمن، ان حل هذه المسألة بسيط بك وحده اذ تعتمد على انا حلها. (تخرج).

المشهد الثالث في منزل اوليفيا

(يدخل سير طوبي وسير اندريه)

سير طوبي : اقرب يا سير اندريه. بقاء للمرء خارج سريره بعد منتصف الليل يعني انه استيقظ باكراً. انت تعرف ذلك.

سير اندريه : لا، لا اعلم ذلك. ما اعلمه هو ان المرء اذا استيقظ متأخراً فهذا يعني انه استيقظ متأخراً.

سير طوبي : انا اكره الاستنجاح الخاطيء كما اكره كأساً فارغة. يقال ان كياناً مزيج من اربعة عناصر.

سير اندريه : أعقد بأنه مزيج من الاكل والشرب.

سير طوبي : انت عالم. لنأكل أدأ وشرب. يا ماريا، اعطنا ابريق الخمر.

سير اندريه . انظر، ما هو المجنون قادم الينا.

فاست : حساً، ايها الاحياء. ألم تسمعا بالثلاثية الموسيقية التي ألقتها؟

سير طوبي : اولاً، اهلا بك، ايها الحمار. والآن أسمنا مقطوعك الموسيقية.

سير اندريه : اسمح بأن للمجنون حجرة رائعة. انا اعطي لربيعين شلاً مقابل الحصول على ساقٍ وعلى صوت احد المجانين. كنت رائعاً في هزلك مساء البارحة.

سير اندريه : والآن أسمعنا اغنيتك.
فاست : هل تريدان اغنية غرامية ام اغنية اخلاقية؟
سير طويي : اغنية حب، اغنية عشق.
سير اندريه : أجل، أجل، لأنني لا أهتم البتة بالاخلاق.
فاست يغني :

حييتي الى اين تمضين بسرعة؟
ألا قني واسمي، لقد وصل حبيبك المختصر
الذي يحسن القضاء بصوت عالٍ وصوت منخفض.
لا تنهني بعيدا ابتها الحساء.
ان كل تفتل يتوقف عندما يلتقي حيان
واين الحكيم يعلم ذلك.

سير اندريه : رائع.
سير طويي : حسن، حسن.
فاست :

ما الحبيب؟ انه لا يمكن في الآتي.
الفرح القاتم، له بهجة الحاضر.
اما هو مي المستقبل فانه غير مؤكد
لا يريح الانسان شيئا يتعلقه بالمهل
تعالى اذا ابتها الجميلة وقيليني
لان الشباب مسح لا يمكن ان يدوم.

سير اندريه : يا له من صوت شجي
سير طويي : يا له من نفس عاطف.
سير اندريه : يا له من صوت شجي وعاطف
سير طويي : وماذا بعد؟
سير اندريه : لنشد النحي الذي يقول مطلقه: إنخرس ايها النذل. انا مرغم على
تسميتك نذلا ايها الفارس.
سير طويي : ليست المرة الاولى التي احمل فيها احدا على متاداتي بهذا

الاسم. إبدأ أيها المجنون. قال لمن يبدأ هكذا. إعرس.

فاست : إذا كنت سأصمت، فلن أبدأ بتاتا.

سير اندويه : هيا إبدأ. (يشد الثلاثة مقطوعة موسيقية ثلاثية الاصوات).

(تدخل ماريا)

مفلوليو : هل هنا مفلول؟

ماريا : لماذا تفعلون هذا؟ إذا لم ترسل سيدني وكيلها لمفلوليو ليطرحكم

خارجا، فلا تتقوا بي بعد الآن.

سير طويي : السيدة من اصل صيني، ونحن رجال دولة، ومفلوليو رجل ساكر،

ونحن ثلاثة رفاق سعداء. ألسُ من اقاربها. (يعني).

كان رجل في بابل، ابنتها السيدة، ابنتها السيدة.

فاست : وفي غاية السعادة.

سير اندويه : أجل.

سير طويي (يعني) : في الشهر الثاني عشر من شهر كانون الاول.

ماريا : أستطعكم بلطف ان تمسكوا.

(يدخل مفلوليو)

مفلوليو : هل انتم مجانين، ايها السادة؟ وإلا، من انتم اذا؟ هل قدتم كل

تفكير وكل من سلم وكل ادب حتى نزعقوا مثل بالعي الاواني النحاسية في

مثل هذه الساعة من الليل؟ هل تعبون منزل السيدة حانة حتى تنشلوا اغانيكم

ها بصوت عالٍ؟ هل قدتم رصانتكم، فيتم لا تحترموا النار ولا من فيها؟

سير طويي : لقد حافظنا على الانقياد في انشادنا.

مفلوليو : يا سير طويي، علي ان اكون صريحا معك. لقد كلفتمني السيدة بأن

اقول لك انها مستعدة لاستقبالك. لكنها نكره ما انت عليه من الفوضى. فاذا

كنت مستعدا لان تقلع عن سلوكك السيء فأهلا بك، وإلا فانها على استعداد

لان تقول لك وداعا بعد ان تستأذن منها اذا شئت.

سير طويي (يعني) : وداعا يا عزيزتي، اذ يعني لي ان أرحل.

ماريا : هيا يا سير طويي.

فاست (يعني) : ان عينه تشبان بأن حياته اوشكت على الانتهاء.

ملفوليو : هل هذا مشقوف؟

سير طويي (يفتي) : ولكنني لن اموت ابدا.

فاست : انت تكذب.

ملفوليو : هذا شرف كبير لك.

سير طويي (يفتي) : هل اقول له ان يرحل؟

فاست (يفتي) : ومتى ستفعل ذلك؟

سير طويي (يفتي) : هل اقول له ان يرحل دون ان اشكره؟

فاست (يفتي) : لا، لا، لا. لن تجرؤ على ذلك.

سير طويي : تقول اننا نزعج؟ انت كاذب انت لست سوى وكيل. هل تعتقد

بأنك اذا كنت ماضيا، لم يبق من أكل ولا شرب.

فاست : ويعتقد بأن مئة الزنجيل سحرق أقواتها.

سير طويي (يخاطب فاست) : انت على صواب (يخاطب ملفوليو) اذهب

واحصل قلايدك بلب الحبر. يا ماريبا، اعطيني مزيدا من الحمر.

ملفوليو : يا سيدتي ماريبا، اذا كنت تقدرين فضل الميدة عليك، امتنعي عن

القيام بمثل هذا العمل غير اللائق. اقسم لك بأنها ستعلم بكل هذا (يخرج).

ماريبا : اذهب من هنا، ودع أديك تهزان. عزيزي سير طويي، عليك ان تصبر

هذه الليلة فقط. سيدتي تبدو مضطربة منذ ان زلرها خادم الدوق الشاب. اما

بالنسبة الى ملفوليو، فدعني أتدبر امره بنفسي. اذا لم اجعل منه أضحوكة للناس

اجمعين، فحق بأبي لا املك من الذكاء ما يمكنني من ان أتمدد على مريري.

سير طويي : هيا حدثينا عنه.

ماريبا : يبدو على هذا الرجل من وقت الى آخر، انه من المتمتمتين في أمور

الدس.

سير اندريه : اذا ثبت لي ان الامر كذلك، فأنا سأصربه كما تضرب الكلاب.

سير طويي : لكن ما هو السبب الذي يبرر موقفك هذا؟

سير اندريه : لدي أسباب كافية.

ماريبا : هو شيطان، احبني يلقي بجحمة على الناس. هو يحب ذاته ويعتقد بأنه

لا يمكن ان يراه احد دون ان يحبه، لما هو عليه من الكمال. فلهذه الاسباب مجتمة سأنضم مه.

سير طويي : ماذا ستفعلين؟

ماريا : سألقي في طريقه رسالة غرام، ارسم فيها ملامح وجهه وعينه وجيئه بحيث يعتقد بأن الرسالة موجهة اليه. فحطلي يشبه كثيرا خط السيدة ابنة اخيك.

سير طويي : هذا رائع. سيظن ان الرسالة موجهة اليه من قبل ابنة اخي المغرمة به.

ماريا : هذا ما اصبو اليه.

سير اندريه : وهكذا يصبح حمارا.

ماريا : وهو كذلك.

سير اندريه : سيكون هذا عملا رائعا.

ماريا : سيبب لنا مرحا لا يوصف. وستكونان في المكان الذي سيجد فيه الرسالة لتدونا تعبهانه عليها. الآن اذهبا الى النوم وفكرا بما سيحصل فدا. وداعا.

سير طويي : اسمعت مساء (تخرج ماريا).

سير اندريه : أقسم بأنها فتاة ممتازة.

سير طويي : ارلها تحبني. فما رأيك بذلك؟

سير اندريه : لقد كنت محبوبا طوال ايامك الماضية.

سير طويي : هيا نذهب الى النوم. من الافضل ان نحضر مزيدا من المال.

سير اندريه : اذا لم أحظ بابنة اخيك، سيخيم عليّ ضيق عظيم.

سير طويي : قلت لك، احضر مزيدا من المال، واذا لم تحظ في النهاية بابنة

اخي اعترني من الاشرار.

سير اندريه : اذا رفضتها، لا تعتمد عليّ بعد الآن. لكن عاملني كما نشاء.

سير طويي : تعال لتناول بعض الخمر. فقد تأخرنا في الذهاب الى النوم. تعال

أيها القارس، تعال. (يخرججان).

المشهد الرابع

في قعر الدوق

(يدخل الدوق وفيلو وكوريو وآمرود)

الدوق : أسمعوني بعض الموسيقى. صباح الخير ايها الاصدقاء. أسمعني يا سيزاريو ذلك النشيد الذي غنيته اليلة البارحة، فقد أتلج صدري أكثر من هذه الألحان الخفيفة. ها اسعدنا مقطعا واحدا فقط.

كوريو : يا سيدي، من يستطيع انشاده ليس هنا.

الدوق : من الذي انشده اذا؟

كوريو : فانت المهرج. وهو مجنون كان يحبه والد السيدة لوليفيا كثيرا. ولا بد من ان يوجد الآن في احد أرجاء القصر.

الدوق : اذهب وابحث عنه. وابتظار عودته، أسمعوني بعض الموسيقى.

(يخرج كوريو. تغزف الموسيقى. يخاطب فيولا) اقترب ايها الخادم. اذا

احببت ذات يوم، فاذكرنني لان جميع المحبين مثلي مثقلين في كل شيء،

باستثناء تفكيرهم المستمر بمن يحبون. ما رأيك بهذا اللحن؟

فيولا : له صدى في الأعماق حيث يتصب عرش الحب.

الدوق : انت تتكلم بطلاقة عن الحب. أقسم بحياتي، بأن نظرك مفتون

باحدى الحسنات، أليس كذلك؟

فيولا : هذا ما حصل، يا سيدي.

الدوق : أي نوع من النساء هي التي تحبها؟

فيولا : لا شك في انها تعجبك.

الدوق : كم عمرها؟

فيولا : هي في مثل سنك، يا سيدي.

الدوق : ادا، لا بد من ان تكون متقدمة في العمر. عندما تختار المرأة زوجا

أكبر سنا سنا. فهي الغالب تحظى بزواج وحين. لان احوالنا نحن معشر

الرجال تبقى أكثر تقبلاً وأكثر ضلعاً من أهواء النساء.

فيولا : أنظر ذلك، يا سيدي.

الدوق : لذلك عليك أن تختار حبيبة أصغر منك سناً، لأن النساء كالورود

التي لا تكاد تثبت حتى تذبل.

فيولا : هذا هو الواقع المؤسف. لماذا يحكم عليهم بالموت عندما يبلغن أوج

الكمال؟

(يدخل كورير ومعه فاست)

الدوق (يخاطب فاست) : هيا، يا صديقي، أسمعنا الأغنية التي اشتدتها

سيدة البارحة. يا ميزاريو، ألا تلاحظ مثلي أن هذه الأغنية قديمة وبسيطة،

وغالباً ما تنرم بها الفتيات اللواتي يعملن في مصنع القزل والحياكة. هي أغنية

بسيطة وصادقة تنسجم مع براءة الحب، تماماً كما كان يحدث في عابر

الزمان.

فاست : هل أنت مستعد، يا سيدي.

الدوق : أجل، أرجوك أن تغني.

فاست (يغني) :

تعال، تعال، أيها الموت،

سأرقد تحت سرور حزنك.

اصعدي، اصعدي أينها الأنفاس

لقد أجهزت عليّ فتاة قاسية.

أعدوا لي كلتي الأبيض للغي

ونعشي المزئ بالخشب العاطر.

على مسرح الموت لا يحمي أحد تمثيل دوره

أسيتي أن لا تثر أبة رهرة شذية فوق نعشي الأسود

وأن لا يحمي أي صديق جسدي البارد

وإذا شتم أن تجنوني المزيد من البكاء

اجعلوا قبري في ناحية معتبر

على محب حزين ان يهتدي اليه ليكني.
 الدوق: (يلتحق بمحفلة من القفود الى فاست): اخذ هذه النقود لقاء أتعابك.
 فاست: انا لا اشعر بالحب عندما اغني، بل بسعدي الفناء.
 الدوق: حسنا.. انا أكافئك على سرورك بالفناء.
 فاست: طبعاً، يا سيدي، طامعة يدفع ثمنها عاجلاً أو آجلاً.
 الدوق: لذا ادعك وشأنك.

فاست: وأنا اطلب من إله الحزن ان يحميك من الكدر. أتمنى لو ان الناس
 يحرون في كل اتجاه بدون هدف معين. فهذه هي الوسيلة الفضلى للسفر
 بدون أية غاية. وداعاً (يخرج).

الدوق: انكفئوا انتم (يخرج كوريو والباقيون) يا سيراينو، عد مرة اخرى
 الى هذه القنينة وقل لها ان حبي هو أنبل ما في الكون بأسره، ولا يعبأ بما
 تدخره من ثروة. وان ما يجذب نفسي اليها، هو هذه الجوهرة العريضة التي
 زينتها بها الطبيعة.

فيولا: لكن، يا سيدي، اذا كانت لا تستطيع ان تحبك؟
 الدوق: لا يمكنني ان أقبل بمثل هذا الجواب.

فيولا: لنفترض ان سيدة تعاني في حبك الآلام التي تسببها لك اوليفيا، وأنت
 لا تستطيع ان تحبها، فيحب ان لا تقبل هي بجوابك هذا.

الدوق: لا يقوى صدر المرأة ان يتحمل رحم الحب العارم الذي يخطغ به
 قلبي. لا يستطيع قلب امرأة ان يمسح عواطف كلتي تغمر نفسي. لان حب
 المرأة اشبه ما يكون بالشهية القابلة للارتواء والاشمئزاز. اما حبي فانه كالبحر
 يطلع كل شيء. فلا تحاول المقارنة بين الحب الذي يمكن ان تكنه لي اية
 امرأة، وحبي لأوليفيا.

فيولا: أجل، لكنني اعرف...

الدوق: ماذا تعرف؟

فيولا: اعرف كم هو عظيم هذا الحب الذي يمكن ان تكنه النساء للرجال.
 ان قلوبهن تحب بسخاء مثلاً. كان لوالدي انة مغرمة بأحد الرجال تماماً كما
 كان يمكن ان اغرم بك انا لو كنت امرأته.

الدوق : وما هي قصتها؟
 فيولا : لم تبح بحبيها مطلقا، انما احتضنت يسه كما يحفظ اليرغم بشذى
 الوردة. ففضى على مضارة وجتها وعلى تفكيرها، حتى اصبحت تبسم للألم.
 ألم يكن كل هذا نتيجة الحب؟ ونحن معشر الرجال نستطيع ان نتكلم أكثر
 ونقسم أكثر. لكن براهيا تنطلي في الواقع مشاعرنا. فنحن في النتيجة نكثر
 من الاحتجاج ونقتل من الحب.
 الدوق : لكن هل مانت انتك من جراء حبه، يا ولدي؟
 فيولا : انا الآن وحيد، لا اخ لي ولا اخت. ومع ذلك، لا اعرف... هل اذهب
 الى تلك السيدة ام لا؟
 الدوق : أجل، يجب ان تسرع اليها. اعطها هذه الجوهرة وقل لها ان حبي لا
 يتحمل الرفض (يخرجان).

المشهد الخامس

في ممر ضمن حديقة أوليفيا

(يدخل سير طوي وسير اندريه وفيان)

سير طوي : تامل، تامل، يا سيدي فيان.
 فيان : ها قد وصلت. لن اتى ما حيث تفاصيل هذه المهزلة.
 سير طوي : ألم تسرّك رؤية هذا الدل بعد اذلال كبريائه؟
 فيان : سرّي ذلك كثيرا، مع انه اتقذني الحظوة لدى السيدة، بمناسبة وقوع
 معركة الخنازير هنا.

سير طوبى : سُمحضر الى هنا احد المختارين لكي تغطظه وتسخر منه. ليس
كذلك يا سير اندريه؟
سير اندريه : ينبغي ان تفعل ذلك.

(تدل ماريا)

سير طوبى : ها قد جاء الحزيت الصغير.
ماريا : انصبوا انتم الثلاثة. سينزل ملفوليو الى هذا الممر. فقد مضى عليه
نصف ساعة وهو واقف في الشمس يتأمل ظله. لرجوكم ان تنظروا اليه. انا
واقفة بأن هذه الرسالة ستجمل منه رجل تأمل أمله. أستحلفكم ان تنتحوا قليلا.
(يحنىء الرجال الثلاثة. ترمي ماريا بالرسالة الى الأرض). انت، ابقى هناك.
فقد وصلت السمكة التي منسقاطها ونحن نداعبها (تخرج ماريا).

(يدخل ملفوليو)

ملفوليو : الحظ هو كل شيء. لعمري، هي تشمر بسول طبيعي التي. وقد
أخبرتني ماريا بذلك عندما سمعتها شخصا تظن انها اذا احبت دلت يوم،
ستحب رجلا من أمثالي، وهي لا تعامل بقية عظام المنزل كما تعاملني.
سير طوبى (على حدة) : ها قد وقع في الفخ الذي نصبته له.
فيان (على حدة) : التأمل جميل منه ديكاً حبشياً. انظر كيف يبيخر ويتجلى
برشه.

سير اندريه (على حدة) : يا الهي!
سير طوبى (على حدة) : هدنوا وروعكم.
ملفوليو : سأصبح كورت ملفوليو. اذ سبق وتزوجت السيدة مترانشي احد
الحجّاب المؤمنين على ثيابها وكان في وضع مماثل.
فيان : لراه غارقاً في تخيلاتهم.
ملفوليو : لقد تزوجته منذ ثلاثة اشهر.

سير طوبى (على حدة) : اعطوني فوساً سريعاً وقاسياً لأفقا عينيه.
ملفوليو : سأستدعي قوّادي ليقتفوا حولي بعد ان أعقدار سريري حيث تكون
لؤلؤها نائمة.

سير طوبى (على حدة) : ليتك تصبح وقوداً للكار.

فيان (على حدة) : هدتوا روعكم، هدتوا روعكم.
ملفوليو : عندئذ سأقف امامهم منطرسا وألقي عليهم نظرة تجعلهم يدركون
مقاسي من جهة، ومقاسهم هم ايضا بالنسبة التي من جهة ثانية. ثم أستدعي
نسيي سير طويي.

سير طويي (على حدة) . ألا ليتك تُكَلِّمَ بالقيود!
فيان (على حدة) . هدتوا روعكم، واتيهوا.
ملفوليو : لينذهب سبعة من رجالي ويبحثوا عنه. وابتظار ذلك أنطب جيبتي
وأهبو باحدى المجوهرات. فيصل سير طويي ويدنو مني ويحييني...

سير طويي (على حدة) : هل سيقى هذا المحتال حيا؟
فيان (على حدة) : قلت لكم وأكرر القول: هدتوا روعكم.
ملفوليو : سأمد اليه يدي هكنا، وانظر اليه نظرة من له سلطان...
سير طويي (على حدة) : عندئذ سأعطيك لعلمة عتيقة، أليس كذلك.
ملفوليو : عندئذ سأقوله له: الحظ الذي وهبني ابنة اخوك وهبني ايضا ميزة
الحدث.

سير طويي (على حدة) : لستمع، لستمع.
ملفوليو : يجب ان تطلع عن السكر.
سير طويي : قتلك مرض الطاعون.
فيان (على حدة) . مهلا، وإلا اكتشف امرنا.
ملفوليو : يعني ايضا ان تكف عن هدر وقتك الثمين بصحبة هذا الفارس
الأبله.

سير اندريه (على حدة) : يقصدي لنا بكلامه هذا، لان العديد من الناس
يدعوني غيبا.

ملفوليو : ماذا يجري هناك؟ (يلتقط الرسالة)
فيان (على حدة) : أوشك ان يقع في الفتح.
سير طويي (على حدة) : هدتوا روعكم. ليته يقرأ بصوت عالٍ!
ملفوليو : أنسم بحياتي بأن هذا الخط يخص السيدة.
سير اندريه (على حدة) : كيف عرفت ذلك؟

ملقوليو (يقرأ الحوان) : الى الحبيب المجهول أبعت برسايتي هذه مع لطيب
تتباتي. هذه هي تمايزها، وهذا هو ختمها. الى من يمكن ان توجه هذه
الرسالة؟ (ينضّر الرسالة).

فيان (على حدة) . لقد اخذت بمجامع قلبه.

ملقوليو (يقرأ) : الله يعلم من احب

ولكن من؟

شفتاي لا تتحركان.

لا أريد ان يعلم به احد.

لا اريد ان يعلم به احد. آه! لو كنت انت المقصود بذلك، يا ملقوليو

سير طويي : اذهب واشتق نفسك، ايها الوغد.

ملقوليو (يقرأ) : استطيع ان آمر حيث احب

لكن لا صمت كسكين لو كرّس

يخترق قلبي دون ان يسيل منه دم

م. ل. أ. و. يسيطر على تفكيري.

فيان (على حدة) : هذا لغز عربي.

سير طويي (على حدة) : يا لها من فتاة رائعة!

ملقوليو : ما معنى م. ل. أ. و.؟

فيان : أي نوع من البسم أعدت له؟

ملقوليو : استطيع ان آمر حيث احب. تستطيع ان تأمرني، فأخضعها. هي

سيتني. الامر في غاية الوضوح، ولا مجال للتردد. لكن ما معنى هذه الاحرف

في نهاية المقطع؟ آه! لو كنت استطيع ان اجعلها تنطبق عليّ. الحرف الاول

يتلوى به اسمي. اما باقي الحروف مجتمعة فلا يمكن ان تؤلف اسمي. لكن

جميع هذه الحروف موجودة في اسمي. لذلك ينبغي ان ارى فيها تلميحا اليّ.

مهلا. لنقرأ الشتر المتقي. (يقرأ).

ا اذا وقعت هذه الرسالة بين يديك، ففكر جيدا. انا بحسب برجي اعلى منك

مرتبة انما لا تخف من الامجاد. هناك من يولدون عظماء، وهناك ايضا من

يكسبون العظمة اكتسابا، وهناك اخيرا من تفرض عليهم العظمة فرضا. القدر

يهدد اليك يده قتلها بجرأة. ولكي تستعد لما انت قادر على بلوغه، عليك ان تنزع عنك الانسان الحقيق وتبدو انسانا جديدا، كن متجهما الوجه مع اقاربك، وفظا مع غداك. اتخذ لك شكلا فريدا. تذكر جيدا من كان يمتدح جواربك الصغراء. تذكر ذلك جيدا. انت الآن شخصية مرموقة، اذا اردت ذلك. وإلا فانك ستظل الى الابد وكيفا بسيطا، تصعب الخدم، ولا يحق لك ان تلمس الحظ والسعادة ولو بطرف اصبعك. وداعا. واسلم لمن تريد ان تخدمك بدلا من ان تخدمها انت ٥.

«الثروة المعقدة»

الامر في غاية الوضوح. سأقرأ كتب المؤلفين السياسيين، وسأعمل على ان اكون رجلا انيقا. لن أخدع بعد الآن لان كل الدلائل تشير الى ان السيدة تحبني. لقد امتنحت مؤخرا جواربي الصغراء، وبذلك اظهرت لي حبها. بقي عليّ ان يبادلها هذا الحب. أشكر برجي، فأنا سعيد. لكن هذا ملحق الرسالة. (يقرأ) « لا يغفل ان تجهني بعد كل ما قلته لك. اذا كنت تبادلني الحب حقا لرجوك ان تبسم امامي دائما ». طبعاً سأبسم وسأفعل كل ما تريدون (يخرج)

فيان : لم اكن لأفوت عليّ مثل هذه المهزلة مهما كان الامر.
سير طوبي : سأزوج هذه الفتاة، فقط لأنها استطاعت ان تأكي بخدعة جديدة كهذه.

سير اندريه : وأنا ايضا.

سير طوبي : لن اطلب منها مهرا آخر سوى القيام بمهزلة اخرى مثالة.

سير اندريه : وأنا ايضا.

(تدخل ماري)

فيان : لقد وصلت المخادعة البارعة.

سير طوبي (يخاطب ماري) : هل تريدان ان نضعي رجلك على رقبتي؟

سير اندريه : لو على رقبتي انا؟

سير طوبي : هل ينبغي عليّ ان أجازف بحريتي وأصبح عبيدك؟

سير اندريه : وأنا ايضا.

سير طويي : لقد أغرقته في حلم عظيم، وإذا قلَّرت له ان يصحو منه سيصبح مجنوناً.

ماريا : لكن أنصبري، هل تأثر بما قرأ؟

سير طويي : وسألتك أسكرته.

ماريا : حسناً. إذا اردتم ان تروا عاتمة المهزلة، عليكم ان تلاحظوا ظهوره الأول امام السيدة. سيمثل امامها بجوارب صفراء وهو لون تكرهه. وسيستسم لها، وهذا ما ان تستطيع تحمله، وهي في حرة من الحزن، الامر الذي سيدفعها الى رفضه بقسوة. اذا اردتم ان تروا ذلك، انصبري.

سير طويي : سننتظرك حتى النهاية، اجها الفتاة الباردة.

سير اندريه : وأنا ايضا. (يخرج الجميع).

الفصل الثالث

المشهد الأول

في حديقة أوليفيا

(تدخل فيولا، بينما غلت حبلها خلف)

فيولا : حفظك الله، ايها الصديق، انت وموسيقاك، هل تكسب معيشتك من الغناء؟

فانت : لا، يا سيدي. انا اسيا بالقرب من الكعبة. لكنني لا أتقاضى اجرا. فيولا : اذا انت لست يرجل دين.

فانت : لا، ان مرة عصرنا هي التلاعب بمعاني الكلمات. ولقد تعودت معاني الكلمة الواحدة التي أسوء استعمالها.

فيولا : هل اصبح بإمكان المتلاعبين بمعاني الكلمات ان يسفوا استعمالها في كل مناسبة؟

فانت : كنت أتعنى لو لم يكن لأختي اسم.

فيولا : لماذا، ايها الصديق؟

فانت : لان اسمها كلمة، ولأن التلاعب بهذه الكلمة يفسد اعني. اذا ان الكلمات فقدت قيمتها عند ان افسدتها الموجبات.

فيولا : وما هو برهانك على ذلك، يا صديقي.

فاست : لا استطيع ان أقدم لك برحانا بدون كلام. والكلام اصبح مفلوطا، حتى اني بئ اكره استعماله لأفكر.

فيولا : انت رفيق سعيد، ولا تهتم بأي شيء.

فاست : كلا، يا سيدي، هناك اشياء أهم بها. لكني في قرارة نفسي لا أهم بك.

فيولا : أنت مهرج السيدة لوليفيا؟

فاست : كلا، يا سيدي. السيدة لوليفيا لا تهتم بالمهرجين. ولكن يكون لها مهرج الا عندما تتزوج. في الحقيقة كنت مهرجا. انما انا من يفسد عليها كلامها.

فيولا : شاهدتك مؤخرًا لدى دوق لورسبر.

فاست : أعتقد بأنني رأيتك بلوري عنده.

فيولا : عذ هذه مكافأتك (تعطيه قطعة من النقود).

فاست : جزاك عني جوييتار خيرا.

فيولا : التسم لك بأنني ارفع كثيرا في الحصول على هذا الخير، رغم اني أقسم ان يكون لعري. هل سيدتك في المنزل؟

فاست (ينظر الى قطعة النقود) : ألا أقسم، يا سيدي، لزوجين من هذا النوع ان يحكاثرا؟

فيولا : أجل، بشرط ان يقتصدا الواحد بالآخر، ويتم الاحتصاب بينهما.

فاست : سيدتي الآن موجودة عند الشحاذا كريسيدا. سأشرح لها من قتل من انت قادم. أما من أنت، وماذا تريد، فهذه أمور لا علاقة لي بها (يخرج).

فيولا (على حدة) : هذا المحال على درجة عالية من الذكاء ليقوم بدور المهرج. ينبغي عليه ان يتأمل مزاج الاشخاص الذين يمازحهم، ونوعية هؤلاء الناس. هذه مهنة شاقة تماما كوضع الرجل الحكيم، لان الجنون الذي يديه انما يندمج عنه ببراعة فائقة، بينما الحكماء عندما يصبحون مجانين يفلدون عقولهم كلها.

(يدخل سير طربي وسير شمريه)

سير طربي (يخاطب فيولا) : مرحبا، أيها التيجل.

فيولا : أهلا بك، يا سيدي.

سير اندريه (يخاطب فيولا) : حفظك الله يا سيدي.

فيولا : وأنت أيضا.

سير طويي : هل تريد الدخول الى السرل ؟ ان ابنة أخي ترغب في مقابلتك،
إذا كنت تريد معها شيئا.

فيولا : ان ابنة أخيكم هي غاية محبتي، يا سيدي.

سير طويي : هيا، ادخل.

فيولا : سادخل.

(تعمل لوليفيا وماريا)

(يخاطب اوليفيا) : أيتها السيدة الرائعة، تسطر السماء عليك رياحينها

وورودها.

سير اندريه : هذا الفتى مزلف محبك.

فيولا : رسالتي موجهة اليك فقط، أيتها السيدة.

اوليفيا : قفوا باب الحديقة، ودهوني أستقبل هذا الفتى. (يخرج سير طويي،

وسير اندريه وماريا) هات، بذلك أيتها السيد.

فيولا : أحديك تحياتي، أيتها السيدة.

اوليفيا : ما اسمك ؟

فيولا : أنا خادمك سيزلويو، أيتها الأميرة.

اوليفيا : خادمي ؟ أنت خادم الدوق أورسيو، أيتها الفتى.

فيولا : لكنه خادمك، وخادمه ينبغي أن يكون خادمك. وخادم خادمك هو
خادمك أيضا يا سيدي.

اوليفيا : أنا لا أفكر فيه، وأتضمن أن لا يفكر هو في.

فيولا : أنت اليك، يا سيدي لأرجو تفكيرك نحوه.

اوليفيا : أرجو أن تعذرنني. قلت لك ان لا تحدثني عن قضية ثانية. فانا

أفضل الاستماع اليك على استماع موسيقى الكواكب.

فيولا : أيتها السيدة الحبيبة...

اوليفيا : أرجو أن تعفيني. لقد أرسلت اليك اثر ريارتك الأخيرة لي، خاتما

مع أحد خدمي، فخذته. وبذلك عرضت نفسي لانتفاذك الملائع، إذ أرغبتك على أخذ ما ليس لك، أعني الخاتم. ألم تسمي الظن بي وتعلمن بشرتي ؟ أن ما يستر قلبي ليس صدرا من لحم بل برقا للحداد. لذا أستمع إليك فيؤلا : أنا أرثي لحالك.

اوليفيا : هذه خطوة نحو الحب.

فيولا : لا ليس الأمر كذلك. فالمرء يخفق أحيانا على أعدائه.

اوليفيا : اعتقد بأن الوقت قد حان لأستعيد بسفي. ما أغربك أيتها الانسانية ! فالكبرياء داء خطير لا يصيب الأقوياء بل الضعفاء. اذا فرض على المرء أن يكون ضحية، فمن الأفضل أن يكون مريسة الأسد لا اللئب. (تبنى الساعة) الساعة تبني الى الوقت الذي أضيعه. لا تخف أيتها الفتى. أنا لا أضمر لك الشر. عندما ستزوج، ستتهج بك امرأتك. بإمكانك الآن أن تذهب.

فيولا : أتمنى لك السعادة، أيتها الأميرة. هل تريد أن أحمل أي شيء من قلبك الى سيدي ؟

لوليفيا : قف. أرجوك أن تقول لي حقيقة رأيك في.

فيولا : أعتقد بأنك غلاف ما أنت عليه ؟

لوليفيا : اذا اعتقدت بذلك، فانتما بسبب ما يحصل.

فيولا : اذا كان الأمر كذلك، فاني أعتقد أيضا بأنك غلاف ما أنت عليه.

فيولا : أنت مصيبة في اعتقادك.

لوليفيا : لئنك الشخص الذي أتمنى أن يكون محلك.

فيولا : هل أكون أنا الرايح صعد في مثل هذه الحالة ؟ اذا كان الأمر كذلك، فأنا موافق. لأنك منذ الآن بدأت تسخر مني.

اوليفيا : كم هو رائع هذا الاحتمار الذي يبدو على شفتي الغاضبتين. ان ندم القاتل سرعان ما يفضح صاحبه الذي يحاول اخفاءه. وهذا ما يحصل أيضا بالنسبة الى الحب الذي يحاول صاحبه أن لا يوح به. لأن ليل الحب أشبه ما يكون بالظلمة. يا سيرايزو، أقسم لك بهورود الربيع والعداوى والحق وبكل ما في الوجود بأنني أحبك كثيرا، وبأنني رغم كبرهالك، لم استطع عقلي أن يخفي عك حبي. لا تتخذ من يوحى المبكر هذا حجة لفصدي.

فيلان : أظهرت مودتها له التفصيص فقط، ولتشغل في قلبك الغيرة التي تحملك على السخريه منه. هذا ما كانت تنتظره منك فعلا. لكنك عييت ظنها. فلن تستفيد تقديرها لك، الا اذا قتت ببطولة مجيدة أو بعمل سياسي رفيع المستوى.

سير افنديه : أنا أكره السياسة، لذلك سأقوم بعمل مجيد.
سير طوبوي : اذا عليك أن تتحدى خادم الدوق وتدعوه الى المبارزة، ولا تدعه الا بعد أن يصاب بعدة جراح. ستعلم أبة أخي بالأمر، فتحبك بكل جوارحها. اذ ليس كالشجاعة ما يرفع قدر الرجل في نظر المرأة.
فيلان : هذه وسيلة الوحيدة لتحقيق مآربه.

سير اندريه : سينقل أحدكما اليه التحدي بالمبارزة.
سير طوبوي : في كتابك اليه، كن جافا ومقتضا.
فيلان : سيخط اليه رسالة فريدة من نوعها.
سير طوبوي : سأستخدم جميع الوسائل لحمل الفتى على الاجابة.

(لندل ماريا)

سير طوبوي : وصلت الملكة الصغيرة.
ماريا : اذا كنت تحب المرح، اتبعني. فقد اصبح ملفوليو وثيا. اذ لم يعد يرغب في الخلاص وفقا للايمان القويم، بل يعتقد بالامور المستهجنة التي يسلّم بها هذا الفتى. وهو يرتدي الآن جواربه الصفراء. انه ينفذ كل ما تصمتت الرسالة، ويسمى العريضة نكث من تجاعيد وجهه. اقسم لك، بأن سيدتي ستصفعه اذا رأتها على هذه الحالة. واذا فعلت ذلك، سيظل عيسم لها، محفنا بأنها اثما ضرته لانها تحبه.

سير طوبوي : ها بنا الى حيث يوجد ملفوليو. (يخرج الجميع).

المشهد الثالث في الشارع

(يدخل انطونير وسيمتيان)

سيمتيان : لم أكن أريد أن أسبب لك المتاعب. لكن بما أنك مسرور بالأمك فاني لن أوبخك بعد الآن.

انطونير : لم يكن باستطاعتي أن أسببك بعد رحيلك عني. لم أكن فقط أرغب في مشاهدتك. لكن خوفي عليك حملني أيضا على اللحاق بك، خاصة أنك موجود في بلاد، هي بالنسبة إليك أنت الغرب، قاسية غير مضيفة.

سيمتيان : عزيزي انطونير، انا أشكرك على عواطفك هذه، ولا يعني إلا أن أكرر لك شكري دائما. ولو كانت مواردك عزيزة مثل ضميري، لأحسث مكافأتك. لكن كثيرا ما تكافأ الخدمات العظيمة بالشكر وحده. ماذا تفعل الآن؟ هل تريد أن تذهب لمشاهد آثار المدينة؟

انطونير : غدا يا سيدي، من الأفضل لولا أن تؤمن مسكنا لك.

سيمتيان : لست متعبا، والليل ما زال بعيدا. فأرجوك أن تصحبني لنستمتع أنظارا بمشاهدة الآثار التي تزين هذه المدينة.

انطونير : أرجوك أن تعلموني لأني لا أستطيع أن أتنزه في الشوارع دون أن أحرص للخطر. لقد قدمت خدمات جليلة في معركة بحرية جرت منذ مدة مع سفن اللوق.

سيمتيان : هل قتلت عددا كبيرا من الناس ؟

انطونير : لم تكن المعركة التي جرت بيننا دموية، لأن الأمر سوي فيما بعد وأعدنا ما أخذناه. أما أنا فرفضت ذلك، ولهذا أخشى أن يمسك بي أحد ها.

سيمتيان : لا تذكر إذا من ظهورك في الأماكن العامة.

انطونير : خذ محفظتي هذه يا سيدي. ستقيم في الضواحي الجنوبية في منطقة الفيل وسأوصي على طبق طعام لكتينا، فيما نتمتع أنت بمشاهدة معالم المدينة وستجني هناك.

سيستان : لماذا أعطيتني محفظتك ؟
 انطونيو : قد تمجيك دمية ماء، حرد شراها. وقد يمزك المال في مثل هذه
 الحالة.
 سيستان : سأحمل محفظتك، وأتركك لمدة ساعة من الزمان.
 انطونيو : إلحق بي إلى مقاطعة الفيل.
 سيستان : لن أنسى ذلك أبدا (يبتعدان).

المشهد الرابع في حديقة لوليا

(تدخل لوليا ولربا)

لوليا (تمكر) : لقد أرسلت في طلبه، وقيل انه سيأتي. فكيف سأعيده ؟
 وماذا سأعطيه ؟ لأن الشبية تشتري أكثر مما تعطي نفسها. ما لي أنكلم
 بصوت عالٍ ؟ أين ملوليو ؟ هو رجل وقور ولاذع، هو الخادم الذي
 يلائمني. أين ملوليو ؟
 ماريا : ما قد وصل، يا سيدي. لكنه يبدو في حالة غريبة، كأن في داخله دقة
 شيطان.
 لوليا : ما به ؟ هل هو في حالة هذيان ؟
 ماريا : كلا، يا سيدي. هو يتسمه ومن الأفضل لك أن تحفظي بحارس
 قريب منك إذا أتى. أنا واثقة بأن الرجل تسكته الشياطين.
 لوليا : اذهبي وأبحثي عنه. سأكون بلهاء مثله إذا كان هناك من مسالوة بين
 الجنون الحزين والجنون المرح.

نن ؟ ملفوليو ؟

ملفوليو (يتسم بشكل غير مألوف) : سيدتي العزيزة.

اوليفيا : أنت تبسم ؟ لقد أرسلت في طلبك لأمر عظيم.

ملفوليو : عظيم، يا سيدتي ؟ أستطيع أن أكون وقورا. لكن ربطة ساقي تمنعني الدم في عروقي. هذا لا يهم. اذا كنت تعجب شخصا ما، فاني أستطيع أن أردد ما جاء في القصيدة : أن يكون المرء موضوع إعجاب شخص ما، يعني انه موضوع إعجاب الجميع.

اوليفيا : ما بك، يا هذا ؟

ملفوليو (يتسم) : لا يخيم الغم على نفسي، رغم وجود اللون الأصفر على ساقي. لقد اعتدت الى عنوانها، وسأفقد جميع أوارها.

اوليفيا : هل تريد الذهاب الى النوم، يا ملفوليو ؟

ملفوليو (يتسم) : أجل، يا حبيبي، أريد أن آتي اليك.

اوليفيا : كان الله في عونك. لماذا تبسم هكذا وترسل الي بيك كل هذه الليلات ؟

ماريا : كيف حالك، يا ملفوليو ؟

ملفوليو (باحتقار) : سأجيبك، كما يجيب العنديل الغراب

ماريا : لماذا تقف أمام السيدة بهذه الوقاحة ؟

ملفوليو : لا تخف من الأمجاد. لقد أجدد من فاه بهذا القول المأثور.

اوليفيا : ماذا تقصد بذلك، يا ملفوليو ؟

ملفوليو : هناك من يولدون عظماء.

اوليفيا : ماذا تقول ؟

ملفوليو : وآخرون يكتبون الأمجاد اكتسابا.

اوليفيا : ماذا تقول ؟

ملفوليو : وآخرون يفرض عليهم المجد فرضا.

اوليفيا : أتمنى لك أن تعود الى رشدك.

ملفوليو : نذكر من امتدح جواربك الصفراء.

اوليفيا : أمة جوارب صفراء.
 ملفوليو : انذهب، فأنت منذ الآن شخصية مرموقة، اذا أردت ذلك.
 اوليفيا : أنا شخصية مرموقة ؟
 ملفوليو : وإلا ستبقى عادما الى الأبد.
 اوليفيا : هو مصاب حمى بجنون حقيقي.

(يدخل أحد الخدم)

الخدام : يا سيدي، لقد عاد النبيل القادم من قبل الدوق اورسينو، بعد أن بذلت جهدا كبيرا في سبيل عودته اليك.

اوليفيا : سأضفي اليه. (يخرج الخدام) يا ماريا، أين عمي طوبي ؟ لمعتز بمص الخدم بهذا الصديق حاية خاصة. لا أريد أن يصبه أي مكروه، ولو خسرت نصف ما أملك (تخرج لوليفيا وماريا).

ملفوليو : اقتربوا مني الآن. لا أريد أن يعتني بي شخص غير سير طوبي. فذلك يتفق تماما مع ما جاء في الرسالة. لقد أرسلته اليّ خصيصا لأعاطله بوقاحة لأنها تدعوني في الرسالة الى معاملته بهذه الطريقة. اتزع عنك الانسان الحقير وكرر منجهم الوجه مع ثأورك فقط مع خدمك. وأخيرا قالت وهي تمارر هذا المكان : اعتنوا بهذا الصديق. حقا كل شيء يطمش على ما جاء في الرسالة. ولقد فعل جويستر كل هذا لأجلتي، فوجب عليّ أن أشكره.

(تدخل ماريا مع سير طوبي وليان)

سير طوبي : أين هو ؟ أستحلفكم بجميع من نحبون. أريد أن أكلمه ولو سكتته جميع الشياطين.

ليان : ها هو، ها هو. كيف حالك يا صديقي ؟
 ملفوليو : اذهبوا عني. أنا أصدر لكم أمرا بالانصراف. دعوني أستمتع بوحظتي. هيا اذهبوا عني.

ماريا : الشيطان يتكلم بصوته. ألم أقل لكم ذلك ؟ والسيدة ترجوك أن تعتني به، يا سير طوبي.

ملفوليو : هل قالت هذا حقا ؟

سير طوبى : ينبغي أن تصرف معه بلطف. دعوني أفعل كيف حالك يا
ملقولير ؟ أطرد عنك الشيطان، أيها الصديق، واعتبره عدو البشرية
ملقولير : هل تدري ما نقول ؟

ماريا : ألا ترى كيف يتألم عندما تسيء الكلام عن الشيطان ؟ قد يكون حقا
سكة الشيطان ؟

فيان : سنعمله الى العرافة غدا.

ماريا : أجل، لأن سيدتي لا تريد فقدانه، مهما كان الثمن.

ملقولير : ما معنى ذلك، يا سيدتي.

ماريا : يا الهي !

سير طوبى : أرجو أن تصني. ليست هذه هي الوسيلة الفضلى. ألا ترى
أنك تبرير غضبه ؟ دعيني وحدي معه.

فيان : الوسيلة الفضلى للاعتناء به هي اللطف. لأن الشيطان كائن عشن، ولا
يريد أن يعامله بخشونة.

سير طوبى : حسنا. كيف حالك أيها الدبك القصيح ! بل كيف حالك أيها
الذجاجة ؟

ملقولير : سيدتي !

سير طوبى : أجل. تعال معي أيها الصغير. لا يلبق بوغارك أن تناهب الشيطان.

ماريا : دعه يظل صلاته، يا سير طوبى.

ملقولير : صلاتي، أيها الحمقاء ؟

ماريا : هو لا يريد، بعد الآن أن يستمع الى كل من يست الى القوى بصلة.

ملقولير : اذهبوا جميعكم واشفقوا أنسكم. فأنا لست من طيكتكم. سعلمون

المزيد عني فيما بعد (يخرج).

سير طوبى : هل هذا معقول ؟

فيان : لو ان ما أشاهده الآن كان عملا مسرحيا حقيقيا، لما صدقت ما أرى
وما أسمع.

سير طوبى : ان خشنا قد سمم نفسه، يا صديقتي.

ماريا : لكن لنلحق به الآن، خشية أن يهوي خشنا فيفسد.

فيان : لكننا حملنا هذا نطفه الى الجنون.

ماريا : في مثل هذه الحالة، سيمم الهدوء كل أرجاء المنزل.
سير طويي : تمالوا، سحبته في غرفة مظلمة وستقيده. اد بائت ابنة أنمي
متصعة بأنه أضحي مجنوناً. وهكذا نستطيع أن نطول مرحناً من جهة، وعقاباً
من جهة أخرى، حتى يحملنا مرحناً بالذات على الاشفاق عليه. لكن انظروا،
انظروا.

(يدخل سير طويي)

فيان : سيزداد مرحناً بحضوره.

سير اندريه : هذا هو كتاب التحدي بالمباررة. إقرأه. تؤكد لك انه لا ذع
للمائة.

فيان : هل هو لا ذع الى هنا الحد ؟

سير اندريه : أجل، إقرأه.

سير طويي : اعطني لياه (يقرأ) أيها الفتى لست سوى بهيل محتال.

فيان : يا له من رجل شجاع !

سير طويي (يقرأ) : لا تعجب، ولا تتساءل لماذا أدعوك هكذا، فلن أفسح
لك عن ذلك.

فيان : هذه ملاحظة قيمة تحمينا من خريبات القانون.

سير طويي (يقرأ) : ستأتي الى المنزل سيدتك اوليفيا وتحسن معاملتك على
مراى مني. لكنك كذاب، ولنا لا أتحدثك لأجل هذا.

فيان : لقد أحسن الايجاز. لكنه شط عن الموضوع.

سير طويي (يقرأ) : سألتقي بك لدى عودتك، وإذا كان من حسن حظك أن
تقتلني...

فيان : أحسنت.

سير طويي (يقرأ) : ستقتلني كما يقتل الأوغاد.

فيان : ما زلت تتحاشى القانون.

سير طويي (يقرأ) : وداعاً. ليتقبل الله أحد رويخينا، ربما روحي، لكن ألمي

كبير في البقاء حيا. وهكذا، ما عليك الا أن تحفزي. فأنا صديقك الحميم اذا
أصنعت معاملتي، وعدوك اللادود...

(اندريه الكاليد)

اذا لم تحركه هذه الرسالة، فمعنى ذلك ان سائيه لا تستطيع ان حمله.
سأسلمه اياها.

ماريا : أملك فرصة نادرة للقيام بذلك. هو الآن يتحدث الى السيلة وسيفادر
المنزل غورا.

سير طويي : حيا يا سير اندريه، أكن له في زاوية الحديقة، واد تراه إتشق
سيفك واشتمه بصوت مربع. لاذ غالبا ما تكون الشئمة هكذا مرعبة. وفي هذه
الحالة يحبر عملك برهاننا عظيما على مقدار شجاعتك. فالى الامام.

سير اندريه : إنكل عليّ في هذا الأمر، بحق الشئمة. (يخرج)

سير طويي : لا، لن أسلمه هذه الرسالة، لأن تصرف هذا الفتى النبيل، يدل
على مقدرته وقلمته. ان مهنته كوسيط بين سيده وابنه أعني ثبت ذلك أيضا.
وبالتالي، هذه الرسالة السخيفة لن تسب له أي خوف. سيدرك ان مرسلها
رجل غبي. لكني سأبلمه التحدي بالمبارزة بصوتي الحي. وسأعلم سير اندريه
بشهرة هذا الفتى النبيل. وسأرسخ في ذهن هذا الأخير فكره عن غضب سير
اندريه ومهارته، وبذلك سيخشى كل منهما الآخر، حتى ان أحدهما سوفقتل
الآخر بمجرد النظر اليه.

(تدخل اوليفيا وغريلا)

فيان : ها هو غلام مع ابنة أخيك. لتدعهما وحدهما، الى أن يوارى أحدهما
قتولي أمر الآخر.

سير طويي : بانتظار ذلك، سأعد دياجة مرعبة، لأعلن بواسطتها التحدي
بالمبارزة. (يخرج سير طويي وفيان وماريا).

اوليفيا : لقد أكثر من التوصل الى هذا القلب المتحجر، وعزمت شرفي
للالهانة، وفي داخلي ما يوبختني على ذنبي هذا. لكن استهتار ذنبي يستحق
بالعلامة.

فيولا : كل الصفات التي يتحلى بها حيك، يتحلى بها أيضا حب سيدي.
اوليفيا : غدا تذكرا سي هذه الجوهرة التي تحمل صورتى. لا ترفضها اذ
ليس لها صوت يزعجك. أستحلفك بأن تعود التي غدا. أطلب مني ما تشاء
ميكود لك. لن أرفض لك مطلباً لا يمنني الشرف من تلبته.

فيولا : لن أطلب منك سوى حيك الصادق لسيدي.
اوليفيا : كيف أستطيع أن أعطيه ما سبق لي أن أعطيتك اياه، وأظل مع كل
ذلك شريفة ؟

فيولا : اني أحلك من ذلك.

اوليفيا : حسنا. غدا. وداعا. ان شيطاناً مثلك، باستطاعته أن يحمل تمهي
الى الجحيم (تخرج).

(يدخل سير طويي و فيلا)

سير طويي (يخاطب فيولا) : حفظك الله أيها النبيل.

فيولا : وحفظك أنت أيضا، يا سيدي.

سير طويي : احبب نفسك في حالة الدفاع. لا أعلم ما هي نوعية الأخطاء التي
ارتكبتها. مما أعلمه هو ان غصصك الدموي ينتظرك في آخر الحديقة. امش
سبك وكن مستعدا بكل ما توتيت من رشاقة لأن غصصك ياروع عيب
ومنقطع.

فيولا : أنت مخطيء، يا سيدي، فانا واثق بأنني لم ألتاجر مع أحد. والذكر
جيدا اني لم أفسد باهانة أحد.

سير طويي : متعلم عكس هذا. تؤكد لك ذلك. فلذا كانت حياتك عزيزة
عليك، كن متيقظا. لأن غصصك يتمتع بقوة الشباب ومهارته وعنفوانه.

فيولا : لكن، أوجوك أن تقول لي من هو ؟

سير طويي : انه فارس يحمل سيفاً طويلاً لا تشوبه شائبة، ومصاب شهرة
واسمة. لكنه في المشاجرات الخاصة يتحول الى شيطان. لقد لزهق حتى الآن
ثلاثة أرواح، وغظه في هذه اللحظة لا تسكنه الا مكروبات الموت، ووحشة
الامر ما دام شعاره : إما النصر وإما الموت.

فيولا : سأعود الى المنزل وأطلب من السيدة أن تؤمن لي حراسة. لست

مقاتلا، انما سمعت بنوع من الرجال يسمون الى مشاكسة الآخرين، فقط لكي
 يهجموا بساتهم. وقد يصف هذا الرجل بهذا العيب الغريب
 سير طويي : لا، يا سيدي. ان سبب غضبه هو امانة صريحة. وهكذا، ما
 عليك الا أن تكمل سيرك وترضيه. لن تعود الى المنزل الا اذا برحت لي انك
 تستطيع مجابته. فاما أن تكمل سيرك، واما ان تمتشق حمامك، اذ ينبغي
 عليك أن تقا تل أو تفلح عن حمل السلاح.
 فيولا : هذا غير لائق، وغير متعارف عليه. أرجوك أن تسمح لي بسؤال
 الفارس عن الأمانة التي وجهتها اليه. اذ قد تكون صدرت عني بدون قصد.
 سير طويي : سأفعل ذلك. يا فيلان، انق الى جانب هذا السيل، ريثما أعود
 (يخرج طويي).

فيولا : قل لي، أيها السيد، هل لك علم بهذه القضية ؟
 فيلان : ان ما أعلمه هو ان الفارس غاضب عليك كل الغضب.
 فيولا : أرجوك أن تعلمني أي نوع من الرجال هو ؟
 فيلان : اذا حكمت عليه من ملامح وجهه، فلن تستطيع أن تكشف فيه
 الشخص الحارث الذي سرعان ما تتصرف اليه، اذا ما امتحت بسأته. لا
 يمكنك أن تجد في مقاطعة الليري، عدواً دموياً ماهراً مثله. هل تريد ملاحظته ؟
 سأوطد السلام بينكما، اذا استطعت.
 فيولا : أكون لك من الشاكرين. لأنني رجل مسالم ولا أحب القتال. لا أريد
 أن أكون مشهوراً بنزقي (يخرجان).

(يدخل سير طويي وسير اندريه)
 سير طويي : يا عزيزي، هو شيطان حقيقي. لم أبصر له مثيلاً أبداً أثناء القتال.
 سير اندريه : لا أريد التحرش به.
 سير طويي : أجل. لكنه الآن في ذروة غضبه، ولا يريد أن يهدأ. فيلان يذل
 جهداً كبيراً للاسك به هناك.
 سير اندريه : لو كنت أعتقد بأنه مقدم وبارع في لعبة السيف الى هذا الحد،
 لتركه يذهب الى الجحيم قبل أن أتحدثه وأدعوه الى المبارزة. ليحضر الأمر
 منتهباً وسأعنه حصاني الرمادي.

سير طويي : سأعرض عليه اقتراحك. إيش هنا وحافظ على رباطة جأشك.
سيتهني الأمر دون اراقة دماء. (على حدة) أستطيع مثلك أن تقود حصاني.
(يدخل فياد وفيولا)

(يخاطب فيان بصوت خافت) لقد حصلت على حصانه مقابل تعهدي له
بتسوية الخلاف وأقبحته بأن الفتى شيطان.
فيان (يخاطب سير طويي بصوت خافت) : لقد غامرت ذهن هذا الفتى
فكرة مرعبة عنه. هو يلهث ويملو وجهه الاصفرلر، كسا لو كان أحد الخنازير
يلاحقه.

سير طويي (يخاطب فيولا بصوت خافت) : لا يوجد حل يا سيدي. هو
يريد مقاتلتك من أجل البعين الذي أقسمه. ولقد فُكّر مليا في الخلاف للقلم
يتكما، ووجد أن الكلام في هذا الموضوع لا يجدي نفعا. وأكد لي أنه لن
يلحق بك أي قذى.

فيولا (على حدة) : وقانا الله شره.

فيان (يخاطب فيولا) : أحجم عن القتل، إذا رأيته غاضبا.

سير طويي (يخاطب سير اندويه بصوت خافت) : هيا يا سير اندويه، أليس
من حل ؟ هذا النبيل يريد فقط أن يركزك حفاظا على شرفه، ولا يمكنه أن
يمحق نفسه من هذا دون أن يخالف أصول المبارزة. لكنه وعدني بأن لا يلحق
بك الأذى. هيا خذ حذرك.

سير اندويه : ليت بقي بوعده ! (يمشق سيفه).

سير طويي : أنت، يا سيدي، من أنت ؟

الطونيو : شخص مستعد للقيام بأعمال بطولية، حبا بهذا الانسلا، ولا يمكنك
أن تقوم بمثلها (يشير الي فيولا).

سير طويي : اذا كنت تأخذ على عاتقك مشاحنات الآخرين، فانا أتحداك
(يمشق سيفه).

فيان : قف يا سير طويي، ها هم موظفو المدينة.

سير طويي (يخاطب انطونير) : سأعود اليك حالا.

فيولا (يخاطب سير اندويه) : أرجوك يا سيدي أن تعيد سيفك الى غمدك.

سهر اندريه : أريد ذلك يا سيدي. وسأني بوعدي لك. ان لسانه حاميء ويستطيع أن يفتحك بسهولة ونومة.

الضابط الأول (يشير الى انطونيو) : هوذا الرجل، فقم بواجبك.

الضابط الثاني : يا انطونيو، أنا لوقفتك بناء على طلب السوق اورمينو.

انطونيو : أنت مخدوع، يا سيدي.

الضابط الأول : يا سيدي أنا أعرف جيدا وجهك، رغم أنك لا تعبر الآن

تعبة البشارة. خذوه. هو يعلم اني أعرفه جيدا.

انطونيو : علي أن أطيع. (يحاطب فيولا) لقد حصل لي هذا، وأنا أبحث

عك. ماذا سافعل ؟ الضرورة تجبرني على أن أستود منك محفظتي، وأفضل

هذا لعدم قدرتي على مساعدتك، وخوفا على ما قد يهوي. أنت مذهول، إنما

تشجع وحدي روعك.

الضابط الثاني : هيا، سر.

انطونيو : لا بد لي من مطالبتك بقسم من هذا المال.

فيولا : أي مال، يا سيدي ؟ تقديرا لحسن موقفك تجاهي، ونظرا الى متاعبك

الحاضرة، أريد أن أقسم عليك ما أملك ماضقة رعم صاك.

انطونيو : هل تنوي أن تعجأهني الآن ؟ هل يعقل أن تتكر لما أظهرته لك من

وماء ؟ لا تجبرني في مصيبي هذه، خشية أن أقعد صواني وأعاقبك على جميع

الخدمات التي قدمتها لك.

فيولا : أية خدمات ؟ لا علم لي بها. أنا لا أعرف صوتك ولا ملامحك،

وأكره من المرء نكران الجميل أكثر من الكذب والفنر والثروة والسكر وأي

عيب آخر تكمن خيمته المفسدة في نفوسنا الضعيفة.

انطونيو : أيتها السماء !

الضابط الثاني : هيا، أرجوك أن تذهب معي.

انطونيو : دعني ألقظ كلمة واحدة. لقد أنقذت هذا العني الذي نراه ها من

برائن الموت وقد قدرت مزايه التي بدت لي حائلة بالفضائل.

الضابط الأول : ماذا يعني كل هذا ؟ الوقت يمر بسرعة هيا نمضي.

انطونيو : أي تسان وضع أحضى هذا للشخص ! يا سيستان، لقد أنقذت

العار بطلمة نبيلة، فليس أبشع في الطبيعة من شناعة الروح، وليس من مشوه سوى فلق الزماعة. فالمفضلة هي الجمال. أما العيب المستور، فليس سوى صندوق مقفل يزينه الضبط.

الضابط الأول : لقد جن الرجل. حذوه. هيا نذهب، يا سيدي.

انطوني : حذوني. (يخرج الضابطان وانطوني).

فيولا : (على حدة) : كلماته تنبع من عاطفة جياشة حتى بدا مقتنعا بما يقول. أمّا أنا فليست مقتنعا بعد. لا تخدعني أيها الفارس، لا تخدعني. قد افتر هذا الفتى وغلطني شخصك أيها الأخ العزيز.

سير طوبي : تعال، أيها الفارس، تعال يا فيان لتبادل بعض الحكيم.

فيولا (على حدة) : لقد تلفظ باسم سيثيان. يحيل إليّ إلى أرى أنني بصورة دائمة حيا في ذاكرتي. وأرتدي ذات الثياب التي كان يرتديها، وأقلده في كل شيء. آه ! لو أن أنني ما زال على قيد الحياة، إذا لرحمتني المواقف وأشغقت على أمواج البحر (تخرج)

سير طوبي : هذا فتى حبيب، تنكر لصديقه، في مصيبه.

سير انطوني : سأتمقه وأعزبه.

سير طوبي : امس في تأديبه. لكن لا تمنق سيفك في وجهه.

سير انطوني : إذا لم أفعل ذلك... (يخرج).

فيان : هيا بنا لرى ما يحدث.

سير انطوني : أراهن على عدم حدوث أي شيء. (يخرج الجميع).

الفصل الرابع

المشهد الأول

في ساحة أمام منزل اوليفيا

(يدخل سيستان وغاست)

غاست : أترىد أن تقنعني بأنني لم أرسل للبحث عنك ؟
سيستان : لا، لا. أنا أعرفك، ولم ترسلني السيدة لأخول لك إن تأتي إليها
وتكلمها. أنت لست السيد سيزاريو، وهذا أيضا ليس الفتى. لا شيء هي
الوجود كائن بداته.

سيستان : أرجوك أن تمضي إلى مكان آخر، وأن تذهب منه جنونك. أنت لا
تعرفني.

غاست : أتعنى أن يكون هذا العالم الساذج الفضولي مجرد مصيدة دباب
لذلك، أرجوك أن تقول لي هل أبلغ السيدة بأنك ستأتي إليها ؟
سيستان : أرجوك أيها الأبله، أن تدعني وشأني. عد هذا المال. وإذا بقيت
هنا مدة أطول، ستعال نقوداً من نوع آخر.

غاست : أنت رجل كريم، والعقلاء الذين يهبون المجانين مالا، يؤمنون
لأنفسهم شهرة ويدفعون بدل إيجارها عن أربع عشرة سنة.

(يدخل سير أندريه وسير طومي ويصان)

سير اندريه (يخاطب سيستيان) : وآخرها وجدتك. يا سيدي، عذ هذا.
(يضرب سيستيان).

سيستيان : حسنا. خذ هذا قبضا وأبضا. (يضرب سير اندريه) هل جميع
الأشخاص القاصدين هنا مجانين ؟

سير طويي : قف، وإلا أغتيت سيفك من أعلي هذا المنزل.
فاست : سأقبل كل هذا الى السيدة. لا أريد أن أتزيا بزيكم مهما كان الثمن
(يخرج فاست).

سير طويي (يمسك سيستيان) : هيا، قف، يا سيدي.
سير اندريه : دعه. سأصرف معه بطريقة أخرى. وأقيم عليه دعوى، اذا كان
هناك من قوانين في مقاطعة إليري نجهز لك رخم اني باذوت الى ضربه لولا.
سيستيان (يخاطب سير طويي) : ارفع يدك عني.
سير طويي : لن أدعك، يا سيدي. هيا، أعد سيفك الى غمدته، أيها الجندي
الشاب. أنت قوي للشكيمة، هيا.

سيستيان : سأخلص منك. (يفلت منه ويمتل سيفه). ماذا تريد الآن مني،
إن كنت تعرج على مبرزتي، إمتل سيفك وهيا.
سير طويي : ماذا تقول ؟ سأجعل منك الوقح يسيل كالماء (يمتشق
حسامه).

اوليفيا : قف، يا طويي. أمتحلفك بأن تتوقف.
سير طويي : سيدتي.

اوليفيا : أنت ما زلت ذلك الخبيث الذي لا سبل الى اصلاحه، والمخلوق
لتعيش في الجبال وكهوف البرابرة الذين لم يعرفوا معنى المدنية. أغرب عن
وجهي، ولا تحذر نفسك مهانا أيها العزيز سيزاريو. اتمد من هنا أيها القبط
(يخرج سير طويي وسير اندريه وفيان. تخاطب سيستيان) أرجوك أيها
الصديق اللطيف أن تنقاد الى عقلك لتبيل لا الى شهوتك الذئبية لزاء هذا
الاعتداء الجائر على سلامتك. ادعل معي، وعندما ستعلم أية حماقات ارتكبت
هذا الرجل السائل، ستضحك من غباكه. تمال لا تصدني. ملعون من جعل قلبي
يرتمى في هواك.

سيتمهان : ما معنى كل هذا ؟ كيف تجري هذه الأمور ؟ فلما أنا مجنون ولما
أنا في حلم. ليسمر الوهم في البطرة على حواسي، إذا كان الحلم هكذا،
فعماني أبقي دائما نالما
اوليفيا : هيا، تعال. أرجوك أن تدعني أتودك بنمسي.
سيتمهان : أنا أفضّل ذلك، يا سبتي.
اوليفيا : ويحك. كن مرحا، وقل آمين (يخرجان).

المشهد الثاني في منزل اوليفيا

(تدخل ماريا وتغتم)

ماريا : أرجوك أن ترتدي ثوب رجال الدين هذا، وأن تضع هذه اللحية. دعها
تعقد بأنك سيرتوبا الكاهن، وأسرع. سأبحث عن سير طوبى في هذه الأثناء.
(تخرج ماريا).

فامست (يرتدي ثوب الكاهن) : سأخفي داخل هذا الثوب. معاذ الله أن
أكون أول من يخفي داخل رداء مثله. لست سمينا كفاية لأقوم بمثل هذه
المهمة، ولا ضعيفا كفاية لأكون علامة، بمقدار ما هو حسن أن يكون
الإنسان شريفا، كذلك حسن أن يكون المرء بارعا وعالما كبيرا. لقد وصل
الصدقان اللذان لا يفترقان.

(يدخل سير طوبى وتغتم)

سير طوبى : البركة تحل عليك، أيها الكاهن.
فامست : الكائن الحي لا شك في وجوده. وهكذا بالنسبة لي. فكوني أنا
الكاهن يعني أنني رجل دين.

سير طويي (يشير الى غرفة يحتجز فيها ملفوليو) : هيا بنا نذهب اليه يا سير توبا.

فاست (بصوت عالٍ) : كفى. قلت لك كفى ضحيج السجن.

سير طويي : يا لك من محتال يارح في التقليد.

ملفوليو (في غرفة مجاورة) : من ينادي هالك ؟

فاست : أنا سير توبا الكاهن، جئت لأرور ملفوليو الغريب الضياء.

ملفوليو : يا سير توبا، يا سير توبا. هيا نذهب الى السيدة.

فاست : اخرج منه أيها الشيطان. لماذا تملب هذا الانسان ؟ أنت لا تتكلم اذا الا عن السيدات ؟

سير طويي : أحسنت، أيها الكاهن.

ملفوليو : يا سير توبا لم يبق لإنسان أن تحمل ما تحملت أنا من لعانات. لا

تحسني، يا سير توبا، مجنوننا رغم اني محجوز هنا في ظلمات رهيبة

فاست : بآ لك أيها الشيطان المنحط. أنا أدعوك بكلمات متواضعة، لأنني من هؤلاء الناس الطيبين الذين يعاملون الشيطان نفسه بأدب، تقول ان هذه الغرفة مظلمة.

ملفوليو : انها كالجحيم، يا سير توبا.

فاست : لها فوائد شغافة مثل المطاريح، ومع ذلك تتدمر من المظلمة.

ملفوليو : لست مجنوننا يا سير توبا. وأقول لك ان هذه الغرفة مظلمة.

فاست : أيها المجنون، أنت نائم. قلت ان ليس من ظلمات سوى الجهل الذي

أنت تتخبط فيه، أكثر من تخبط المصريين في ضبابهم.

ملفوليو : قلت ان هذه الغرفة مظلمة مثلما الجهل هو مظلم حتى ولو كان

الجهل أشد ظلاماً من الجحيم، قلت ان لم يبق لرجل ان عاني معاملة اسوأ

مما عانيت أنا. لست مجنوننا، تعلمنا كما انك لست مجنوننا. ولك أن تتأكد

من ذلك خلال استجوابي بطريقة منتظمة.

فاست : ما رأي فيتاهوروس بالنسبة الى الطائر البري ؟

ملفوليو : روح جدتنا يمكن أن تكون متقنصة في شخصه.

فاست : ماذا تقول في هذا الرأي ؟

مفلوئو : أنا لي فكرة نبيلة عن الروح. لذلك لا أقره على وأيه.
فاست : وداعا. ابقى دائما في الظلام. لن أقتنع بسلامة عقلك قبل أن تساند رأي معافوروس، ونحاف من أن تقتل دجاجة الأرض بحشية أن تقضي على روح جدتك. وداعا.

مفلوئو : يا سير توبا، يا سير توبا.

سير طوبي : حبيبي أنت، يا سير توبا.

فاست : يا سيدتي، أستطيع الإبحار في كل اتجاه.

ماريا : كان باستطاعتك أن تفعل كل هذا بدون حاجة إلى اللحية وثوب الكاهن، ولم يكن ليراك.

سير طوبي : كلمه بصوتك الطبيعي، ثم أخبرني كيف نجده. أريد التخلّص من هذه المهزلة. إذا كان بالامكان (طلاق سراحه دون عائق) فأنا أرغب في ذلك. لأنني الآن في مأزق مع ابنة أخي، ولا أستطيع إطالة هذه المهزلة إلى أقصى حد. تعال حالا إلى غرفتي (يخرج سير طوبي وماريا).

فاست (يمتني) : أيها القاضي، أيها القاضي السعيد، قل لي كيف حال روحك ؟

مفلوئو (ينادي) : أيها المجنون.

فاست : زوجتي عديمة الشعور بدون شك.

مفلوئو (ينادي) : أيها المجنون.

فاست : يا للأسف، لماذا هي هكذا ؟

مفلوئو : أيها المجنون، هل تسمعي ؟

فاست : هي تحب رجلا آخر...

من ينادي ؟

مفلوئو : لذا كنت تريد مساعدتي، أيها المجنون، فاستي بشمعة وبريشة وحر وورقة. أقسم لك بأني سأبقي مديا لك ما حيت.

فاست : يا سيدي مفلوئو.

مفلوئو : نعم، أيها المجنون.

فاست : يا للأسف، كيف فقدت رشذك ؟

مفلولو : أيها المجنون، لم يسبق لإنسان أن تحمّل ما تحمّلك أنا من أهانات،
مع اني بكامل قواي العقلية، مثلك أنت تماما.

فاست : إذا، أنت مجنون. اذا كنت لا تملك حسا سلبيا أكثر مما يملك
المجنون.

مفلولو : لقد ألقي القبض عليّ وحُجزت في هذه الظلمات، وأُرسِل اليّ
برسل، بل بحمير، وهم يفعلون كل ما يوسعهم لكي أفقد عقلي.

فاست : انتبه الى ما تقول، لأن الرسول ما زال هنا. (يدلّ صوته) يا مفلولو،
يا مفلولو، أتمنى لك أن تزوب الى رشدك. حاول أن تنام، ودع هذه اللغة
العاصفة.

مفلولو : يا سير توبا.

فاست (يميّر برة صوته) : لا تكلمه، أيها الصديق. من أنا يا سيدي ؟ أنا لا
أكلمه. ليكن الله في عونك، يا سير توبا. أنا موافق يا سيدي، أنا موافق.

مفلولو (ينادي) : أيها المجنون، أيها المجنون، أيها المجنون. هل تسمع ؟
فاست : أرجوك يا سيدي، أن تتسلّك بالصبر. ماذا تريد سي ؟ أنا أعرض
نصبي للملامة عندما أكلّمك.

مفلولو : أيها المجنون، أحضر لي ورقة وشمعة. تؤكد لك اني أتمتع بعقلي
كأي رجل في مقاطعة إليري.

فاست : يا للأسف ! ليك تتمتع بعقلك !

مفلولو : اقم لك بأنني أتمتع به، أيها المجنون. أعطني حبرا وورقة شمعة.
ثم انقل الى السيدة ما سأكتبه وستكون مكافأتك على عملك هذا عظيمة.

فاست : سأفعل ما تريد. لكن قل لي بصراحة : هل أنت حقا غير مجنون، أم
انك تكذب عليّ ؟

مفلولو : صديقي، لست مجنوننا. أنا أقول لك الحقيقة.

فاست : لن أسلك رجلا مجنونا قبل أن أعطين دماغه. سأحضر لك شمعة
ورقة وحبرا.

مفلولو : سأجزل مكافأتك، أيها المجنون. أرجوك أن تغيب.

ثالث (يفتي) :

أما ذاهب، يا سيدي
وسأعود إليك حالاً
لأنني لك حاجاتك،
بطرفة عين
مثل المهرج القديم
الذي يسهه الغشي
وفي ثورة غضبه
مثل ولد مجنون.
صرخ قائلًا : آه ! لم آه !
لَمْ أَظْفِرْ يا ولدي.
ودلعا أبها السقيم.

(يفرح)

المشهد الثالث

في حديقة أوليها

(يمثل سيهان)

سيهان : ما أبهج الهواء الطلق، والشمس الساحطة ! إن هذه الجوهرة التي
أعطيتني إياها أنحسها وأتأملها. ومهما كانت النشوة التي تسكرني، فإنها
ليست بالمجنون. أين انظروا ؟ لم أجده في ضاحية الفيل، ومع ذلك كان
هناك. وقد علمت بأنه غادر إلى المدينة ليبحث عني. نصالحه مفيدة في هذه
اللحظة ولا تقدر بمن، لأن ذكائي ومعه حواسي، على يقين تام بأن ها خطأ

ما، وإن الأمر ليس مجرد جنون. مع ذلك، أرى هذه الحادثة، هذا الطوفان من النعم لا يصدق، ولا يمكن تفسيره، حتى أنني لا أصدق أن أصدق عيني، بل أنا أخلص عقلي وأتهمه بالجنون، أو أنهم هذه السيدة بالجنون. لكنها لو كانت مجنونة، لما استطاعت أن تدير بيتها وتامر عيادتها وتتولى أمورها بنفسها، وترسلهم في مهمات حسب الأصول، بكل هدوء وحزم، كما يتجلى ذلك في تصرفها. إن في الأمر كفضا. ها هي السيدة.

(تسجل بولينا والكلمة)

اوليفيا : لا ظمعي على تهوري. إذا كانت نوابك حسنة، تعال الآن معي برفقة هذا الرجل الصالح إلى المعهد المجاور. وطشني تحت هذا السقف المبارك كي تستطيع روحي القلقة أن تنحيا بسلام. سيحافظ على سر زواجنا إلى اليوم الذي تقرر فيه أن يصبح علينا. عندئذ سنقيم احتفالا يليق بأصلي ومكانتي. فما رأيك في ذلك ؟

سيستان : سأتابع هذا الرجل الطيب، ثم أذهب معك. ومتى التمت. بأن تكوني ومة لي، سأكون وفيًا لك إلى الأبد.

اوليفيا : دُلنا على الطريق أبها الكاهن الطيب، ولتطبخ المماء البهية برونقها الزاهي ما سأقوم به من عمل خير (يخرج الجميع).

الفصل الخامس

المشهد الأول

في ساحة أمام منزل لوليفيا

(يدخل قاست وبيان)

بيان : والآن، اذا كنت تحبني، دعني أطلع على هذه الرسالة.

قاست : ماذا تعطيني بالمقابل ؟

بيان : كل شيء.

قاست : لا تطلب مني رؤية هذه الرسالة.

بيان : أنت تصرف ازائي كما لو كنت اهديتك قلبي، ثم طلبت منك

مجددا مكافأة لي.

(يدخل الدوق وديولا وكورير وفرداد الحاتبة)

الدوق : هل أحسم، أيها الأصنفاء، من أتباع السيدة لوليفيا ؟

قاست : أجل، يا سيدي، نحن نخصها كائنات من أنبيائها الكمالية.

الدوق : أنا أعزتك جيدا. كيف حالك أيها القنى ؟

قاست : حالي مع أعدائي أفضل مما هو مع أصدقائي.

الدوق : (المعكس هو الصحيح. تريد أن تقول إن حالك أفضل مع أصدقائك.

قاست : لا، يا سيدي.

الدوق : وهل هذا مقبول ؟

فاست : أصدقائي مبتدئونني ويشبهونني بالحمارة، بينما أعدائي يقولون لي صراحة أنني حملة. حتى أنني بدأت أعرف نفسي بواسطة أعدائي، وبدأت مخلوفاً على يد أصدقائي. فإذا كانت أربع سلبيات تعادل إيجابيتين فيما يتعلق بالتفكير، وكذلك فيما يتعلق بالقبيلات، فإني على حق عندما أصرح بأن حالتي مع أعدائي أفضل مما هو مع أصدقائي.

الدوق : يا له من استنتاج رائع !

فاست : لا، يا سيدي. هذا خطأ جسيم رغم أنك تريد أن تكون من أصدقائي.

الدوق : هذا الأمر لن يزيد حالتك سوءاً. خذ هذه الكمية من الذهب.

فاست : أنا أقبل منك هذا، لذا شئت أن تكون مرافقاً.

الدوق : أنت بذلك تقدم لي نصيحة مضملة.

فاست : دع اللحم والدم، يا سيدي، يطعمان هذه المرة فقط.

الدوق : فليكن ما تريد. أنا موافق على اللجوء إلى الرباء. خذ هذه الكمية من الذهب.

فاست : واحد، اثنان، ثلاثة. هذه لعبة رائعة. هناك مثل قديم يقول : الضربة الثالثة تدمر من كل عصاة. واحد، اثنان، ثلاثة.

الدوق : وعلى هذا الأساس، لن نحسم في شيئا من المال الذي أعطيتك إياه. إذا علمت سيدتك بأنني أنتظر هنا للتحدث إليها، وإذا عدت بمصحبها، قد تستطيع أرميجي أيضاً.

فاست : حساً، يا سيدي. بانتظار عودتي، هدمد أرميجيك. أنا ذاهب. لكنني لا أريد أن تضد بأن رغبتني في التملك هي خطيئة ناجمة عن شهوتي. ومع ذلك، كما تقول، لنضم أرميجيك قليلاً، وسأوظفها حالاً عند الحاجة (يخرج).
(بدّل التصوير بدمى شطاطة معدلة)

فيولا : هذا، يا سيدي، هو الرجل الذي ينادي إلى نجلتي.

الدوق : لذكر جيداً وجهه، ومع ذلك، عندما رأته مؤخراً كان وجهه يطلوه السواد من جراء دخان المعركة. لقد كان ربّان سفينة ضعيفة البنية لاير الشفقة

فصدم أفضل قطعة في أسطولنا. ورغم الهزيمة صرختنا قائلين : المجد والحررة للبطل. ها الأمر ؟

الضابط الأول : يا اورسيو، هذا هو اتطويو الذي استولى على حمولة السفينة وصدم بسفينته أفضل قطع أسطولنا حيث فقد ابن أحيك تيطوس ساقه. وقد عثرنا عليه هنا، وهو يتسكع في الشوارع أثناء مشاحنة خاصة، فألقينا القبض عليه.

فيولا : لقد أدى لي خدمة، يا سيدي، إشتق حسامه للدفاع عني، لكنه وجه لي كلمات غريبة لم أفهمها.

الدوق : أيها الفرسان الشهير، يا فرسان المياه المالحة، أية جسارة مجنونة سلمتكم إلى من جعلت منهم أعداءك في ظروف دموية رهبة ؟

انطونيو : أيها السيد النبيل اورسيو، اسمح لي بأن أرفض الأسماء التي أطلقتها عليّ. لم يسبق لي أنا انطونيو أن كنت قرصانا، رغم أنني، لأسباب كافية، عدو اورسيو لأن حيلة سحرية حذيتني إلى هنا. وهذا الفتى الماكر الجميل، الواقف إلى جانبك، سبق لي أن أنقذته من أمواج البحر الهائج المتلاطم، كان مجرد حطام بشري يائس من حياته، فأعطيته للحياة، ومع الحياة الحب والاخلاص بلا تحفظ وبلا قيد ولا شرط. من أجله، وبدافع من صداقتي الخاصة له، عرضت نفسي للمخاطر في هذه المدينة المعادية وامتدثت حساسي للدفاع عنه، عندما هوجم. واد لقي القبض عليّ بتكرار لي يوحى جبانته ورفض أن يشاطرني محتني، بل أصبح غريبا عني بلمحة بصر. ورفض أن يعيد إليّ محفظة نقودي التي وضعتها في نصرته منذ نصف ساعة تقريبا.

فيولا : متى تم ذلك ؟

الدوق : عندما وصل إلى هذه المدينة ؟

انطونيو : اليوم، يا سيدي، ومنذ ثلاثة أشهر، نحن نحيا معا بدون انقطاع ليلا نهلا.

(لدخل أولييا وسليبيها)

الدوق : ها قد أتت الكونتيسة، وهي ملاك سماوي يمشي الآن على الأرض. أما بالنسبة إليك أيها الصديق، فإن كلامك جنون محض، إذ لم يمش على هذا

التي في خدمتي سوى ثلاثة أشهر. متكلم في الموضوع بعد قليل. فاحفظوا به على انفراد.

لوليا : ماذا تريد، يا سيدي ؟ ولية خدمة يمكنني أن أسيدها اليك ؟
(مخاطب سيزاريو) لم تقب بوعذك يا سيزاريو.

فيولا : سيدي.

الدوق : يا لوليا الجميلة !

لوليا : ماذا تقول يا سيزاريو ؟

فيولا : سيدي يريد أن يتكلم، وواجبي نحوه يفرض علي السكوت.

لوليا : لن أودّ نفس الأغنية، يا سيدي، لأنها باتت ملة ومزعجة على سمعي تماما كسماع الصراخ بعد الموسيقى الهادئة.

الدوق : أنت دائما قاسية.

لوليا : أنا دائما غائبة، يا سيدي.

الدوق : في أي شيء ؟ في فساد الذوق طبعاً. أيها المرأة المتصلبة، ألم أقدم على مذبحك المشؤوم التاجر الجميل، أغز القرابين التي يمكن أن يصورها الرجل المخلص ؟ ماذا عصاي أو أقفل ؟

لوليا : إنفل ما تشاء، يا سيدي، شرط أن يكون لاحقاً بك.

الدوق : لماذا ؟ إذا كنت شجاعاً، لن أقفل مثلاً فعل اللص المصري عندما أشرف على الموت، فأقفل من أحب ؟ أيها المعرورة المتوحشة التي لا تخلو أحياناً من النبل ! اسمعي هذا : بما أنك ترفضين حيي، وبما أنني أعرف الأداة التي تسلب مني حيك لي، فلا بد من أن أجهز على هذا الفتى الذي تحببه، يا صاحبة القلب المتحجر، رغم أنني أحبه. سأنتزعه أمام نظراتك القاسية حيث يربع لإذلال سيده. تعال معي، أيها الخادم، لأضحكي بالحمل الذي أحبه بهذه الحمالة التي تخفي في صدرها قلب غراب (بهم بالانصراف).

فيولا (تبته) : وأنا كلي سرور وفرح، تراني مستعدة لأن أموت ألف مرة كي أصون لك سلامك.

لوليا : ألي أين أنت ذهب، يا سيزاريو ؟

فيولا : أنا ذاهب مع من أحب أكثر من نفسي ومن حياتي ومن أية امرأة. ادا

كنت أكنّب فلما تبني رب السماء على هذه الالهة الموجهة الى حيي.
 اوليفيا : لتزل عليّ العنة، لأنني مغرورة !
 فيولا : من عدحك ؟ من أساء اليك ؟
 اوليفيا : هل نسيت نفسك ؟ هل مضى على ذلك وقت طويل ؟ احضروا
 الكاهن. (يخرج أحد الخدم).
 الدوق (يخاطب فيولا) : تعال.
 اوليفيا : الى أين يا سيدي ؟ سيزلريو هو زوجي، أرجوك أن تتوقف.
 الدوق : زوجك ؟

اوليفيا : أبجل زوجي. هل يسعدك تكرار ذلك ؟
 الدوق (يخاطب فيولا) : أنت زوجها، أيها المحتال ؟
 فيولا : كلا، يا سيدي. كلا أنا لست زوجها.
 اوليفيا : يا للأسف، حقارة خوفك قضت على كرامتك. لا تخش شيئا، يا
 سيزلريو. ابق كما يجب أن تكون، فصبح عظيمًا مثل الشخص الذي تحشاه.

(يدخل الكاهن ومعه الخادم)

أعلا بك أيها الكاهن. استحققت بربك أن تعلن هنا ما تعرفه. كان في بيتنا
 أن نحفظ بهذا السر. لكن مجرى الأحداث كشفه قبل الأوان. أرجوك أن
 تزوي إذا ما حصل بيني وبين هذا الرجل منذ قليل.
 الكاهن : يسعدك عقد لا يمكن انتهاكه، هو عقد الحب الميث بتماسك
 لئلا يكمها، والمتبادل بملامسة شعاهكما المقدسة وتبادل حاتميكما. وقد مهرت
 كل هذا بشهادتي، بحكم ممارستي مهنتي الدينية. ان سامعي يقول لي بأنني
 لم أقدم نحو قري من ذلك الحب سوى مسافة ساعتين فقط.
 الدوق (يخاطب فيولا) : أيها المرآة الصغير، كيف تصبح عندما سيخطب
 للشعب شرك ؟ انتبه للأمور. فخيانة مبكرة مثل هذه ستوقط في نفس
 الشرك الذي تكون قد نصبت لسلوك. وداعا. اتخطها زوجة لك. لكن سدد
 خطاك نحو مكان لا سبل لي ولك ان يلتقي فيه معا.
 فيولا : أنا أحتج، يا سيدي.

أوليفيا : لا قسم، حافظ على أدنى حد من كرامتك، مهما كان غيوك عظيمًا.

(يدخل سير انثويه وقد حلق رأسه)

سير انثويه : أمتحلقكم بالله أن تعصروا لي طيبًا، وأن ترسلوا حلالًا طيبًا آخر إلى سير طويي.

أوليفيا : ماذا جرى ؟

سير انثويه : لقد شج لي رأسي، ولفطخ بالدم شعر سير طويي. أمتحلقكم بالله أن تسجلوني. أريد الوصول إلى منزلي.

أوليفيا : من فعل بك هذا، يا سير انثويه ؟

سير انثويه : أحد نبلاء الدوق، ويدهى سيزاريو. غتناه جيانا، فاذًا به شيطان لعين.

الدوق : التيل سيزاريو ؟

سير انثويه : والله هو، هو بالذات. (يشير إلى فيولا) فقد كسرت برأسي من أجل لا شيء. إذ دفعتني سير طويي إلى القيام بما أقدمت عليه.

فيولا : لماذا تكلمني هكذا ؟ أنا لم أسب لك أي أذى. فاشتقت حسامك في رجبي، دون أي سبب. وكلستك بلطف ولم ألتحق بك أي ضرر.

سير انثويه : أرى أن الشعر المختضب بالدم لا يمتي لك شيئًا.

(يدخل طويي سكران، بقوده ثمت)

ما قد وصل سير طويي، يجز قدميه جرّهُ وسبخرتك بأمور أخرى.

الدوق (يخاطب سير طويي) : ما وراءك من أخبار، أيها الليل ؟

سير طويي : لا شيء. لقد جرحني. هذا كل ما في الأمر. (يخاطب فانت) أيها الأحق، هل رأيت الطبيب الجراح ؟

فانت : هو سكران منذ حوالي ساعة. وكانت حذقاته تقلحان شررا منذ الثامنة صباحًا.

سير طويي : إن ما أكرهه بعد كرهى للرقصة الثلاثية والرقصة البطيئة، هو هذا الوغد السكران.

أوليفيا : عذوه. من أوصلهما إلى هذه الحالة المؤسفة ؟

سير اندريه : سأساعدك، يا سير طويي، ومنضمم جراحا معا.
سير طويي : أقسم، أيها الحمار، أيها المجنون ؟
لوليفيا : مددوه على السريور، واعتصموا بهجرحه. (يخرج فاست وسير طويي وسير اندريه).

سيسيان (يخاطب لوليفيا) : أنا معكم، يا سيدتي، لأنني جرحت قريبك.
لكي لم أكن أستطيع أن أفعل غير ما فعلت للحفاظ على سلامتي. أنت تنظر
إلى بطريقة غريبة، وأرى من خلال ذلك أنني أعتك. سامحيني أيها الحساء
بحق الأماني التي تجمعها.

الدوق (ينظر إلى سيسيان وفيولا) : نفس الوجه، ونفس الصوت ونفس
اللباس، إنما شخصان مختلفان.

سيسيان : انطونيو، أيها الحبيب انطونيو، كم تعلمت منذ أن أضعتك !
الطونيو : هل أنت سيسيان ؟

سيسيان : هل تشك بذلك، يا انطونيو ؟

الطونيو : كيف احرقنا هكذا ؟ إنما أشبه بتوأمين، ألكما سيسيان ؟

سيسيان (ينظر إلى فيولا) : هل أنا أشبه الشخص الواقف هناك ؟ لم يبق
أن كان لي أخ. ولست ممن يتمتعون بموهبة الحضور في كل مكان. كانت
لي أخت ابتلعها الأمواج الفادرة (يخاطب فيولا) ما هي صلة القرى التي
تشدني إليك ؟ هل أنت من مواطني ؟ ما اسمك، وما اسم عائلتك ؟

فيولا : أنا من سيالين، وسيسيان كان والدي. وسيسيان آخر كان أخي
الذي قطع البحر الهائج، وهو يرتدي زياً مثل ربك. فإذا كان باستطاعة
الأرواح أن تنفذ شكلاً وترتدي لباساً فهذا يعني أنك ظهرت لرحمنا.

سيسيان : أنا روح. لكنني أتخذ من الأحشاء أجساماً سميكة أقبض فيها. إذا
كنت امرأة، سأدع مدعي بهمر على وجهك وأصرخ : أهلا بك متى وثلاثاً،
أيها الغريبة فيولا.

فيولا : كان لوالدي علامة فوق جبينه.

سيسيان : وأنا أيضاً.

فيولا : لقد مات يوم أصبح عمر فيولا ثلاث عشرة سنة.

سيمثيان : هذه الذكرى لا تزال حية في نفسي. إذ مات يوم بلغت أختي
الثلاثة عشرة من عمرها.

فيولا : إذا كان العائق الوحيد في طريق سعادتنا المشتركة هو هذا الحفيظ
الذي انتحلت أنا شخصيته، فلا تعاقني قبل أن تساهم ظروف الزمان والمكان
والحظ في إثبات كونني فيولا. ولكي أثبت ذلك، سأصحبك إلى ريان موجود
في هذه المدينة، سنر لي واتسمته على ملايمي، وأنا معينة له بالنجاة، وجسير
انخراطي في خدمة هذا الدوق النبيل. منذ ذلك الحين أنا أمضي وقتي مستقلة
بين هذه السيدة والدوق.

سيمثيان (يخاطب أوليفيا) : يستعج من ذلك أنك كنت مخلوعة، أيتها
السيدة. كنت تريد الزواج من عذراء. وأقسم لك بحياتي بأن ظنك لم يخب
من هذه الناحية، لأنك اقتصرت برجل يتول.

الدوق : لا تبقي مرتبكة. هذا الشاب يتحلى من أصل نبيل. فإذا كان كل هذا
صحيحاً، تسعدني حادثة غرقك. (يخاطب فيولا) أيتها الحاد، قلت لي ألف
مرة أنك لن تحب امرأة مثلما تحبني.

فيولا : وكل ما قلته لك، أريد أن أؤكدك باستمرار، ولي أراجع من تأكيداتني
هذه ما دام الفضاء الفسيح يحتفظ بالشعلة التي تفرق بين الليل والنهار.

الدوق : أعطيني بذلك، ودعيني أبصر لك في زني امرأة.

فيولا : الرمان الذي قادني إلى هذا الشاطئ، يحتفظ بياي، وهو الآن في
السجن بناء على طلب ملفوليو، أحد أتباع السيدة.

أوليفيا : سيطلق ملفوليو سراحه. أحضروا ملفوليو. لكنني تذكرت الآن أنه في
حالة سيئة. يا له من رجل مسكين !

(يدخل ثلث حمله بهد رسالة، يصحب ليان)

لقد أنساني جنونه جنوني (يخاطب فاست) كيف حاله، أيتها الحفيظ ؟
فاست : بعث إليك برسالة، وكان ينبغي علي أن أوصولها إليك هذا الصباح.
لكن بما أن رسائل المجنون ليس لها من اعتبار، فلا يهم أمر وصولها إلى
أصحابها.

أوليفيا : فضّلها وترأفها.

فاست : ستزيد ثقتك عمقا، ما دام المهرج يترجم لك أفكار المجنون (يقرأ بصوت وبحركات غير مألوفة) . بحق السماء، أينها السيدة..

اوليفيا : هل أنت مجنون ؟

فاست : كلا، يا سيدتي. لكني أقرأ حقائق. اذا كنت تريد أن أقرأ كما ينبغي، فعليك أن تدعيني أقرأ بصوت ملائم.

اوليفيا : أوجوك أن تقرأ بعقل.

فاست : هذا ما أفعله، يا سيدتي. واذ أقرأ هكذا، فأنما أقرأ جفيل. وما عليك إلا أن تنتهي، أينها الأميرة.

اوليفيا (تخاطب فايان) : أقرأها أنت، أينها الحظير.

فايان : بحق السماء، أينها السيدة، كفي عن اهانتك إياي على هذه الصورة. فرغم أنك وضعتني في الظلام، وسلطت عمك عليّ، أرى أن عقلي لا يقل رجاحة عن عقلك. وما زلت أحفظ برسالتك التي حدثت لي فيها الهندام الذي ينبغي عليّ أن أرتديه، وبالاتناد إلى هذه الرسالة، باستطاعتي أن أبرر نفسي بسعك أن تفكرني فيّ كفيما تشائين. قلنا أضع الاحترام حائبا، وأتكلم بروحي الالهة التي تليها.

(ملنولو الذي أسيئت معاملته)

اوليفيا : هل كتب ملنولو كل هذا ؟

فاست : أجل، يا سيدتي.

اوليفيا : أطلقوا سراح فايان، واحضروه إلى هنا. (يخرج فيان) يا سيدتي، أقبلني كأخت لك، كما كنت ستقبلني كزوجتك. ولتكنل في نفس النهار، اذا أردت هذا الاتحاد المزدوج، ها مي بيتي وعلى نفقتي.

الدوق : يا سيدتي، أنا أقبل عرضك هذا بسرور لا يوصف. (يخاطب نيولا) سيدك يصرفك من خدمته. لكني لقاء الخدمات التي أدتها لي، وهي خدمات تناقض مزاي جنسك، كما أنها لا تليق بنشأتك، ها أنا أمد اليك يدي لتصبحي من الآن وصاعدا سيدة سيدك.

اوليفيا : متصبحين أيضا شقيقتي.

(يدخل فيان ومع ملنولو)

الدوق : هل هذا هو المجنون ؟

اوليفيا : أجل، يا سيدي، هو بهبه. كيف حالك، يا ملفوليو ؟
ملفوليو : لقد أعتيتي، يا سيدتي، بشكل لا يمكن تصوره، وإهانتك إياي كانت بلهفة.

اوليفيا : أنا، يا ملفوليو ؟ لا، لا.

ملفوليو : أجل، أنت يا سيدتي. أرجوك أن تقرأي هذه الرسالة. لا تستطيعين أن شكري خطك ولا عمتك ولا أسلوبك. والآن أشرح لي، لماذا أظهرت علامات الورد هذه في رسالتك ؟ وأمرتني بأن آتي اليك والبسمة تطو شفتي، وأنا أرتدي جواربي الصفراء، وأن أحترق سير طوبى وخدمي ؟ وعندما أخطتكم، لماذا أذنت بأن أسجى في غرفة مظلمة، وأن يزورني كاهن، وأن أسي أضحوكة لا مثيل لها. نسري لي لماذا فعلت بي كل هذا ؟

اوليفيا : يا للأسف، يا ملفوليو، هذا الخط ليس خطي، أعترف بأنه يشبه كثيرا هذا بدون شك خط ماري، وأذكر الآن أنها كانت تقول من قال لي انك مجنون. أرجو أن تهدئ روعك. أجل هي قول من قال لي انك مجنون. أرجوك ان تهدأ. لقد كنت ضحية خدعة قذرة لكن عندما ستعرف الدوافع والأشخاص الذين قاموا بذلك ستكون أنت الخصم والحكم في قضيتك هذه العرية.

فيان : أرجوك، أيتها السيدة، أن تستمعي لي، ولا تسمح لي لأية مشاجرة لاحقة بأن تفسد علي هذه البرهة السعيدة. وعلى هذا الأساس، أعترف لك بصراحة بأنني أنا وسير طوبى دبرنا هذه المؤامرة بحق ملفوليو تكفيرا له عن بعض التصرفات غير اللائقة التي وددنا أن نلومها عليها. فكنت ماري الرسالة، بناء على الحاح سير طوبى الذي تزوجها مكافأة لها على مساعدتها. ومهما كانت خشونة المهزلة التي عقيت ذلك، فهي تحمل على الضحك لا على الحقد، اذا قابلنا أخطاء الفريفس بطريقة منصفة.

اوليفيا (تخاطب ملفوليو) : يا للأسف، أنت مخلوع مسكين، نالك الكثير من الهزء والسخرية.

فاست (يلتفت الى ملفوليو) : أيتها السيدة، هناك من يولدون عظماء، وهناك

من يكسبون الأرباح اكسابها وهناك من تفرض عليهم الأرباح فرضاً. لقد
 قلت أنا بدور سحر توباً، يا سيدي، ولكن هذا عندي ميان. أقسم لك بحق
 السماء، أيها المجنون، بأنني لا أكذب.
 ملفوليو : سأنتقم منك ومن طغمتك. (يخرج)
 أوليفيا : كم ندموه وكم سخرؤا منه !
 اللوق : الحقوا به واحملوه على المسألة. لم يقل لنا بعد شيئاً عن الشيطان.
 عندما تجلي هذه المسألة، وتأتي اللحظة السعيدة، سيتم زواجنا. وحتى ذلك
 الحين، أيها الأخت العزيزة، لن يفارق هذا المكان. تعال يا سيزاريو. ستبين
 في نظري سيزاريو، ما دمت تتزينين بزيّ رجل. لكن عندما ستزعين عنك هذا
 الزيّ ستصبحين حبيبة لورسينو ومالكه قلبه. (يخرج الجميع)
 فانت (يخفي) :

عندما كنت في
 في الهواء وتحت المطر،
 كان الجنون مجرد عمل صياني
 لأن السماء تمطر كل يوم.
 لكن عندما أصبحت رجلاً
 في الهواء وتحت المطر،
 أصبح كل انسان يقفل بابه بوجه السارق
 لأن السماء تمطر كل يوم.
 لكن، يا للأسف، عندما تزوجت
 في الهواء وتحت المطر
 لم أهد أنجح في الفتحك
 لأن السماء تمطر كل يوم.
 وعندما كنت آوي إلى سريري
 في الهواء وتحت المطر
 كنت أسكر دائماً مع السكرى

لأن السماء تمطر كل يوم.
نعاً العالم منذ زمن طويل
في الهواء ونحت المطر
هذا لا يهم فقد انتهت مسرحيتنا
وسجاول أن نساعدكم كل يوم.

﴿ تمت ﴾

حكاية الشتاء

تعريب

أ.ر. مشاطي

أشخاص المسرحية

ليونتي : ملك صقلية.

ماتيلوس : ابنه، أمير صقلية.

كميلو
 انتيفون
 كليومان
 ديون

بولكان : ملك بوهيميا.

فلورينزال : ابن بولكان، أمير بوهيميا.

لرشيلافوس : نجل من بوهيميا.

روجر : وحيه من صقلية.

لوتوليكوس : نص.

وكيل بولين

مدير المسعى

ضابط عدل

راع عجوز

مهرج : ابن الراعي.

بشار

هرميون : زوجة ليونتي.

برديتا : ابنة ليونتي وهرميون.

بولين : زوجة لتيغون.

اميليا : مرافقة هرميون.

مرافقتان أخريان.

مُيسا }
دركاسي } راعيتان.

الزيمان : بهيمة جوفة إنشاد.

سادة ومسدلات، وجهاء، حجاب، حرم، خلم، رعاة
وراعيات، وُصفااء، قرويون متذكرون بزِّي اصحاب مجون.

الاحداث تجري، تارة في صقلية، وطورا في بومبيا

الفصل الأول

المشهد الأول

في صقلية — داخل حديقة القصر الملكي

(مدخل كميليو وأرشيداموس)

أرشيداموس : إن كعب لك نصيبك، يا كميليو، إن تزور بروهميا في سيل
خدمة كالتي تشغني إلى هذه الديلة، ستري، كما قلت لك، مرقا شامعا
بين بروهميا وبلادك صقلية.

كميليو : أعتقد بأن ملك صقلية يتوي في الصيف القادم إن يرد زيارة أخيه
في بروهميا، كما تقضي أصول اللياقة.

أرشيداموس : إذا كانت صياقتنا لا تعجبك، فإن مودتنا لك تشفع بنا لديك
لأننا حننا...

كميليو : أنوسل اليك...

أرشيداموس : أعترف لك حقاً، بكل صراحة وقناعة، بأننا مقصرون في تقديم
فروض التكريم والتخيم لشخصك العالي، لأننا، ولا أدري كيف أعبر لك
عن شعورنا... سنقدم لك شراباً منوماً كي لا تنتبه حواسك البقطة إلى عجزنا،
لا طمعاً بشاؤك علينا بل للاهتمام بفاضلك وعفوك عن علم قيادنا بكل
ما يلحق بك.

كميليو : اراك ترد لي بأبهةظ الايمان ما أسديت اليك بدون كلمة.
أرشيداموس : صدقي، انا لا انطق الا بما توجه اليّ معلوماتي وما يملئني
عليّ راجبي.

كميليو : لن تقي يوما صقلية ما لوحيها عليها من ديون المودة والتضامن.
لان ملكيها قد ربا معا في ايام حداقتهما، وبينهما من صلوات المودة والتقدير
ما لا تقوى ثقلبات الزمان على زرعته نظرا لرؤسحه في ذهنيهما كالطود
الأشّم. فمنذ انفرق جلاقيهما عند فضوحهما، وزولا عند متطلبات مملكتيهما،
لم تنفك علاقتهما، وإن على صعيد غير شخصي، عن ان تتواصل بواسطة
الموفدين وتبادل الهدايا والرسائل عن طريق السفراء الى حد جعلهما رغم
غياب احدهما عن الآخر، يظنان كأنهما لا يزالان مجتمعين، لم تباعد بينهما
المسافات الطويلة. فكانا يتصافحان بواسطة المندوبين رغم بعد المندى
ويتماثقان، ان جاز التعبير، من وراء الآفاق المسحقة، بكل محبة واعتلاص.
وقى الله صداقتهما من كل شائبة.

أرشيداموس : أعتقد بأن لا مجال مطلقا لأي بحث او رزء في الدنيا ان
يحول دون استجاب هذه الأواصر الطيبة من التعاضد والتعاون بينهما. وهذا
من دواعي السرور لك ولنحملك الامير ماميلوس الذي لا يفوقه وجهه في
بلاطك حكمة وحكمة.

كميليو : انا أشاطرك آمالك فيما يتعلق به. فهو ولد لائق وأمير شهم يملأ
قلوب رعياه عطفا ولوتياحا، حتى ان من كان يستعين منهم بمكائز، عند
مولده، يتحنى اليوم ان يحيا الى ان يراه في يافعا مكتمل الرجولة.

أرشيداموس : بتعبير آخر، يموت وهو قديم العين.

كميليو : الا اذا كان له غير هدف ليحيى مدة أطول.

أرشيداموس : لو لم يكن للملك ابن، تسمى الجميع ان تطول ايامهم ويمشون
على المكائز حتى يمزق ولي عهد.

(مفرجان)

المشهد الثاني في صقاية - داخل القصر الملكي

(يدخل ليوتي وولكسان وهريون وبليديوس وكيليو وبعض رجال الحاشية)

بولكسان : تسعة نفورات في الكركب التي قد عدّها الراعي منذ أن عادت عرشي. وستغرق تشكراتي وقتاً أطول، يا اني، دون أن يتسنى لي عند مفارقتي بلاطك، أن أفني بجزء مما أنا مدّين به لك إلى الأبد، من جميل الترحاب وحسن الضيافة. لذا يجدر بي أن أضف صفراً إلى بحسن تشكراتي التي لا تحصى، لقاء ما أهدته عليّ من جود وإكرام. ورغم مضاعفتي هكذا عشرات الثمرات، أراني مقصراً حال جزيل لطفك وسخائك.

ليوتي : أجل شكرك قليلاً إلى حين رحيلك.

بولكسان : أنا سافر عدا يا مولاي. لأنني قلق على ما قد يحدث أثناء غيابي. أقمى أن لا تهبّ على بلادتي رياح تضطرتني إلى القول: إن اعتراضاتي كانت في محلها. ثم إن مكوثي عندك طال إلى حد سبب الحناء لجلالتك.

ليوتي : إن عمتي لا تزال قعساء، يا اني، فلا تحسني ممن ينال منهم التعب.

بولكسان : حقاً، لا يعني أن أبقى يوماً واحداً آخر.

ليوتي : أرجوك أن تمكث أسبوعاً أيضاً.

بولكسان : لا، لا. لا بد لي من الرحيل غداً.

ليوتي : إذاً لنقسم الفرق مناصفة، ولا أقبل لأمر ذلك غداً.

بولكسان : أرجوك أن لا تخرجني هكذا. فليس في الدنيا من كلام مؤثر يستطيع أن يستميتني أكثر من ألفاظك الرقيقة. إن كنت فعلاً مصراً على استبقائي عندك، فلن يعني أن أرفض طلبك. لكن أعمالي تستدعي رجوعي سريعاً إلى مقرّي. إن تشبك باستبقائي في ضيافتك يجعل من مودتك كرامة عليّ ويصبح مكوثي هنا مضرّة لي وإزعاجاً لك. فلكي نكون كلانا راضين ومرتاحين، عليّ أن استودعك الله، يا اني.

ليونتي (الهرميون) : ما لك ساكنة، أينها الملكة؟ تكلمي.

هرميون : قصدت، يا مولاي، ملازمة الصمت حتى تمكن من الحصول على وعد منه بالبقاء. فأنت، يا مولاي، نلح عليه يبرود. قل له أنك واثق بأن الأمور مي بوهيميا تسير على أحسن ما يرام. وهذا التأكيد يدعّمه آخر رسول قادم من هناك. قل له ذلك فيقع ويمدّد اقامته مطعّن القلب.

ليونتي : جميل قولك، يا هرميون.

هرميون : وإن تمحّج بأنه مشتاق إلى مشاهدة ولده، فهذا امر لا يحتاج إلى نقاش، واصبروه على كافٍ لطبّ إن شاء. وإن أقسم بذلك، فأنا لن ألبّيه فيما بيننا، بل أرى لزماً علينا حينذاك أن نشجّعه على الرحيل ونضطرّه إليه، ولو اقتضى لدفعه استعمال المقل. (بولكسان) ها أود أن تتخطأ بفاتك عندما اسموعاً آخر على الأقل. ونحن تستقبل جلالتك في بوهيميا سأسمح له بأن يمكث عندك شهراً زيادة عن الوقت المحدد لعودته. على كل حال، كن واثقاً، يا ليونتي، بأنني لن أهبك ذرّة واحدة أكثر مما يجب على المرأة أن تهري زوجها. (بولكسان) مهل نويت أن تبقى؟

بولكسان : كلا، يا سيدتي.

هرميون : لا، بل سبقي.

بولكسان : حقا، لا أستطيع.

هرميون : أخفا؟ أنت تمنعني البقاء بحجج مائعة. لكنك مهما حاولت أن تضنّ حلفائك من دعم، لقول لك أن كلمة «حقا» التي تلفظها سيّدة تعادل في قوتها ومفعولها نظيرتها يلفظ بها مولاي خطير مثلك. فهل أنت لا تزال مصمّما على الرحيل؟ تصرّف كما نشاء. إنما ستضطرني هكذا إلى حجز حريتك إما كضيف، وأما كأسير. وعلى هذا الأساس يترتب عليك أن تدفع فدية قبل أن تنطلق وتوفر على نفسك سبلا من الشكر. فماذا نحتاج؟ أن نكون ضيفي أم أسيري؟ فموجب قولك «حقا» عليك أن تكون هذا أو ذاك. بولكسان : أفضل طبعاً أن أكون ضيفك، يا سيدتي. إذ أنني عندما أصبح أسيرك أكون عرضة لاهانة يصعب عليّ ارتكابها كما يصعب عليك أنت أن تلوميني عليها.

هرميون : لذا لن أكون سبائكك بل مضيقك السخية. دعني أستفسر عن
الأكوخ التي كنت أنت وزوجي تقيانها أيام طموحكنا، وتبدوان فيها كسبيين
وسبيين.

بولكسان : ابنتها الملكة الرثمة، كنا صبيان لا يريان في المستقبل إلا عداً
مماثلاً للأسمى، وبظننا ان الحداثة تقوم الى الابد.

هرميون : أولم تكن أنت، يا مولاي، المشاغف الأكبر بين كليكما؟
بولكسان : لا بل كنا كحماطين توأمين نجري ونفتر في الشمس، وبني
احداً للآخر بيساطة وبراعة جامعين كل ما يمت الى الشر بصلة لا نتصور
ان في الدنيا من يعرف بوجوده. ولو كنا واصلنا حياتنا على هذا المتوال،
ولو لم يحسن ذهننا الساذجين دم أحسن من دمنا، لكنا اجننا بشجاعة
على هذا الاتهام بأننا غير ملينين الا في ما يتعلق بالجرم المشهود.

هرميون : أستعج من هذا الكلام انكما تحترما بعد تلك المرحلة.
بولكسان : في الحقيقة، يا سيدتي الكريمة، منذ تلك الفترة تولدت الاغرايات
في صدورنا. اذ يوم كنت صغيراً، كنت زوجتي لا تزال طفلة وكان شخصك
العزير لم يسترع. بعد أنظار زبيلي الصغير لمن.

هرميون : رحماك اللهم! ارجوك يا مولاي ان لا تستعج اية فكرة غفية.
والا اذعيت اني انا وزوجتك كنا من العماريت. مع ذلك، نحن على أتم
الاستعداد لان نكون مسؤولين عن الاخطاء التي زبينا لنا ارتكابها، بشرط
ان نكون ذنوبكما لبصأت بصحبنا واكملت مما فقط، بدون ان تشركا
في ارتكابها معكما بنات حواء سوانا.

ليوتي (لهرميون) : هل اتخذ قرره اخيراً؟

هرميون : أجل، سيدي، يا مولاي.

ليوتي : عندما طلبت انا منه ذلك، لم يقبل. حقا، يا عزيزتي هرميون، لم
يكن رفع حديثك ابداً أكثر ملازمة منه في هذه الساعة.
هرميون : ابداً؟

ليوتي : نعم ابداً. ما عدا هذه المرة ومرة اخرى.

هرميون : ماذا تقول؟ هل تكلمت جيداً مرتين فقط في حياتي؟ ومنى كانت

المرّة الأولى؟ أرجوك ان تعلمني، ولا تبخل عليّ بالثناء، بل دعني أضع زهواً كالديك. ان عملاً صالحاً مهلاً يجر وراءه ألوقاً من أمثاله الى عالم السيان. فالأطراء للمرءة هو هي نظرها أتمن مكافأة. وهكذا نرانا تندفع الى المجري الف فرسخ لقاء قبة عذبة، ولا محال لجعلنا مشي ميلاً واحداً بوخر المعمار. نعد الى حيث كنا. ان آخر عمل صالح قمّت به هو التناسي منه ان يبقى. فما هو عملي الصالح الاول؟ هكذا خيل اليّ اني فهمت منك، فهل هناك من التباس؟ ام اني أسأت الفهم؟ تقول اني أجعلت النطق في مرة سابقة؛ أليس كذلك؟ فعني كان هذا؟ وفي اية مناسبة؟ أرجوك ان توضح لي تلميحك لاني اتوق الى معرفة ما ترمي اليه.

ليونتي : حسناً. كان ذلك بعد ثلاثة اشهر من انتظاري المرمي، الى ان مددت اخيراً يدك اللطيفة الناعمة الناصعة البياض الى يدي، حين بحث لي فائلة في آخر المطاف: «انا لك الى الابد».

هرمون : هذا التصريح، كان حقاً اجمل ما فهمت به في حياتي، وكما تلاحظ، أجعلت النطق مرتين: في الاولى، وبحت ملكاً كزوج طوال العمر، وفي الثانية: صديقاً لا أشك في وفائه.

(تدبّر يدعا الى بونكسان).

ليونتي (على حدة) : جميل جداً. فالحلظ بين الاستطلعات الحميمة هو تمازج بين الأشخاص ايضاً. وهذا برعد فرائصي ويرقص قلبي لا من الفرح بل من القزع والريبة. اذ يتسنى لليلة ان تسمير سافرة الوجه، ويمكن التسامح فيها الى بعض حدود حسن النية والكرم وطية القلب بدون اية اساءة، كما أفترضه وأتقبله. كما يلوع حد مصافحة اليدين والشد عبي الانامل، كما هو الحال الآن، وتبادل البسمات والنظرات المبطنة، واثارة التهديدات كأنها صيحات في مطاردة عزال اثناء الصيد، ففي الحقيقة، هذه المجاملات لا يرفاح اليها قوّادي ولا تعلّي جيبي. هل انت فعلاً ولدي من صليبي، يا ماميلوس؟

ماميلوس : أجل، يا مولاي الكريم.

ليونتي : أحقاً هذا هو وريثي وولي عهدي؟ كيف وسّخت افكك، يا عزيزي؟

يقال انه نسخة طبق الاصل عني. ارجوك ايها الغلام، ان تحافظ على ستر عورتك، قصد القول ان تظل مشكور السيرة فيها الامر الصغير. لأن الثور والبقرة والمجمل كلها بطبيعة الحال من ذوات القرون. (ينظر الى بولسكان وهرميون) هو لا يزال يربت على يدها. (لمانيوس) ايها الرجل الوقح، هل حقا انت وعلي؟

مانيوس : اجل، يا مولاي، ان شئت ان اكون انا هو. ليوتي : تنفصك رأس غير منسق وأطراف كأطرافي لتشبهني تماما مع ذلك، يقال اننا كلانا تشابه نظير يرضين. هكذا تقول النساء عندما يصفنا. لكنهن مهما كنّ غشاشات نظير أسود الصباغ والهواء والماء، غداعات نظير زهر اللب الذي يتساه الماكر عندما يريد وضع حد بين ما يخصه وما يخص سواه، ظن يكون الحق ابدا بجانبهن في تأكيدهن ان هذا الاين يشبهني. هيا، ايها الغلام، انظر الي بعينك السماوية، يا عزيزي الرذيل الحلو، يا ملقة كيدي، هل يتسنى لوالدك ان... هل هذا ممكن؟ ايها التخيّلات، ان خنجرك يطمس رجولي في الصميم. هل يصبح المستحيل ممكنا؟ انت تخطئ بين الحلم واليقظة. فكيف يجوز ذلك؟ انت تمزج بين الوهم والحقيقة وتزج افتراضاتك في وحدة المدم. أفلا يمكن ان تكون افكارك مطابقة للواقع؟ ها هي الان امام ناظري، اشعر بها كحقيقة ملموسة لا تقبل الشك. وهذا ما يشئت افكاري ويضعف عواطفني ويندى له جيني عارا.

بولسكان : ما بال ملك صقلية شارد النهن؟

هرميون : يبدو عليه انه مصاب قليلا.

بولسكان : ماذا تشع يا مولاي؟ وكيف حالك يا أعز أخ لي في الدنيا؟ هرميون : يظهر عليك بعض القلق. فخل هناك ما يكدر صفو خاطرك، يا مولاي؟

ليوتي : كلا. لا شيء. ان الطبيعة نهذاً احياناً بشاعرتنا واحساساتنا حتى لتكاد تسخر بنا وتجعلنا أضحوكة لقصة المفلوب. عندما أنصحهص ملامح وجه ولدي، بخيل اليّ اني ارى ذلتي كما كنت قبل ثلاثة وعشرين عاماً وأراني بدون سروال رسمي لايسا سترني المخملية الخضراء، وعلى جنبي خنجري

المقلف بقرابه خوفاً من ان يجرحي ويؤذي، كما هو حال كثير من الزخارف،
وأَسْأَلُكم كم انا اشبه هذا الصبي، هذا الغرّ، بل هذا الأمير الصغير المرفيع
الشأن. (لماييلوس) يا صديقي النبيل، أيمكنك ان تخطيء بهواة وتسدل
المصباح المنير بقرعة جافة؟
ماييلوس : انا أفضل القتال، يا مولاي.

ليونتي : أنت تقاتل؟ وهل لك هذا المحظ السعيد؟ (بولكسان) يا اخي،
هل انت عالم حتى الجنون بحب ابنك الأمير، كما هو حالي حيال ولدي؟
بولكسان : في نظري، يا مولاي، هو كل كياني، وكل فرحي وكل همي.
هو تارة صديقي الحميم وطوراً عدوّي اللدود، هو مزاحمي كما هو حارسي
ورجل دولتي. هو كل ما في الدنيا، ولا يستبعد ان يجعل أطول أيام الصيف
كأنصر ايام الشتاء، وبأهواله الصيابة يدد احزائي المصيبة التي تكثف دمي.
ليونتي (يشير الى ماييلوس) : مرافقي هذا يمارس حيالي عين الوظيفة التي
تحدث عنها. ضمن تنزّه كلاتا معاً، ولأجله أرتضي سلوك طريق الخطر...
ارجوك، يا هرميون ان ترينا مقدار محبتك لنا في استضافة اخيك، فلا تضي
عليه بأغلي ما في حقلية وامترعصي في سيله كل نفس. لانه بمدك وبعد
ولدي الصغير سيكون وريثي العتيد المحبوب.
هرميون : ان شئت ان تنضم إلنا فنحن ننتظرك في الحديقة، وكل امنا
ان نوافيا.

ليونتي (بولكسان) : ندير امرك كما يحلو لك. ستفارك على كل حال اذا
بقيت تحت سمانا. (على حدة) انا الآن اصطاد في الماء العكر، وان لم
تروا كيف ألقي شبكي. هيا هيا (يراقب بولكسان) يا للهول كيف تمد
لها يديك وشفتيك ابها المحال. بماذا تدرغ لاستباحة حرية المرأة في
حضور زوجها السموح. (يخرج بولكسان وحاشيتهما) ها هم قد ذهبوا
ليخصوا في الاحوال حتى الركب. وأنا الزوج المخلوع آخر من يعلم.
(لماييلوس) انصرف الى لعبك ابها الصبي. اللعب، هوالدتك تلعب، وأنا ايضا
ألعب، وأقوم بدور مخجل الى درجة ان الخاتمة ستلقي ككفن من العار
والاشمزاز والسخرية امضي الى لعبك، يا ولدي. فكم من زوج مخلوع

نظري، اليوم وفي كل حين، يتأبط ذراع زوجته، حتى في هذه اللحظة، بدون أن يدري بأن غيبه أرعى لها الحبل على القارب وتفسح المجال لجاره أن يصطلا في الماء الأسر ابتسم، يا مولاي، لذكر جارك. أجل، هناك تمزية أستخلصها من قولك لي أن غيري من الرجال لهم أيضا ابواب، وإن هذه الأبواب تفتح مثل ابوابي بدون رصاصهم. لو أن جميع النساء الفائرات حسن لضاع عشر البشرية مدى، ما دام لا دواء لهذا الداء القوي. لأننا في هذه الدنيا نخضع جميعنا لقدر غاشم هذا، يصح المجال لسيطرة كل متحير مضطرب مستبد يكل لي الصدمات من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب، حيث اتا موقر بأن لا حدود لجشع البطون فيتسنى للملوك الدخول والخروج بسلامة وعتاده على هؤلاء. هناك ملاين يتنا مصابون بهذا المرض المضال، وهم لا يعلمون. فكيف حالك أنت، يا ولدي؟

كاميلوس : أنا مثلك تماما، على ما يقال.

ليونتي : هذه تمزية كبيرة لي. (يلمح كاميلو) ماذا أرى؟ كاميلو هنا؟
كاميلو : أجل، يا مولاي الكريم.

ليونتي : انصرف إلى لعبك، يا ماميلوس، فأنت في شريف. (يخرج ماميلوس)
هو أن كاميلو، السيد الخطير، ينوي تمديد اقامته في ربوعنا.
كاميلو : لقد عانيت الكثير حتى حلت دون صحبه مرسانه للاقتلاع، وهو يحاول أن يسهبها كلها ماينت انت في رحيله.

ليونتي : هل لاحظت ذلك.

كاميلو : لم يشأ أن يبقى عندما طلبت منه أنت أن يمدد اقامته، وتفرع بأن اصاله تستدعيه بالإحاح.

ليونتي : أجل، لاحظت هذا. وما هو يتمم ويهمس علي: إن ملك صقلية هو... كذا وكذا. وسيفرضني وقت طويل كي أبلغ كل هذا. ما الذي أفتع كاميلو بالبقاء؟

كاميلو : أفضل كله للملكة الرصينة.

ليونتي : لا أتكبر فضل الملكة. لكنني هنا يصعب عليّ مجازاتك على الامانة، لأنها في الواقع مفقودة. ولا أدري إن كان غيري يدرك ما نخشى حتى

مجرد التفكير في احتمال حدوثه. ففطنتك المتسلطة لا تأبه للتجوزات
السجدة. وأظن ان هذا الأمر لا يفوت الذهن الثاقب والمتنصر البعيد النظر.
اما العامة من الناس فقد لا يرون من غرابة في ما يجري حولنا.

كميليو : ماذا يجري، يا مولاي ؟ أعتقد بأن أغلب الأصحاب قد علموا بأن
ملك بوهيميا قد مدد اقامته في ربوعنا.

ليونتي : ماذا تقول؟

كميليو : مدد اقامته هنا.

ليونتي : نعم ، ولماذا؟

كميليو : ارضاء لسموك، ونزولا عند الحاج مولائي النبيلة الراقصة.
ليونتي : نزولا عند الحاج مولائك... نزولا عند الحاجها. هذا يكفي. لقد
اكتسبت يا كميليو على أعز اسرار قلبي وحياتي. لانك كنت المرشد الذي
ظهرت نفسي، وكنت اغادرك كالمذنب التائب. غير اني انتظأت في وضع
قذرتي في استقامتك او بالحرى ما ظننته فيك من صلاح.
كميليو : معاذ الله، يا مولاي.

ليونتي : انا الق بك اكثر من اللازم. عانت لست وفاء، وان كنت تتظاهر
بالاخلاص. انت جبان، طعنت الامانة في الحفاء لتمنعها من سلوك السراط
المستقيم. لذا يجب علي ان اراقبك كخادم مشتبك بشقي ورصاي، لكنك
شديد الاهمال ولن تحفظ بهما طويلا، لو كفتي يراني اسحب ثروني الطائلة
من ايدي الفاشلين ويحمل تصرفي على محمل الهوس.

كميليو . مولاي الجليل، قد اكون مهملا وغيبا وجباناً. اذ لا احد يخلو
من هذه العنقاص، ولا مجال لان يكون واقفا في غمرة أحداث هذا العالم
التي لا تحصى، بأن لا تظهر في شخصه بؤادر هذه المعايير فان اتفق
لي ان اكون في امورك مهملا عن عمد، فهذا يعدّ مني حماقة لا تتغير.
وان صدر مني بعض الحقن فهو من باب الاهمال ولا يقام وزن لتبعته.
وان غشيت اتيان عمل شككت بجاحه وتبثت خطره فهذا لا ينجو به
أرصد الغفلاء. هذه يا مولاي، شوائب مقبولة لا يخلو منها اي ولاء. لكنني
أكتس من جلالتك ان تكون اكثر صراحة حيالي، وأرجو ان تبين لي

المحط الذي ترميني به، كما تراه بوصوح كي أقيه عني لأنه حتما ليس صادرا عني.

ليوني : ألم تبصر كميليو؟ لا بد من أن تكون شاهده، وإلا لكنت نظراتك أغلظ من قرينة عن الرجل المصدوع. ألم تسمع ما يقال؟ فأمام المشاهد الاغلاة لا سبيل للاشاعات أن تكون حرساء. ألم تخافرك العظنون — ولا تسر أب لا وجود للفكر في رأس غير المؤمن — بأن زوجتي غير رقيقة. إن كنت نفر بذلك، عليك أن تحترف به. وإلا، إذا كنت تنكر بوقاحة أن لك عيونا وآذانا وأفكارا، فلا زوجتي غرس من خشب، وهي تستحق اسمها يخلع على أحقر مستهتره تستلم قبل عقد عخطونها. غل هذا، ونوسع في الموضوع بلا تردد ولا وجل.

كميليو : أنا لا أقبل بالمكوث هنا لأسمع ما يسود صفحة مولاي المكلة، بدون أن أثار لسمعتها هورا. لتصب اللعنة على رأسي إن سكنت عما تذيبه انت بسحقها من كلام بديء يشكل تكراره ذبا أظلع من المعصية ذاتها لو صبح وتوعها.

ليوني : أوليس مريا أن يتحدث اثنا بصوت خافت؟ وأن يستدعي خدا إلى عهده، وأن يلاسن انف الواحد انف الآخر؟ وأن تنهات الشعلة في قبلات مغيرة؟ وأن تخطط البسمات العريضة بالتهديدات العميقة كدليل فاضح على انهيار الفضيلة؟ وأن تلفف الرجل على الساق، وأن يختفي مشتاقان في الزوايا وأن يتحنيا لو تسرع مسيرة الزمان. فصيح الساعة دقيقة والظهر يحسي مستصف الليل، وأن تصاب الأنظار بالعمى، فلا يشاهد الجرم أحد. وإذا كان كل هذا لا وجود له، فالعالم أجمع إذا وما فيه ليس له وجود، والسواء التي تلووه ليس لها أيضا من وجود. وكذلك زوجتي تكون غير موجودة إن لم يكن لكل ما عدته لك الآن أي أثر في الوجود.

كميليو : حسنا، يا مولاي، اطرد عنك حالا هذه الخواطر السيئة لأنها تشكل على صحتك الملاح الاخطار.

ليوني : مهما كان الحال، فهي صحيحة.

كميليو : كلا، كلا، يا مولاي.

ليوتي : بلى، هي صحيحة. وأنت غرأوع، لأنك منافق، يا كميلو. ولذا
أنا أكرهك، لأنك غبي أحمق ودشاس بلا ضمير، لا تميز بين الخير والشر.
فإن كان إيمان زوجتي فاسدا كحياتها، فلن نحيا أكثر من ضرة تآثر الرمل
في السملة.

كميلو : ومن ذا الذي أفسدها؟

ليوتي : من يملقها كمدالية في عنقه، هذا البوهيمي الذي... لو كان حولي
عندكم أوفياء تسهر عيونهم على سعادتي كما يهتمون بمكاسبهم ومصالحهم
الخاصة، لما وصلت بنا الأمور إلى هنا. أجل، أنت الذي تسقيها وتسكرها،
أنت الذي تشعلك من الحميم ورسلك إلى مصاف ذوي السلطان، أنت
الذي تعلن بوضوح من علباء سمالك ما يجري على الأرض، كما تبصر
من الأرض ما يتلألأ في كبد اللبنة الزرقاء، كم أنا مستاء من تصرفك، لأنك
تخرج كدوس من تنشي من راحة الخمرة التي أعتبرها أنا إكسيرا لقلبي
الجريح.

كميلو : مولاي، وإن استطعت أن أفعل ما تهمني به، فإن ما أسقيه من
شراب خفيف النشوة، سلس لطيف يشرح الصدر، لا كالمسم القاتل معموله
يغضخ. لكنني شخصياً لا أظن بأن شرف مولائي قد تدهور إلى مثل هذه الهوة،
وقد عهدنا فيها الوقار... لا سيما أنا الذي اخلصت لك الفرد إلى أبعد الحدود.
ليوتي : لا بل عليك أن لا ترفع عنه الشبهات، وأنت لست عرياً عنها.
أنتخالي مفعلاً عديم الإدراك، ترجئي هولجسي بدون داع في مستقع هذا
العذاب؟ وأن ادع اشواك الظنون تقض مضجعي وتطغخ بياض صفحتي التي
حرصت دائماً على حفظها نقية من كل الأرجاس كي لا تلغضي الافاعي
والعقارب، ولا تلوث أقدار الفضيحة دم ولدي الأمير الذي أعتقد بأنه من
صلي وأخيه أكثر من نفسي. لولا البراهمين المظلمة التي ألمسها، أتظنني أشغل
بالي بالتراضات تافهة وأشتت إككاري بترهات لا طائل تحتها؟

كميلو : عليّ أن أصدقك، يا مولاي. لذا سأسمى بكل طائفي لازالة ملك
بوهيميا من الوجود، بشرط أن تشمل الملكية حلالاً بعد غيابه، بمن وعائتك
وعطفك كالسابق، لا لحجة سوى كمّ الامواه عن نهش صبت ولدك واخراس

الالسة الطويلة في البلاطات والمصالح المعروفة بالولاء لشخصك الكريم.
ليوتي : وأنت هذا ينطبق تماماً على ما كنت أؤكد العزم على القيام به. وأنا
أنوي أن أزيل أيضاً كل غبار عن شرمها الذي كان من المفروض أن أعزّه به ؟
كميليو : هيا، يا مولاي، أظهر لملك بوهيميا والملكة زوجتك أسعى معالم
وجهك المشرق كأنك في أبهى أيام افراحك وليالك الملاح. انا خادمك
الامير، ان لم أسمه كأس الجمل، لا تحسبني من أتباعك المخلصين.
ليوتي : كلّي. ثم ذلك ولك كل مودتي وعرفاتي بهجلك، وإلا حكمت
على نفسك بالخزي والنفى.

كميليو : انا أعهد لك بتفدي رغبتك حرياً، يا مولاي.
ليوتي : هذا اعتبار لما تحفظه لي من صداقة، وأنا واثق كل الثقة بأمانتك
وبصواب نظرتك

(مخرج)

كميليو : يا لك من ملكة شريرة! لكن في أي مأزق رجعت نفسي؟ على
ان انقضي بالسب على بولكسان الكريم وداعي الى اقتراف هذا الاثم، هو
المحصوع لمشيئة مولاي الذي يأتي لأهوانه الا الامتثال لاهوائه المسببة.
ان سري في ركابه غير صمان لرتقتي. فكيف أنسى ان الاتي ظلي بين
الناس من باع سيده وازدعرت احواله فيما بعد. ضميري ليس مرتاحاً الى
هذا العمل المشين، انما هناك ليس من نحاس ولا حجر ولا ورق ليقوم
دليلاً على هذا الصنيع. ألا قُبْح الله الطمع، لا بد لي من مفادرة البلاط،
ان تم الامر لو لا، لانه في الواقع ورطة جسيمة. يا نجمة حظي ان لك
ان تلمعي، فلي ملك بوهيميا اذنا.

بولكسان : امر غريب عجيب. يبدو لي ان نجم طالعي يهوي ويسيل الآن
الى الأفول. ألا نكلنسي؟ نهارك سعيد، يا كميليو.

كميليو : السلام عليك، يا صاحب الجلالة.

بولكسان : ما ورائك من اخبار البلاط؟

كميليو : ليس من امر هام، يا مولاي.

بولكسان : ان من يشاهد الملك يظن انه فقد مقاطعة من اراضيه، عزيرة

جدا على قلبه. لقد قابلته منذ لحظة بالأجلال المعتاد. فما كان منه إلا أن أشاح عني بأظفاره الزرداء كأنه يتهرب مني ويريد أن يفهمني أن ما يحول في خاطره قد تحول عني.

كميليو : لا اجسر على معرفة ذلك، يا مولاي.

بولكسان : كيف لا تجسر؟ ألا تلوي بما يخافه من وساوس؟ لا أنظرك تجهل ما يربك تفكيره. هذا ما يستشف من اجونك. لاني واثق بأنك مطلع على غفائا الامور، ولا يسعك ان تصرح بأنك لا تجسر على الجرح بسر مكتوم. عززي كميليو، ان تبدل ملامحك الان برهان قاطع على ما طرأ من تحول على امكلمات جلالته، ولا أشك بأن لي في القصة نصيبا لا بأس به، ما دمت انا قد تأثرت هكذا بهذا الوضع الجديد.

كميليو : هناك شر، زرع بدور الفوضى فيما بيننا. غير اني لا اقوى على تعين العلة، ولا بد من ان تكون قد سرت عدواها منك، مع ما تستمع به انت من صحة وعافاة.

بولكسان : كيف سرت العدوى مني؟ لا تنسب اليّ منشأ هذا الصغير. ان عبي وقعت على ألوف الاشخاص فيما مضى، ولم تنقص مقدار ذرة من حسن حالهم، ولم تصب احدا بأي اذى. فاذا كنت، يا كميليو نظيري، على يقين بأنك رجل شهم، واذا كنت بخيرتك ورصانة سيرتك التي يتجلى بها نبلنا نظير الاسم الكريم الذي خلفه لنا أجدادنا الأماجد، أتوسل اليك، مهما كنت تعرف القليل عما جدّ، ان تعلمني به ولا تتركني سجين جهلي الخجول لما يجري حولي.

كميليو : لا يسمي ان احبك يا مولاي.

بولكسان : نقول ان العلة كائنة فيّ، وان كنت انا مليا ممانى. هذا يستوجب ردا. اسمع، يا كميليو، أستحلفك بكل عزيز لديك وبشرفك كإسان لا تنفصه الشجاعة والبرودة، وأتوسل اليك ان تكشف لي عما بدر مني من اسائة، من قريب أو من بعيد، ويدون علمي، فليت بيننا موازين المواقف التي أتمنى ان تعود الى سابق عهدها.

كميليو . سأعلمك، يا مولاي، بما انك تستحلفني بشرمي وبمن يبر عليّ

شرها كثيرا. انما اتبه جيدا الى مصيحي التي آمل ان تبجها بهذا فبرها
وبأسرع وقت ممكن. وإلا اضطررنا، انا وأنت، الى الهجاء: «أسماء لقد
ضاع ما كل امل ه. وعلى هذا اقول لك: عمت مساء.

بولكسان: تكلم، يا كميلو، ولا تخف.

كميلو: انا الرجل المكلف بقتلك، يا مولاي.

بولكسان: ومن الذي كلمك بذلك، يا كميلو؟

كميلو: الملك نفسه.

بولكسان: لماذا؟

كميلو: لانه يعتقد، ماذا اقول؟ بل يقسم جازما بأنه رآك او بأنه نجس
عليك، في استهتارك عندما اتصلت بالملكة وأشركتها بجهنك في مفامرة
مجنونك.

بولكسان: لو صح ذلك، لتمنيت ان يتحول دمي الى ألفر ماء آسن، وأن
يقترن اسمي بوصمة من خان العادل اللئيم، وأن تصبح سمعتي العاطرة أكثر
ثقلًا من جبهة يهرب الجميع من نتائنها الكريهة حيثما توجهت وأينما حلت.
فتجنسني الناس كالأجرب ويزدولوني كالشيطان الرجيم على مدى العصور
حسبما تقتضيه تقاليد التاريخ.

كميلو: مهما قسمت له من ايمان مخلفة على عكس ما هو متوقع به
كروافع اكيد، واستشهدت بجميع كواكب السماء وثيرانها، يظل خضوع البحر
لناموس جاذبية القصر أسهل من زعزعة ايمانه بما يخافه في اخلاصك من
شكوك جنونية مهينة قد قفلت الى أعماق صدره ولا سبل الى اقتزاعه
ما دامت في عروقه بضعة من حياة.

بولكسان: وكيف ارتسست في ذهنه هذه الفكرة المشؤومة؟

كميلو: لست ادري. انما ما أؤكدك لك هو ان احتراستك منه أسلم من
فهم كيفية ولادة هذا الريب في قلبه. فان كنت لا تخشى الثقة بنزاهتي
المدفونة الى الأبد في هذا الصنوقي (يلقي كميلو على صدره) طاوغني على
الذهاب معي هذه الليلة بالذات. سأعلم رجالك بالامر كي يمتثلوا كل اثنين
لو ثلاثة على حدة، ويسجوا بطرق مختلفة، وأنا اخبرهم من المدينة. أما

من جهتي فاني اضح تحت تصرفك جميع امكانياتي وثروني التي قد اصبحتها
هنا بما افضيت به اليك من سري. فلا يخافنك اي شك من نحووي،
لاني قسما بشرف اجدادي، ما بحث لك بسوى الحقيقة الاكيدة. ولذا اردت
برهاننا على صدق اقوالنا، ان تأخر عن ابرازها لك. وهكذا لن تكون هنا
في مأمن اكثر من محكوم عليه بالاعدام، انتم الملك على تنفيذه فيه مهما
كلم الامر.

بولكسان : اني اصدق كلامك. فقد رأيت علي محياه ما يخطئ في صدره.
أعطني بذلك وكن دليلي فيصبح مكانك دوما الي جانبي. ان سفيتي جاهزة،
ورجالنا ينتظرون رحيلي منذ يومين. اما هذا الحمد فخطك سيدة نبيلة الاخلاق،
بادرة الوجود كجوهرة غالية الثمن. وكلما تفاقمت الغيرة، كلما بلغت أعنف
بطشا. وبما انه يظن ان شرفه قد دنسه رجل يخبره من لوفى اصدقائه سيكون
انتقامه أشرم من المودة التي كان من المفروض ان يادله اياها. اما اخشى
ظل رجوده هنا. فهلا حافظنا الحظ في الهرب من هذا المكان بسلامة وأمان،
على ان نظل مخلصين للملكة النبيلة التي لا تزال في متناول يده ولا تصح
ما يحاك حولها من دسائس وسكاكذ دنقة. نعال، يا كميليو، سأحترمك كوالدي
ان انتدنتني من هذه الورطة. هيا الي الهرب.

كميليو : نظرا الي ما أنتمع به من سلطة، فان يدي تصل الي مفاتيح جميع
المخارج، فاغتنم، يا صاحب السموى، هذه الفرصة وعجل في النهاب. هيا
يا مولاي نسلك طريق الهرب.

الفصل الثاني

المشهد الاول

دالما في القصر

(تدخل هرميون وهي تقود ماميلوس (جميعها سيديت من حاشيتها)

هرميون : اخذي الصبي معك. لأنه يتعين على أبعد حدود الاحتمال.
السيدة الاولى (تمد يدها الى ماميلوس : هيا، يا مولاي الصغير، ألا تريد
ان أشاركك في ألعابك؟

ماميلوس : كلا. أنا لا أحبك.

السيدة الاولى : لماذا يا مولاي اللطيف؟

ماميلوس : لأنك تقبليني بحنو زائد، وتكلميني كأنني لا أزال طفلا صغيرا.
(لسيدة غيرها) انت أحبك أكثر منها.

السيدة الثانية : وما الداعي لهذا الأمير الكريم؟

ماميلوس : ليس لأن حاجيتك أشد سوادا، مع أن الحاجين السود لوين يلقان
جدا بعض النساء شرط أن لا يكونا كفيفين وأن يرتسما كفوسين فوق
العين كأنهما هلالان خطفتها ريشة بارعة.

السيدة الثانية : من علمك هذا؟

ماميلوس : وجه السام (للسيدة الاولى) قل لي، ما هو لون وموش عبيك؟

السيدة الاولى : تزرق يا مولاي

هاميلوس : هل تسخرين مني؟ لقد رأيت انف سيدة ازرق، لكني لم ابصر ابدا رموشا بهذا اللون الازرق.

السيدة الثانية : اسمع، يا مولاي. ان امك الملكة، بكر بطيها بسرعة، ونحن على وشك ان نقدم خدماتنا لأمير جميل جديد في يوم قريب، وسيترك ان نلعب معه، ان اردنا اشراكك بسلطاننا.

السيدة الاولى : من عهد قريب اخذ بطن والدتك يتصخم بروعة. قتمي ان يسمدها الحظ بمولود حلو لطيف مثلك.

هرميون : علام يدور حديثكم؟ (هاميلوس) تعال ايها الأمير الصغير، انا الان متفرغة لك. ارجوك ان تجلس بجانبنا، وأن تقص علينا حكاية.

هاميلوس : كيف تفضّلها، حزينة ام مريحة؟

هرميون : نريدها مريحة للغاية.

هاميلوس : ان الحكاية المزعجة أنسب بكثير لأيام الشتاء. وأنا اعرف واحدة تحدثت عن عائدين من القبور وعن شياطين صغار.

هرميون : قص علينا هذه الحكاية، ايها الأمير. تعال اجلس هنا. هيا اخرعنا بالعائدين من القبور، لانك تجيد هذا النوع من الحكايات.

هاميلوس : كان في قديم الزمان وسالف العصر والاوان، رجل...

هرميون : هيا تعال اجلس بقربا. والآن اكمل.

هاميلوس : يقم في مدفن. سأرويها لكنّ بتأن، لاني لا أود ان تسمعي الصراخ.

هرميون : القرب اذاً، واحسها لي أدنى.

(يدخل ليوثي ويتنهد ويغتر الرجاء ثم يهرس)

ليوثةي : لقد صادفناه هنا، هو وحاشيته ومعه كميليو.

الوجه الاول : شاهدته وراء اشجار الصنوبر ولم أبصر اناسا يكسبون الطريق بمثل هذه السرعة. حجبهم بأظفاري حتى وصلوا الى سفهم.

ليوثةي : كم كنت مصيبا في تقديراتي ومي ظنوني، يا للأسف! وكم وددت ان لا ارى ما عانيت! وكم ألّعن ذاتي لان نبوءاتي تحققت. قد يوجد منكبوت

في قعر الكأس، وربما تمكن المرء من الشرب ومن إبعاد شغبه بدون أن يلفظ أي مقدر من السم، لأن خياله غير مضطرب. أما أن يقع نظره على هذه المادة القاتلة، وأن يدري بما شرب، فطبعه أن يصق حالا كل ما في جوفه، إن تطلب ذلك منه أعف اليهود. فأنا قد شربت، رغم أنني أصبحت المنكوت، وكملبو كان الصميل الوسيط. هناك مؤامرة على حياتي وعلى ناجي. وكل حظري كان في محله. تباً لهؤلاء الخشاء الذين لردت استخدامهم فاستخدموني. لقد شاء أن يوح بمفاسدي، وأنا ظلت أنألم، أجل، كمجرد فرع يتسلى التؤماء به على هواهم. كيف فحنت المخارج بمثل هذه السهولة؟ الوجه الأول: بفضل سلطانه الواسع الذي مارسه غالباً بناء على أوامرك. ليونتي: لئلا أعرف ذلك جيداً. (لهرميون) اعطني الولد. لوتي مسروراً لأنك لم تغذيه بلهالك. ومهما كان كثير الشبه بي، فقد منحه أنت كثيراً من ذلك. هرميون: ماذا يعني بهذا القول؟ هل هو على سبيل المزاح؟

ليونتي: لا بد من إبعاد هذا الطفل من هنا كي لا يدنو منك بعد اليوم. أقصره عنها، وتسلل بالذي تحصله في أحشائها لأنه نعمة بولكسان الذي نفعها هكذا.

هرميون: لا يعني سوى رفض فكرتك. وأنا أقسم بأفك لن تصدقني، لأنك تميل إلى المشاكسة.

ليونتي: انظروا إليها، يا سادة، وراقبوها، ولا يخرنكم بهيئتها فتهتفوا: «ما أحبل هذه المرأة»، فإن عدالة وجدانكم تضطركم إلى إضافة هذه الكلمات: «ولكن ما أحقرها!» لأنها غير شريفة وغير محتومة. يمكنكم أن تتلذذوا فقط جمالها الخارجي الذي لا تترك أنة يستحق كل ثناء. انما ستتهزأون بها حالا وتغضبون متأسفين لما انتاب هذا الجمال من ذبول وما لا يكتف الأكسن عنه من لعممة. لا، لا، انما مخطيء هي تستحق الفخران لأن التهمة لا تقتاب سوى الفضيلة. أما التهمكم والتهمة، عندما تتولون أنها جميلة، فبإمر منكم قبل أن ينسئ لكم القول أنها فاضلة. إذ عليكم أن تعلموا ممن اختيرها وأنف لنحرفها، بأنها زانية

هرميون: لو نسب إليها هذه المدلة أكثر المجرمين المتعطاشا لكان عندك

مجرما مرتين. فأنت، يا مولاي، بكلامك هذا تفلط نفسك.
 ليوفي : انت. التي تفلطين نفسك، يا سيدتي، عندما تعبرين بولكسان بمقام
 زوجك ليوفي. انت ايتها الخليفة التي لا أريد ان أسميك بأمثالك عشية
 ان تسبح البربرية لثانها بأن تحضو حذوي في وعصم من هن في مقامك
 الرضيع بسنك الوضيمة وتزبل الفوارق بين الأمير الثبيل والمتسول الحفير.
 قلت انها راقية وبشت مع من، بل هي تعدت ذلك ولارتكبت جرم الحياة
 المظلم، وما كسبلو الا شريكها في السكينة. لانه يعرف السر الذي لا
 بد من ان يخجل منه لسامته فيه نظير المجرمة الرئيسية. هو يعلم بأنها
 لطخت سريرها بالعار نظير العاهرات اللواتي يحلج العوام عليهن لفتح النعوت،
 أجل، لأنها مستودع شلوذهن.

هرميون : لاء لاء، اقسم بحياتي اني لست مستودع شلود احد. ستدع حتما
 عندما تضح لك الحقيقة، ويحين لك انحطاط شهرك بي. آه، يا مولاي
 السموح، ذهني أمبارحك بأنك ان تموض عن ذرة مما تلمحه بي من لذلّال
 حتى لو اعترفت بأنك انحطأت بحقي.

ليوفي : كلا، كلا، لن تراجع عما انا مقتنع به، ولو جبطت السماء على
 الأرض وارتفعت لبحج البحر الى قسم الجبال. (يشير الى هرميون) غنوها
 واحبسوها. وكل من يدافع عنها سيحكم عليه بالموت كأنه شلعد رور.
 هرميون : حتما هناك كوكب مشؤوم يسيطر على دنياي. فصبراً الى ان
 تنسم السماء بالحلم والسماحة. سادتي الكرام، انا غير مستعدة لليكاء، كما
 هو حال بي جنسا نحن البشر. ففي عياب لآئيء الندى، قد تصمت شفتككم،
 لكنني اشعر ها (تضع يدها على قلبها) بألم نبيل، ألم يكوي القلب بصف
 ويطلقه في سبيل الدموع؟ أشحظكم جميعا، يا سادتي، بأن لا تدينوني
 الا بموجب رحمة الأفكاركم التي نستوحشوها من وجدانكم، وعلى هذا الاساس
 فلتسم مشيئة الملك.

ليوفي (للحري) : ألا تسجونني؟

هرميون . من يذهب معي؟ أقتسم من سوّك ان نسمح لنسائي ان يرافقتني.
 فكما نعلم جميعنا جبداً، ان وضعيتي الخاصة تقتضي ذلك (لنساكها) لا تبكين،

يا هيووسات، اذ لا دامي للعويل والحجب. عندما نعلم ان ملكك قد استحققت السج، حيث اسكن الدموع السفينة عند لندامي. أما المحاكمة التي أتعرض اليها الآن فهي آفة الى أعظم أمجادي. وداعا يا مولاي. كم تمنيت ان لا اراك مغموما. انما الان، لن تنجو من الهواجس والهموم. تعالي يا نسائي — فمراقتي مسموحة لكن.

ليوتني : هيا، نفلك أولمري، واخرجن. (يخرج الحرس أخضعن معهم عرومون والنساء).

الوجه الاول (ليوتني) : أستحلفك بكل عزيز ان تستعدي الملكة، يا صاحب السور.

التيهون : نيقن ما تقدم عليه، يا مولاي، خشية ان ينقلب عقلك الى ظلم وهكذا يذهب ضحية جورك ثلاث ضحايا كبار، هم شخصك الكريم بالذات والملكة زوجتك وابنتك ولي عهدك.

الوجه الاول : من جهةها هي، يا مولاي، اسرؤ على التأكيد، ان قبلت بوجهة نظري، ان الملكة طاهرة نقية امام السماء وأمانك من كل عار تنهها به. اتفيون : واذا ثبت انها غير بريئة، فاني أنزي أن أجعل من مقرها، إذ كانت زوجتي، اسطبلا للدواب، وأن لا امشي الا مربوطا الى جانبها، ولن اتقي بها الا عندما اشعر بها ولأراها بفرسي، اذ لن يقي حيث ظفر امرأة بل ذرة من حسد ابنة حواء لا يكون مجبولا بالفش والخداع، اذا كانت الملكة فعلا تستحق اللوم.

ليوتني : اصمتا كلاكما.

الوجه الاول : مولاي الكريم.

التيهون : نحن تكلم لصالحك لا لصالحنا. انت ضحية منافع متآمر لا بد من مفاقته. أود من كل قلبي ان اعرف من هو هذا اللئيم، فأتولى محاسبته هنا في هذا المكان. ان كانت هي مستهتره في المحافظة على عفتها — انا لي ثلاث بنات، البكر منهن عمرها إحدى عشرة سنة، والثانية تسعة والثالثة تناهر الخامسة — أكرر عليك، ان كانت حقا مذبة، فاني سأعاقب بناتي ايضا. أقسم بشرفي بأنني سأشوه وجوههن جميعا ولن يلفظ ريمهن

الرابع حشر لكي يلدن جيلا من القطاء. من وربكائي، وأنا لن لرضى ابدا
 الا ان يخلقن ذرية شرعية صالحة ترفع الرأس عاليا.
 ليونتي : كفى. لا أريد سماع كلمة اخرى. انتك تشتم هذه القضية بأف
 مذكوم يشبه حاسة الاموات. (يمسك بيد انتيفون) اما انا فأرلها وأشعر بها
 كما تحس بقيصتي وكما تبصر يدي التي تمسك بك.
 انتيفون : ان كان الامر حقا كذلك، فلا حاجة بنا الى قبر لدفن شرفا.
 ولن يبق بنفسجة خير تعطر وجه هذه الارض المكسوة بالاعذار.
 ليونتي : ماذا اسمع؟ هل حجبت عني ثقك؟
 الوجه الأول : لأفضل أن تمنجب الثقة عني لا عنك، يا مولاي، في هذا المجال
 لانني انظر بسرور الى تبرير شرفها وتكذيب ظنونك مهما تعرضت سيادتك
 للملامة.

ليونتي : ماذا يدعوك الى مناقشة هذا الموضوع؟ لماذا لا تتبع بالمحري اتجاه
 مشاهرا التي قل ان تخطيء. ان مبادرتي لا تحتاج الى تصالحك، وان
 كاشفتك بالامر، فذلك عائد الى طيبة قلبي واستعراضي برأيك. فان تقبلت
 عليك العبادة طوعا او قسرا فلم تعد ترى او تقدر نظري هذه الحقيقة
 المرة. اعلم جيدا اني عند ذاك استغني عن مشورتك. ففي هذه القضية،
 سواء في كسبها او خسارتها، الرأي الاحير والقرار النهائي متعلق بي شخصيا.
 انتيفون : ان ما أرغبه يا مليكي، هو ان يجري التحقيق في هذه القضية
 بصمت لا علانية.

ليونتي : وكيف يمكن ذلك؟ هل أصابك العجز قبل الان، ام اصيحت
 مغفلا؟ ان حرب كميلو قد راد الطوف بلة، ودل على العلاقة الحميمة التي
 تربط بينهما. وهذا اسى بديها لا يحتاج الى برهان لانه ظاهر للعيان تفضحه
 الظروف من كل صوب والهمهمات من جميع الافواه. ولذلك عجلت بالبت
 في ملاحظتها. على كل حال، لزيادة التأكيذ، لان مسألة كهذه تضر بها
 المجلة، أرسلت الى معبد أبولون في المدينة المقدسة « دلف »، كليونان
 وديون اللذين تعرف انت مقدرتهما. وهكذا تكون استشارة الالهة دعما للقرار
 النهائي، فاما ان أثريت وإما ان أنهد الحكم. لوليس هذا هو الحل الأفضل؟

الوجه الأول : حسناً فعلت، يا مولاي.

ليونتي : مهما كنت مقتنعا، ولا أبحث عن مزيد من الأدلة، أعتبر الاستشارة أريح لأذهان أمثالك الذين، لقبولتهم وجهلهم، لا يريدون ان يصلحوا الحقيقة المجردة. وعلى هذا الأساس، رأيت الأنسب ان أحجزها بعيدا عن نظرتي المستحرة، خوفا من أن يؤدي بها هرب الخونة الى تعلم درس اخير منهم. نعمال اتبني. فسأذهب الى جمهور الشعب، لأن هذه القضية قد تؤدي الى هلاكنا جميعا.

اتقيفون (على حدة) : أجل، من الضحك، ان ثبت افتراضي، وبانت الحقيقة على جليتها.

(يخرج الجميع).

المشهد الثاني

في مدخل السجن

(تدخل بولين وحاشيتها)

بولين : أين مدير السجن. ارجو ان تستدعوه وتعلموه من انا (يحرق واحد من جماعتها) ايها الملكة، ليس في كل لوروبا من محكمة صالحة للنظر في قضيتك. ماذا تفعلين هنا في السجن؟

(يدخل مدير السجن وامامه حاجب)

(المدير) سيدتي العزيز، انت تعرف من انا، فليس كذلك؟

المدير : انت سيده نبيلة أقدرها حق قدرها.

بولين : في هذه الحالة، ارجوك ان تقودني الى الملكة.

المدير : لا استطيع، يا سيدتي، فهنا محرم علي بموجب امر شخص مشدد.

بولين : وما الداعي الى منع دخول الشرفاء الافاضل للزيارة. هل مسموح ان ارى ابنة واحدة من سائنها؟ اميليا مثلاً؟
المدير : من فضلك، يا سيدتي، اسحي جماعتك من هنا، وأنا مستعد لان أستقدم لك اميليا.
بولين : ارجوك ان تناديها (لجماعتها) انسحبوا اقيم.

(مخرجون)

المدير : فضلاً عن ذلك، يا سيدتي، علي ان احضر المقابلة.
بولين : حسناً. ارجوك ان تعجل. (يمرح المدير) ما أصعب فرض الشبهة على من لا تعلقها ابنة شابة.

(يدخل المدير وتصحب اميليا)

(لاميليا) سيدتي العزيزة، كيف حال حلالة الملكة؟
اميليا : على أحسن ما يسمح بالجمع بين العظمة والمثُلَّة. فيسبب. هلعلها وآلامها، اذ لم تنمر أبداً امرأة مثلها بأشنع مما تصحله، طراً عليها السخاوس فجأة فولدت قبل الأوان.
بولين : حياء؟

اميليا . بل بقاء، آية في الروعة والصحة، جاءت تعزية كبيرة لوالدتها الملكة حتى انها خاطبتها قائلة : « اينها السجينة المسكينة، بقي بأني بريئة نظيرك ». بولين : لا أفردد في الحلفان تأكيداً لذلك. فلتحلّ اللعة على « هلة » الملك الخطرة المشؤومة. لا بد من مجابهة هذا الاستبداد، فهذا واجب يؤول يروع خاص الى امرأة، وأنا ساتولج مواجهته. فلذا كانت حلالة العمل على شفطي لو كان لساني لها محرقاً يفت نار غضبي، لرجوك يا اميليا ان تقدمي للملكة الخطص وعالي وعدماتي، وان كانت لا نحس من ان تأتمني على رضيعتها فاني مستعدة ان اقدمها للملك وأن أدفع عنها بكل شجاعة. لست ادري مدى تأثير منظر الطفلة على جلالتة. فعاليا ما يفتح صمت البرية كأقوى حجة وينجح حيث يوء بالمثل أنصح الكلام.

اميليا : سيدتي المحترمة، ان ولاءك وطيب عصرك ظاهران للعيان، وكرم احتلاطك لا يحسه الا ان يفوز بالنهاية السعيدة، ولا احد يحرك جدير بهذه

المهمة الخطيرة. فأرجو من سموك ان تذهبي الى الحجرة المجاورة. سأعلم الملكة مورا باقراحتك النبيل. فهي في هذا النهار بالذات فكرت في الامر. انما لم تجرؤ على طلب الوساطة الخطيرة من احد، خوفا من ان يكون نصيبها الرقص والفشل.

بولين : قولني لها، يا اميها، ان طلاقه لساني اذا آررتها البلاهة وسأقدها اليسالة كقبلة بأن تحرز الفوز وتبلغ الغاية المنشودة في خلاصها. اميها : لتحلّ عليك جميع البركات. انا ذاعبة الي الملكة، فضضلي بدخول اقرب غرفة الي هذا المكان.

الملك (بولين) : اذا شأيت المكلة ان ترسل اليك الطفلة، يا سديتي، لست ادري لأي خطر أتعرض اذا اتا اذنت لك بأخذها.

بولين : لا بأس عليك، يا سيدي. فالطفلة كانت سجيّة في أحشاء والدتها، وماموس الطيبة وحده سمح لها بالخلاص والانجاة. ولا مجال لغضب الملك ان يتناول عليها. فهي غير متجنبة، ولو كان هناك من ذنب يقع على امها. المدير : انا مؤمن بذلك مثلك.

بولين : لا تحف اذا أقسم لك بعرفي بأنني سأحول دون تعرضك لأي شر لو ضرر.

(مخرج الجميع)

المشهد الثالث

في صلالة - في قاعة العرش،
وفي صدرها باب مفتوح تظهر من خلاله غرفة

(يدخل ليونتي، يجهه اثنينون ووجهه وحجاب
وحرس يحفظون في صدر المسرح)

ليونتي (وحده عند باب الغرفة) : لا راحة في النهار ولا في الليل. ومن الضعف ان يزرع المرء تحت ورق الشقاء على هذه الصورة، بل يرداد الضعف حين يكون هناك امل لحل المسألة بشكل او بآخر. فأنا امسك على الأكل بأطراف القضية التي تدور عليها قصة هذه الزالية. اما الملك المتهتك فلا ذنب عليه ولا تتطاول عليه يدي ولا نعمتي، لانه يتصل من المؤامرة الدسيسة. غير اني استطيع ان أوفيه في القبح. فعندما تختفي هذه المرأة عن المسرح بعد اهلاكها، يستنى لي أن أنعم بنصف الراحة، وسأقبل كل جهدي للحصول على النصف الآخر من راحتي مهما كلف الامر. لكن، من الآن الى هنا يا ترى؟

الحاجب الاول (يقدم) : مولاي.

ليونتي : كيف حال الصبي؟

الحاجب الاول : لقد نام هذه الليلة يهدوء، ولامل كبير بأن يكون قد شفي من مرضه.

ليونتي : نظرنا الى اصله النبل، وحالما علم بحارامه، اخذت صحته تنهار وتدهور بسرعة. لانه لم يطق تحمّل هذه المدة، ففقد نشاطه وشهته للأكل، وجفاه النوم فسقط من الاعاء. اتركني وحدي واذهب لترى كيف هو الآن. (يخرج الحاجب) تباً له من رجل فاسق. ان رغبتي في الانتقام منه ترتد عليّ لانه شديد البأس، قوي جداً بشخصيته وبأنصاره وبمخالفاته. فليعش حتى يحين الوقت المناسب لإزالته والتخلص منه، اذ لا ميل الآن للانتقام

فورا. فلتصّب نفسي عليها وحدها في الحاضر. ان كميليو وبولكمف بهزآن
ي في هذه الساعة ويشغفان بإيلامي. ولو كنت قادرا على النيل منها
لما صمكتا ابدا، كما انها هي ان ينسني لها ان تضحك لانهما في قبضي.
(يجلس على العرش ويبدو مفكرا).

(تظهر في مدخل القاعة بولير حاملة طفلة)

الوجه الاول (يتجه نحو الباب) : من الأفضل ان لا تدخل.
بولين : ارجوكم ان تساعدوني، يا سادتي الكرام. ان غصبة المسيد يفتلكم،
وأسماءه، أكثر من حياة الملكة البرجة الكبيرة لنفس الطاهرة الليل، وأكثر
ما هو غيور حسود.

انتيغون (لبولين زوجة) : كفى، كفى.
الحاجب الثاني : الملك لم يتم هذه الليلة، وقد اصدر امرا بأن لا يتصل
به احد.

بولين : لماذا كل هذا الحرص، يا سادة؟ انا آتية لأجلب له الطمأنينة والرقاد.
ان اشخاصا مثلكم يعمون حوله كالاشباح ويشقون لدى كل تهدة مصطمة
تخرج من صدره، هم انفسهم الذين يسبون له السهاد والاراف. انا آتية
لأسمعه كلاما صريحا شريفا شافيا.

ليوتي (يلفت) : ماذا يجري هنا؟ ما هذا الضجيج؟
بولين (تتقدم نحو الملك) : هذه ليست ضجة، يا مولاي، بل حديث ضروري
عن موضوع يمدب ضمير جلالتك.

ليوتي : ماذا تصيّن؟ ابعثوا عني هذه المشاغبة. يا انتيغون، ألم أكفك بأن
لا تدع احدا يأتي اليّ؟ كنت عالما بأنها ستطلب عليكم.
انتيغون : لقد ضحكتها، يا مولاي، وعدتها بفضيكم واستيائي، وحذرتها من
المثول امامكم.

ليوتي . ما هذا؟ أوليس لك من سلطة عليها؟
بولين (للملك) : أجل، له سلطة كي يمنعي من عمل الشر. لكن هنا، الا
اذا لجأ الى عين الوسائل والاسباب التي تستخدمها، وأطعني الى السجن
جزاء ما افعله من خير، فكن مطمئا انه لن يكون له عليّ اي سلطان.

التيهون : أسمعته؟ عندما نعرض على الحكيم لا يسعى أن اسمها عن الجري، وهي لا تبالي بأحد.

بولين (للملك) : أبها الملك الكريم، أترسل اليك أن تعرني أذنًا صافية، لامي آتي اليك كعامة ودية، بل كطبيب شافٍ وكناصح متواضع يوتي أن يريحك من عذاب ضميرك، ولا يخفي أن يتشامخ مفتخرًا بتفانيه في سبيلك نظير هؤلاء المتظاهرين أمامك بالولاء، أقول لك اني آتية من قبل زوجتك الملكة الفاضلة.

ليوني : الملكة الفاضلة!

بولين : أجل، الملكة الفاضلة، يا مولاي، أكرر قولتي : الملكة الفاضلة. وأنا مصصة على إثبات فضيلتها لك، وسلاحي في يدي، ولو لم اكن رجلا، وأنا بطبيعة الحال أضعف منك بنية.

ليوني : اطردوها فوراً من هنا.

بولين : من أراد أن يفقد صبيه بأبحث لمن فليتقدم ويلبمني. سأخرج حينئذ، لكن ليس قبل أن أنجز مهمتي (للملك) أقول الملكة الفاضلة، لأنها حقاً فاضلة، أنجبت لك ابنة، ها هي، لتحميمها بحنان شهاملك ومروءتك. (ضع قطعة حد قسي الملك)

ليوني : ابعدها. سحقاً لها من ساحرة مسترجلة. اخرجوها من هنا، واعلقوا الباب وواخوا. تبا لها من عاهرة لا تستحي.

ليوني (للولجهام) : أبها الحوتة، ألا تريدون أن نرموها خارجاً ؟ رتوا اليها هذه اللقطة. (لأنتيهون) وأنت أبها الجبان الخميس الذي تسطر عليك غاية مستهترة بدلاً من سيدة محترمة، خذ هذه اللقطة من أمامي. خذها، أقول لك، وردّها الى هذه الفاجرة الرقعة. (يتقدم أنتيهون نحو الطفلة).

بولين (لأنتيهون زوجها) : فشل بك، ان لمست هذه الاميرة، نزولا عند طلب هذا الدنيء الخالي من العاطفة والضمير. (يتراجع أنتيهون).

ليوني : هو يخاف من امرأته المنهية.

بولين : كم أتمنى أن يكون هذا حالك ايضاً، تتفننر حينئذ بأولادك.

ليوني : قبحاً لكم من عصاة عترة!

انتهفون : آنا الان خائف؟ اقم بهذا الدور المتقمس، اني لمين وفي.

بولين : لا، لا انا، ولا احد من جميع الحاضرين هنا، لسا من الخوفه، بل هو وحده الحائز الفادر (تشير الى ليونتي) لان الملك وحده يستهتر بشرف السلطة المقدسة والملكة المظلومة وابنها صاحب المستقبل الباسم، وأيضا هذه الطفلة التي تحوم حولها الشبهة والسيمه، بينما هي تواجه كسوف مرعب الحثثين. انه لا يريد انذاك الطفلة، وهذا شر ما في البلية. وفي هذا الحال يضطروني الى اعلان الحقيفة على رؤوس الاشهاد، لانه لا يريد لتتلاخ جذور الفساد المتأصل كشجر الهلوط والمتحجر كالصخر الأصم.

ليونتي : انظروا الى هذه الحفقاء الزائفة اللسان التي تخزل زوجها وتريد ان تحطمني انا ايضا. هذه الطفلة ليست من صليبي، فهي ابنة بولكان. عذوها عني، واجعلوها مع والفتها، وألقوها في النار المحرقة.

بولين : هي ابتك، ولنا أذكرك بأن هذه الثمرة من ذلك الفصن انظروا، يا سادة، مها كانت ملامحها ناعمة، فهي صورة مصغرة عن ابيها: منهاها وانفها وشفتاها وحاجباها وجبينها، حتى عذكها واجسامتها وشكل يديها وأنظمارها وأناملها، كلها تشبهه. والطبيعة التي كوَّنت هذه الطفلة جعلتها طبق الأصل عنك انت والبعاء. فان قصدت ان لا تزعج روح الانسانية في صدرها فلا تدعها تستمد من حقدك حقارة الصعنة والدناءة، خشية ان تظن مثلك في مستقبل الأيام ان اولادها ليسوا من زوجها.

ليونتي : يا لك من خبيثة مأكرة (لأنتيفون) انت تستحق الموت شقاء ابيها الغني، لانك لا تقوى على قطع هذا اللسان السليط.

انتهفون : عليك ان تأمر بشنق كل الأزواج الذين لا يستطيعون التهام بهذا الاعتداء، فلا يبقى احد من رعاياك.

ليونتي (للوجهاء) : مرة اخرى، اقول لكم، عذوا هذه المسألة من اناهي.

بولين : ان أحط زوج فيهم لن يتصرف نظيرك انت

ليونتي : سأمر بأحوالك.

بولين : هذا لا يحبيني. فالكاثر الزنديق هو من يوثق النار لا من يحرق فيها اما لا أريد ان ادعوك طاعة. لكن معاملتك للملكة زوجها بهذه الشراسة،

ويعتقدون ان تمكن انت من ابراز أي دليل حسي لإثبات انها منك سوى أمواتك التي لا تستند الى أي أساس، هي عين الهمجية، وهي كافية لتجعل منك أخط صطوك في أشنع فصيحة عرفها العالم حتى الآن.

ليوتي (للوجهاء) : باسم ما يتحتم عليكم نوعي من الخضوع، أمضحظكم ان ترموها خارج هذه القاعة. فلو كنت حقاً مستبدًا، ترى أي وهل كنت انزلت بها؟ وهل كانت تجالسرت على نحي بالظنيان لو كنت فعلاً أمارسه. خذوها، هيا خذوها.

(يقرب منها رجال الحاشية)

بولين : ارجوكم ان لا تلمسوني. فأنا اخرج من تلقاء ذاتي. إسهري على طفلتك، يا مولاي. فهي حقاً ابتكت. وآمل ان تمنّ عليها النساء بحارس أرحم منك. (للوجهاء) لماذا كل هذا الامتناع مني؟ انتم الذين تشفقون على هوسه، ان يجد فيكم ابداً ختام أناء. حسنا، حسنا. الودع، أنا ذليعة.

(تخرج)

ليوتي (لأنثيون) : انت خائى، دفعت هذه المرأة للسجى الى هنا. اهدوا هذه الطفلة عن نظري. (لأنثيون) انت الذي تشفق عليها خذها من هنا حالا واجعلها طعمة للنار. انت وحدك مسؤول عنها. خذها سريعاً، وقبل مرور ساعة من الزمن، عليك ان تبشرني بأل الامر قد قصي، وأن كنت لي ذلك بشهادة ناظر صبان، وأنا سخطت روحك مع كل ما نطك. واذا رفضت وعارضت شيعتي، صارحتي كي أهنم رأس هذه اللقطة بيدي وأسحق دماغها بقدمي. خذها حالا الى النار، فأنت الذي حركت روحك وأثرتنا علي.

أنثيون : هذا خطأ، يا مولاي. ان رفاقي البلاء، ان ارفاء، امكنهم ان يبرروا تصرفي.

الوجه الاول : أجل، نحن نستطيع، «يا الملك المعظم» فهو ليس مسؤولاً عن تصرفات امرأته.

ليوتي : انتم جميعكم منافقون جبناء

الوجه الاول : أنتم من سموك ان تصنعنا الامان. نحن خدمتك دوما

بولاء، حسأل سموك أن لا تظلمنا. ها نحن نجشو أمامك متوسلين، ملتصين
أن لا نحرما جزاء أمانتنا الماضية والمستقبلية، وأن تبذل قرارك الدموي السريع
حتى لا نتهازل علينا الكوراث. ها نحن نجشو أمام جلائك بكل غضوع.

(يركع رجال الحاشية)

ليوتي : لوطني كريشة في مهب الرياح. هل تحتم علي أن أبصر هذه اللقطة
تركع أمامي وتدعوني والدها؟ إن احرقها لفضل ألف مرة من حسب اللعنات
عليها. تريدون أن أدعها حية، فليكن ما تشاؤون. لكن، كلا ثم كلا، لن
نعيش. (لأنهون) اقرب يا صاح. انت توسلت بالمحاح إلى القابلة القانونية
مركون لتقتل حياة هذه اللقطة، التي ليست سوى ابنة الخيانة والعار، بدون
أي شك كما أن هذه اللحية قد وحطها الشيب. فيماذا تريد أن تغامر الآن
لإنقاذ حياة هذه الطفلة؟

الأنهون : أقوم بكل التضحيات الممكنة، يا مولاي، نظرا إلى نبل محتدي
ونفوذ مقامي الرفيع لديك. أنا مستعد لأن أجود بالدم القليل المتبقي في
عروني كي أنقذ هذه البريقة، ولن أدخر وسعا في هذا السبيل.
ليوتي : إن ما أطلبه منك ممكن جدا. فاقسم لي بهذا السيف، أنك ستقتل
رغشي.

الأنهون : أقسم لك، يا مولاي.

ليوتي : اسمع واطع. لأن اصغر حفرة أو إهمال سيجر الموت ليس فقط
عليك بل أيضا على روجتك الوقعة التي أسامحها هذه المرة. أنا أكرمك
نظرا إلى ما أبدته نحوي دائما من الولاء والاحلاس، وأطلب منك أن تأخذ
هذه اللقطة وتنقلها إلى أي شاطئ، بعيد خارج مملكتي، وأن تتركها هناك
بنون شفقة، تحت رحمة الأنواء. فكما جاءني في ظروف عاصفة، أريد
حتمًا تحت طائلة الاكتصاص منك في حال مخالفتك لأوامري، أن تتركها
في مكان مجهول حيث يحكم نصيبها عليها بالحياة أو بالموت. المهم أن
تأخذوها من أمامي.

الأنهون : أقسم لك بأن أنفذ إرادتك، مع أن هلاكها حالا هو الحل الأرحم.
تمالي ابنتي الطفلة المسكينة. أتوسل إلى الأرواح الخيرة أن ترسل لك الصلوات

والفرهان لإرضاعك وتربيتك. يقال إن الذئاب والذئبة، رغم شراريتها تحب
وتعطف أحياناً. أرجوك، يا مولاي، أن ترق لحال هذه الطفلة التي لا تستحق
منك هذا الظلم. وأنت، فلتحرسك بركة السماء وتحملك من كل سوء
ووحشة، اجها البرقة المحكوم عليك بالموت

(يخرج وهو يحمل الطفلة).

ليونتي : كلا، لن أربي طفلة غريبة.

الحاجب الثاني : العفو يا صاحب السمو. هناك رسولان آتيا بأنباء استشارة
الآلهة، وصلا منذ ساعة، وهما كليمان وديون القادمان من « دلف » وقد
غادرا السفينة وأمرعا إلى الهلاط.

الوجه الأول : إن استعجالهما، يا مولاي، قد تعدى ما كنا نترقبه منهما.
ليولي : لقد مضى على غيابهما ثلاثة وعشرون يوما وهذه سرعة مادية حقا.
يقال إن الإله الأعظم أبولون شاء أن تبرز الحقيقة بسرعة فائقة. فاستعد،
يا مولاي، واستعد المجلس لعرض عليه قضية روجنك المظنية. ولأن اهتمامها
كان علينا يجب أن تم محاكمتها كذلك بصورة علنية وعادلة. فما دامت
على قيد الحياة، سيظل كايوس ثقبل جاثما على صجري. اتركوبي الآن وحدي،
ونعزوا لوامري بكل دقة.

(يخرج الجميع)

الفصل الثالث

المشهد الاول

على الطريق — امام نزل الغرباء

(يصل كيلومان وديون)

كيلومان : الطقس جميل والهواء عليل والجربة خصبة والمجد رائع وشم كل ما يصفونه به من نعوت هزيلة.
ديون : ان ما قلت نظري يتوج خاص تلك الملابس الضخمة التي لا يعني ان أصفها بغير ما ذكرت، وكذلك جو الوقار والرهبة المخيم عليه. أما الذبيحة فكانت جليلة للغاية تفوق مراسها، عند التضمة، طلاقة معظم البشر.
كيلومان : والأروع كان جوي الرعد والصوت الجهوري الذي لمغن المشورة كأنه صاعقة ألقي بها الإله المشتري، مثلت جميع حواسي، وكدت اهلك فرعا.

ديون : ان انضى سفرنا الى اتحاد حياة الملكة، وإلى ما فيه الخير لنا ايضا، كما تشاء السماء على ما يبدو لي، فلن نكون أصمتا وقتنا سدى.
كيلومان : سأل الإله أبولون تدبير الأمور على احسن ما يرام. ان اتهام هرميون بهذه الطريقة العلنية لا يعجبني كثيرا.
ديون : وهذا العنف قد عجل النهاية سواء كانت يمنا او شؤما. اما المشورة

كما ارتأها الكاهن الأكبر أبولون فقد فصحت السر بما لوحث به من حكم
لا أهمل منه. هنا استبدل الجهاد، وتعال نتابع طريقنا آمليين أن تكون الحاتمة
خيرًا.

المشهد الثاني في صقلية - يوم المحاكمة

(لهوتي والوجهاء وهيئة المحكمة جالسون في مكنتهم الخاصة)

ليونتي : اعلني بكل اسف ان هذه المحاكمة طعنة فجلاء في صميم قوايدي.
المتهمه ابنة ملك، وهي زوجتي الحبيبة. فلا يلومني احد ويصف تصرفي
بالظلم، بما ان المحاكمة تتم علنا فالعدل سيأخذ مجراه حتى اصدر الحكم
بالعقاب او بالبراءة. انجلبوا المتهمه.

احد القضاة : شاء سموه ان تمثل الملكة شخصيا امام محكمتكم الموقرة.
فأرجو السكوت والاصغاء.

(تدخل هرميون بحيط بها الحرس، وترافقها بولين وسلام)

ليونتي : ليعلن نص الاتهام.

كاتب الوقائع (يقرأ) : هرميون زوجة صاحب الجلالة ليونتي ملك صقلية
العظيم، الماتلة ها هنا متهمه بالحيانة العظمى، بارتكابها جريمة الزنى مع
بولكسان ملك بوهيميا، ومتآمرة مع كميليو على قتل زوجها ومولاه الملك.
وقد كشفت بعض الظروف والملاحظات خطتك الدنيئة، يا هرميون، حلافا
لما يجب عليك ان تبديه من حب ووفاء كاحدى رعايا الملك المبجل
الذي يتحنن عليك ان تدعي له بالولاء والاخلاص عوضا عن تسهيل مهمة
المتآمرين عليه ومساعدتهم على الهرب ليلا.

هرميون : بما ان ليس لدي ما تُرد به سوى نفي التهمة عني، وبما ان الشاهد الوحيد على براعتي هو الطفلة التي انتجتها من صلب الملك، فلا داعي لان اؤكد لكم اني غير مدنية. ولأن أُمّاتي انقلبت في نظركم الى خيانة فأنكم تعتبرون نصري حي هذا كاذباً. كل ما اعرفه هو ان كسيلو رجل شريف. لكن لماذا غادر البلاط، هذا ما تجهله الآلهة ذاقها لانها لا تعلم اكثر مما اعلمه انا.

ليونتي : انت كنت عارفة برحيله كما كنت عالمة بما كان عليك ان تفعله انشاء حياه.

هرميون : انك تتكلم لغة لا افهمها، يا مولاي، ولأن حياتي تحت رحمة تخیلاتك، انا اترك امري للأقدار.

ليونتي : اعمالك هي التي تدبئك. ولذا اطلب الاختصاص منك لانك انتجت لقيطة من صلب بولكسان. وهكذا نقلت كل حياه كأية رانية في مثل حالتك، وتكررت لكل اعتبار، فأصبح انكارك شامدا عليك ببت جرمك. ألا اعلم ان طفنتك قد أُلقيت خارجا لتحكم بمصيرها الاقدار، ما دام لا اب لها يحرف عليها ويحميها، ومسؤولة حفظها المشؤوم انت تحمليتها اكثر منه. فرفعي حكم العدالة الصارم الذي لن يكون سوى موتك.

هرميون : عطف تهديباتك، يا مولاي. ان العدالة التي تقصد ان تفزعني بها، انا ابحت عنها. لان الحياة لن ترأف بي بعد الآن ما دام هذا موقفك تجاهي. وهكذا اعتبر التاج والقرح والحبلة والاميازات جميعها باطلة، ولست آسفة على ضياعها من يدي. ان ابني البكر، هو ثاني ثمرة أُحرِم منها في الحياة، كأني مصابة بدهاء البرص. اما التمرة الثالثة التي جلد بها علي حطبي العائر، فهي ابنتي البريمة التي أُرُضعتها من ثديي ولم بجف حليبي بعد على شفيتها الطاهرتين حتى ارسلتها الى الموت الرؤم. ولقد شهّرت بي في كل مكان كعاهرة حقيرة لان حقدك الحيان حرمني مما يحق لي كوالدة مصيرة نظير اية سيدة في مستواي، وها انا مطروحة في هذا المكان، معرضة لجميع الريح الهوجاء التي تذهب بالبقية الباقية من قواي. والان قل لي، يا مولاي، ما هي السمادة التي اعشى فقدتها في هذه الدنيا وتحلني على الخوف

من الموت؟ واصل ظلمك لنا. انما اصغر الى ما اقوله لك: لا تحاكمني. فأنا لست متعشة بالحياة التي لم تعد تساوي عندي شروى بقر. أما نظرتي فأريد ان ابررها. ان حكم عليّ استادا الى شكوك لا يبرهاك يدعيها سوى حسدك وعيرتك، فأنا اعتبر ان عدالتك ليست الا ظلم واستبداد (لهيئة المحكمة) لتسمي هيئتكم الكريمة، يا سادة، اني خاضعة لتوجيه المشورة، وليكن ابولون فياني العادل.

الموجه الاول (لهرميون) : انت محقة تماما في طلبك. ولذا، باسم ابولون نستمع الى محتوى الاستشارة (يخرج بعض أركان المحكمة).
هرميون : كان والذي امبراطور روسيا. ليه الان حي ليشهد محاكمتي انا ابنت. ليه ينظر الى هول بؤسي وشقائي بعين الشفقة و الرأفة لا بعين البغض والانتقام.

(بعد اركان المحكمة، يجمع كلومان وديون)
موظف (في يده ورقة) : ستكلمان على سيف العدل هذا، بأنكما، انت كلومان، وأنت ديون، فجهما الى « دلف » ومنها عدتما بهذه الاستشارة المخومة، كما استطعناها من يد الكاهن الاكبر ابولون، وانكما منذ ذلك الحين لم تجسرا على نص الحتم المقدس، وقراءة السر الذي يحوي عليه.
كلومان وديون : قسم على صحة ذلك.

ليونتي : فطروا الآن الختم وقرؤوا.
الموظف (يقرا) : ان هرميون عفيفة وبولكسان لا لوم عليه، وكميلبو من الرعايا الامناء، اما ليونتي فطاغية حسود غيور، وابنت البرقة شرعية، والملك سيجما بدون وريث لذا لم يوجد ولي عهد المفقود.
الوجهاء : تبارك الكاهن الاكبر.
هرميون : المجد لحكمته الثريهة.

ليونتي (للموظف) : هل حقا قرأت ما هو مكتوب؟
الموظف : أجل، يا مولاي، حرفياً كل ما جاء في المستند.
ليونتي : لا صحة اذاً لما قرأت في هذه الاستشارة. فجلسة المحكمة مستفقد لان كل ما تلفظت به خطأ فاضح محض.

(يدخل معه رجال الملك بالنداء)

الرجل : مولاي الملك!

ليوتي : ماذا جرى؟

الرجل : مولاي، ستعني لاعتاني لك ما يلي: ان نجلك الأمير، لمجرد الوقوف على قصتك في المحاكمة، ولمجرد خوفه على مصير الملكة والدة، قد غاب.

ليوتي : كيف غاب؟

الرجل : لاأى سطة.

ليوتي : ابولون غاضب، والمساء داتها عاتبتني على ظلمي. (تقع هرميون مضياً عليها) وحده، ماذا حل بها؟

بولي : ألا ترى ان هذا النبأ قاتل بالنسبة الى الملكة؟ (اليوتي) اخفض نظرك، وعين ما فعل الموت.

ليوتي : خنوها من هنا. ان قلبها يكاد يتوقف اختناقا لكنها لن تحتم ان تعود الى وعيها. فأننا لا أصدق ما تخلفه من خدعات (لنساء الملكة) استخلفكن بكل عزيز ان تفلن لها كل عناية ورعاية لرد الحياة اليها. (تحمل بولس والنساء هرميون) سامحي، يا ابولون، على انتهاكي حرمة مشيقتك. سأصالح بولكسان، وسأهب ملكتي حيا جديدا، سأستدعي كميليو الكريم الذي أعلن ها انه رجل ثقة ووفاء ورحمة. اذ يجب ان تعلموا اني انجرت وراء جوري وغيرتي ورغيتي في حذر الدم انتقاما. لقد اخترت كميليو وزيرا وكلفته بسميم صديقي بولكسان، وكاد الأمر ينم لو لم يتأخر كميليو بسبب كبر نفسه وسمو اخلاقه في تنفيذ مشيقتي الذميمة العنيفة. فباطلا حاولت تهديده بالموت وترغبه بالعودة ان إمتل لإرادتي، لو خالفها. فهو بروح انسانيته وزهادة ضميره الحي كشف لضيقي الملك سر مؤامرتي مستغنيا عن كل ما له ها، كما تعلمون، من عز ومكانة عالية، وعرض نفسه للمذلة والهلاك، يشجعه على ذلك بلة واستقامته. فكم سميت فضيلته على حقارة معصيتي، وكم سؤدت شمقته ومروءته صفحة صفاتي وتصرفي السيئ.

(يدخل بولس بالنداء)

بولين : لتحل اللثة على الظلام المظلم. فكروا وثاني لو يقطعه قلبي الخفاق.

الوجه الاول : ما هذه البادرة، يا سيدتي؟

بولين (البوتني) : ما هذا العذاب المهورس الذي أعدته لي عن سابق تصميم ايها الظالم؟ ما هذه المتعة، ما هذه المشقة، ما هذا الأثوم، ما هذا الخلقين؟ اين الرصاص المصهور، اين الزيت المغلي؟ ما هذا العذاب القديم او الجديد الذي علي ان أقاسيه لاجل كلمات كل واحدة منها تستحق انزال اقصى عقوباتك؟ ان طميتك اسير حسنك وخيرتك، وأموالك صبيانية حتى في نظر الاولاد، وسخيفة حتى في نظر بنات الاعوام السبعة. ألا فكر بما فعلته، ثم افقد عقلك لان كل الحراوات الماضية هي جرائم النعمة الحاضرة. وعيانتك لولكسان لا تمد ظفاعة بجانب ثقلاتك الغبية وعقوقك النميم. لم يكن بالامر المقبول ان تعرض كميلو على قتل ملك، لان هذا يعتبر قذاعة بالنسبة الى انحطاطك الشنيع، ولا بالحدث المقبول ان ترمي بابنتك الطفلة الى الغربان، مع ان هذا العمل المخزي يعدّ الشيطان ذاته عظيما وهو الذي يستخرج الدموع من بين الالهب. انا لا أدبتك على قتل الامير مباشرة. لاذ ان فكرة الشرف ارفع من ان يدركها ذهن ولد صغير قليل الخبرة، لم يسمح ان يقبل فكرة اب شرس احق يدين له ويحكم عليها بالموت. لا ليست هذه الجريمة الاولى التي اجتركت مسؤولا عنها ولا الاخيرة التي تعلتها يا مولاي، وأنت تصرخ : الويل للملكة، اروع ملكة وأفضل مخلوقة كريمة، قلنها تضطك الحاقدة التي لم تسقط بعد من علاها.

الوجه الاول : ألا حمتنا القوات السماوية من الغدر والظلميان.

بولين : اعلن انها ماتت، وأنا مستعدة لان أقسم على صحة ما تقول. واذا لم يتمكم حلفاتي وتأكيدي، اذهبوا وهاينوا. فلن تمكتم من اعادة اللون الى شفيتها والبريق الى عينيها والحرارة الى جثمانها والنفس الى روياءها، سأعذبكم كما اعذب الآلهة لما اتت اليها الطاغية المستبد، فإياك ان تدم علي ما ماتت، لان ذكر الماضي ثقيل كالكاپوس على صبرك، وعذاب ضميرك سيقتض مضحكتك. استسلم بدون تردد الي يأسك للقتال. وعندما تجثو على ركبتيك الى الابد، عاريا صالما على رأس جبل موحش في شتاء قارس

البرد تصصف في لياليه الرياح الهوجاء لن ينسني لك استعطاف الآلهة ليرأف بك وتشملك من برائن المذاب والهلاك المحتم.

ليونتي . هيا ، لن تقي موضوع التنديد بي حقاً ، لاني أستمع كل ما تلقظه الامواه عني من بذيء الكلام.

الوجه الأول (لبرلين) : لا تصرحي بأكثر من هذا . مهما حدث ، انت مخطئة بما تقوحت به من كلمات جريئة قاسية.

بولين : انا مستاءة ، وقد ندمت على جميع ما ارتكبه من انطواء ، حالما انتهت اليها . يا للأسف ، لقد اظهرت كثيراً من الحساس بصفتي امرأة (تشير الى ليونتي) بعد ان رزىء في أعز عواطف قلبه النبل . الامر الذي انتفضي ولم يعد في الامكان التعويض عنه . يجب ان لا نذكره ولا نندم عليه . فلا تتألم بسبب تهجمي عليك . أتوسل اليك ان تعاقني بالحري على تذكرك بما كان عليك ان تساء . فاقفر ، يا مولاي السموح ، لمهومة مثلي . لان المحبة التي أكنها للمملكة تتعدى كل الحدود . فأننا لا نزال مهومة ، اذ يجعل بي أن لا أذكرك بعد الآن عن زواجك أو عن ولدك ، ولا أذكرك كفلك بزوجي النيل المفقود هو ايضاً . فاعتصم بكل ما لديك من صبر وكن وثقاً بأنني لن أنطق بحرف واحد بعد الآن .

ليونتي : لقد تكلمت انت بما يجب عندما كشفت لي الحقيقة . وأنا أتقبل صراحتك برحابة صدر اكثر من ترفلك . ارجوك ان تقودني الى جفتي زوجتي وابني اللذين أود ان أدمعهما في ضريح واحد أنقش على بلاطه سب مؤنسها الذي يصم جيني بالطار الى الابد . وسأزور قبرها مرة كل يوم ، والموع التي لزوقها ستكون اكبر نعمة لي في حزني وأساي . انقسم لك بأنني سأؤذي هذا الواجب المقرض علي كلما سمحت لي به ظروفي . فأرجوك ان تقوديني الى متع عذابي هذا الاليم .

المشهد الثالث

في بوهيميا - في منطقة جرداء قرب البحر

(يمل تيتون سحلا طفلة ويصيح بهتار)

تيتونون : هكذا كنت واثق بأن السفينة اقتربت من جرود بوهيميا.
البشار : أجل، يا مولاي، وأحشى أن يكون نزلنا إلى البر في وقت غير ملائم. الجو يبدو مليدا بالغيوم وينذر بهبوب عاصفة قريبة. ثم إن نفسي وضميري، وكذلك الآلهة، جميعها تنور على ما تنوي اقترافه من إثم، ولذلك نزلنا متجهمة وجهية الموبس.

تيتونون : فلتنم مشقة الآلهة المقدسة. عد إلى السفينة، واسهر على ما يجري على متنها، وأنا لن أتاخر في اللحاق بك.
البشار : عجل ما استطعت، ولا تنوغل بهذا في ذلك الجوار. إذ عن المرجح أن نواجه أنواء مزعجة، ولا نسن أن المكان يمتج بالوحوش الضارية.
تيتونون : اذهب وأنا أتبعك حالا.

البشار : اراني مسرورا لاني تخلصت من المشكلة.

(يخرج)

تيتونون : نحالي اجها الطفلة البريئة. لقد سمعت بلون أن أصدق، إن ارواح الموتى تستطيع العودة إلى عالمنا، فإن صبح ذلك، فقد تراءت لي امك الليلة الماضية، وحلمي لم يكن يوما أشبه بالتحديق منه الآن. ولقد تقدمت نحوي ذليلة مطأطأة الرأس، تميل تارة إلى هذه الجهة، وطورا إلى الجهة الأخرى، ولم اشاهدنا أبدا قبل ذلك محطة القلب تتجسد فيها الرقة والنعومة، وهي ترتدي ثوبا أبيض كالقندسين، ودنت من الحجرة التي كنت أترقد فيها، فاندحت ثلاث مرات أمامي، وكأنها فححت فلما لتنطق، انهمرت من عينها الدموع ثم هدأ روعها، وما عصمت أن تفزعني بهذه الكلمات: يا تيتونون الكريم، بما إن القدر بالرغم من حسن نيتك، قد كلفك بموجب قسمك، بأن تفي

طفلي، وبما أن في يوهيميا أصقاعاً بعيدة، أسألك أن تذهب وأنت تبكي وتتركها هناك تصرخ وتستجد، وبما أن الطفلة ممرضة للهلاك، لرجوك أن تدعوها برديتا، ولكثير عن مهمتك هذه غير الانسانية التي فرضها عليك مولاي، لن ترى أبداً زوجتك بولين. ثم توارت في القضاء والدموع تملأً محمريها. حنت في بادئ الأمر، ثم عدت إلى وعيي وعلت هذه الرؤيا حقيقة لا خيالاً. ومع أنني اعتبر الأحلام أموراً صيانية، أجدني متشاكساً هذه المرة وأود أن أستلهم تفاصيل ما شأدت. أعتقد بأن هرميون لأنت حفيها، وإن أبولون يرغب في أن تكون هذه الطفلة، وهي حقا ابنة الملك بولكسان، ودبنة هناك، فيكون صبيها أن تحيا أو تموت على أرض والدها الحقيقي. (يضع الطفلة على الأرض، ثم يضع إلى جانبها رزمة وكسا مملوءة ذهباً). أمل أن تحي هنا، أيتها الزهرة النضرة. استريح في هذا المكان الموحش، وهذه علامة للعزى عليك، وهذا أيضاً بعض المال. فليحالفك الحظ. إن هذا الذهب ضماناً كافية لثريتك، أيتها الطفلة الجميلة، بل يفرض عن الحاجة. (يبرق السماء وقرعده). ها هي العاصفة قد هبت. يا لك من صغيرة مسكينة، تعرضي إلى الأهمال والخطر بسبب جريمة اتهمت بها أمك. أنا لا أسمعني إن أبكي، أسألك أن تظفر حزناً عليك، وأنا أستحق اللعنة، ما دام قسي يجبرني على التصرف بمثل هذه الصرامة. الوداع. ها هي جماعات الليل تزحف، وضجيج الأنواء يهددك بقسوة لتنامي من شدة الأعياء. لم أبهر السماء في حياتي هكذا دكناء (يُسمع زئير) ما هذا الصوت الوحشي؟ لرجو أن أصل إلى السفينة سالماً. فها هي مطاردي قد بدأت، وأنا لا محالة هالك. (يهرب أمام ديب يلاحقه).

(يصل رابع عيون)

الراعي : كم أود أن لا يمر العمر مسرعاً بين السنة المباشرة والثالثة والعشرين، أو إن لا يكون الشباب في هذه المرحلة سوى وقاد طويل الأمد، إذ في هذه الحقبة لا يجد عملاً مثل إخصاب الفتيات، ولعانة المتقدمات في السن والاختلاس والمشاحنة بلا رؤية. (يسمع زئير بعيد ودوي رعد). هل تسمح هذا؟ ألا غل لي، بربك، إن كان غير دماغ طائش بين التلعة عشر والثانية

والعشرين من العمر، يصطاد في مثل هذا الطقس الرديء. لقد سبب هذا
 المستهتر حرب اثنتين من أفضل خرافتي، وأخشى أن يلتقيا بالذئب بدلا من
 راعيها. اد فذر لي ان اجدهما في مكان ما فعلى شاطئ البحر وهما
 يرعيان الغنم. ارجو من حسن ظاهي ان يستجيب دعائي. ما هذا؟ (يلم
 الطفلة) رحماك اجها السماء هذا رضيع جميل الطلعة. هل هو صبي ام
 بنت؟ لأفحصه. هي طفلة رائعة. لا شك في ان احد قساة القلوب قد
 رحماها هنا. اذ بهما كنت جاهلا، انا على يقين بأن وصيفة اسرة عريقة
 قد رمتها وهربت، وانها حبيبة مجنون مجاجيء على درج او في حجرة
 صغيرة او زاوية متعردة، وان من اشرك في هذا الطوش كل ينعم بالدفء
 اكثر من هذه الطفلة النبوة الملقاة في هذا المكان الموحش. انا اشفق
 عليها وأود الاحتفاظ بها. على كل حال، سأنتظر وصول ابني الذي أسمع
 صوت تلكه نعلالي الي، انا هنا.

(يدخل مبرج)

المهرج: هلا، هلا، هلا.

الواهي: هل كنت هناك قريبا من هنا؟ يُخيل اليّ انك تريد أن تروي
 لي حادثة طريفة قبل أن نحين وقتي وتبلى عظامي، فاقرب اذا مني. ماذا
 دهأك، يا بني الشجاع؟

المهرج: لقد عاينت مشهدين مؤثرين للغاية: الواحد على الارض والآخر
 في البحر. انما لا يحسن ان ادعو هذا بحراء اذ ليس هناك سوى الماء
 والسماء وبين الفلك والبحر لا يمكن ان يكون المدى اوسع من غرم الامة.

الواهي: هيا يا بني، قل لي ماذا رأيت؟

المهرج: كنت أود ان ترى بأَم عينك ونسمع بأُذُنك دويّ العاصفة، كيف
 سجار وكيف ترتطم بالشاطئ. ولكن ليس هذا كل ما أعنيه، يا لها من
 صرخات أليمة صاعدة عن نفوس مسكينة معذبة، كنت نارة أبصرها، وطورا
 لا ابصرها حتى خيل اليّ في لحظة من اللحظات ان السفينة تكاد تخترق
 سطح القمر بعالي صاروها، وبعد هبة كان هذا القمر قد ابتلعه امواج
 البحر المزينة فبدأ كأنه سداة خيفة ملقاة في برميل ضخم. لتعقل الآن

الى ما جرى على الارض. لبتك رأيت كيف كان الدب ينهش لحم كتف ضحيته، وكيف كان المفدور يستجد يه، ويهتف انه يذبح التيفون وأنه مولى خطير. لكن لكي أخلص من السفينة كان عليّ ان أعطي كيف صدمها موج البحر الهائج، ثم كيف كان اصحاب الفوس المضطربة يرفعون وكيف كان البحر يهزأ بهم. وكيف كان لوجيه المسكين يرأر، وكيف كان الدب يتحكم عليه، وكلاهما يزعجوان بصوت اعلى من هدير البحر ومن دوي العاصفة.

الراعي : رحماك! اينها السماء! متى شاهدت كل هذا، يا ولدي؟
المهرج : في هذه اللحظة، في هذه اللحظة بالذات. لم تغمض لي عين منذ ان عاينت ذلك. فالرجال لم يبرد جنتهم بعد تحت الماء، والدب لم يترس نصف الوجيه بعد، فهو لا يزال ينهش لحمه.

الراعي : كم وددت ان اكون حاضرا لأسعف هذا المجرور!
المهرج : انا أسف، لأنك لم تكن قريبا من السفينة لتجده. أعتقد بأن قواك، بالرغم من شفتك وعزيمتك، كانت انتهزت هولا، لا محالة.

الراعي : ما أقص هذا الحال. لكن انظر الى هنا، يا بني، وقرّ عينا. لقد صادت انت منارحين يغالبون سكرات المتون، وأنا لغيت طفلة في الانماط، لا حول لها ولا حيلة. هذا مشهد يهتك كثيرا. أنظر الى هذه الأسمطة التي تليق بأمر. انظروا انظر (يره كيس الذهب) النقطة، النقطة، يا ولدي وانضمه. أرني ما فيه. لقد قبل لي منذ مدة ان الجن سيوجدون عليّ بثروة طائلة فأصبح غنيا. وما هي هذه الثروة تهبط علي مع هذه الطفلة المترعة من مهبها. الخ. ماذا ترى، يا بني؟

المهرج (يعرج قبضة من القطع الذهبية) . لقد اصبحت في الواقع غنيا، يا صاح. ان غفرت لك خطايا شبابك، ستعيش حتما في بعيوطة ورعاء بفضل هذا الكيس المحشو ذهباً.

الراعي : هذا ذهب سحري، يا ولدي. عذره واربط الكيس جيداً. وعلما نرجع الى بيتنا من أقصر الطرق. حفظنا غارق، يا ابني، ولكي نحافظ علي

سمعتنا يجب علينا أن نصون لساننا دع عرمني تنصب، وهما هنا يا ولدي
إلى بيتنا من أقصر الطرق.

المهزج : من أقصر الطرق، ومعك لقيتك انا ذاهب لأرى ان كلان الدب
قد ترك شيئا من الوجبة، وكم أكل منه فان الدببة لا تهاجم إلا عندما
تكون جائعة. فان وجدت هناك بقايا من عظامه، دفنتها.

الراعي : هذا عمل صالح، تُشكر عليه. وإن أمكنك أن تعرف من أشلائه
من هو، تعال أخبرني كي نلزمه.

المهزج : والله، بالصواب نطق، وستساعدني على دفعه في الأرض.

الراعي : هذا يوم سعيد، يا ولدي، فلنرغب بما اخذته علينا من نعم جزيلة.

(بمهر جان).

الفصل الرابع

المشهد الاول

(بدل الزمان مثلاً في جوة مرمن)

الزمان : انا الذي ارضي البعض، وأدوِّخ جميع الناس، انا الذي أفرح الانبياء
ولأروخ الاشرار، انا الذي أَسبب الأخطاء وأكشفها، أتعهد بصفة كوني الزمان
أن أبسط جناحي في الفضاء الرحب وأنخطي ستة عشر عاماً. وإذا تركت
هذه الفترة الطويلة الانتقالية بدون استثمار، فإن باستطاعتي ان اقلب الشرائع
وفي ساعة مباحة، ان ارسخ لو أنشع لمة علة من العادات التقليدية. دعني
أمر كما كنت قبل ان أنظم الطريقة القديمة او الحديثة التي عالجهها اليوم.
كنت شاهد المصور التي ولدتها كما سأكون شاهد الوسائل الحديثة في
المصائر التي ستسيطر عليها. وسأجعل يريق الحاضر يخبر لاذ أنشع عليه
عمر روايتي القديمة. أستاذك، وأقلب مرمتي، وأعجل في مسيرة الأحداث،
وكأنتك تستيقظ من رقاد طويل. لقد لقلع ليونتي عن الانقياد الي حسده
الجواني وغيرته الممياء. ولذا عصر الالم قلبه لجا إلى العزلة والازواء. نصور،
ايها المشاهد الكريم، انني الان موجود في بوهيميا الجميلة، ولا تنس اني

ذكرت لك اسم ابن ملك تلك البلاد، وهو المدهو فلوريزال. أسمعني؟ سأكلّمك بنفس الحماس عن برديتا التي متت في احضان العز والرفعة والمجد. يا ترى، ماذا يكون مصيرها؟ لا أريد أن أستيق الاوان وأنعك عم، بل اترك الوقائع الجديدة تبرره لك في حينه. لأن مصيب ابنة الراعي وما سيجري لها من مغامرات هو موضوع الساعة الحاضرة. جد عليّ بصبرك، إن لم تفاجئك الظروف بما هو أسوأ. وإلا فالزمان ذاته يكشف لك بصدق وإخلاص كيف يتسنى لك أن لا تستخدم قلباته بطريقة مشؤومة.

(مخرج)

المشهد الثاني

في بوهيميا - في القصر الملكي

(يدخل بولكسان وكميلو)

بولكسان : أرجوك، يا كميلو الكريم، أن لا نصافحي أكثر مما فعلت. يؤلمني جدا أن أرفض طلبك، لأن في نيتي موثي الاكيد. كميلو : لم ارر بلادي منذ خمسة عشر عاما. وقد عشت معظم أيام حياتي في الغربة حيث لا أود أن تدفن عظامي. من جهة أخرى، مولاي الملك الثالث، قد أرسل في طلبي، لاني قادر على مواساته في شدته، كما أمل، وأعتقد بأن ذلك يحممني على الرجوع الى مسقط رأسي. بولكسان : إن كنت تحبني فعلا يا كميلو، لا تضئح جميع ما قدمته لي من خدمات سابقة، وتتركني الآن في محنتي. إن حاجتي ماسة إليك أنت الذي بهتي اليها وكم كان أعمون عليّ أن لا اعرفك من أن اتذك بك مثل هذه السهولة. وبما أنني باشرت في أمور لا ميبيل لاحد أن يرعاها نظيرك،

عليك ان تبقى الى جانبي لكي ندمرها بنفسك، ان لم نشأ ان تهدم بنمابك كل ما بينه لخيري بما اسديته الي من خدمات جليلة. ربما اني لم احسب لقيامك اي حساب، لواني الا ان غير قادر على الاستناء عك. لست ادري كيف اشركك على معروفك. فحرصي من الان وصاعدا على الاحتفاظ بمودتك وعونك سيكون صعبا. اما هذه الجزيرة المشؤومة صقلية، فأرجوك ان لا تأتي امامي على ذكرها بعد اليوم. فإن صدري ينقبض لمجرد سماع اسمها، الذي يذكرني بأخي الملك القاتل كما يدعوه. لأن فقد زوجته الملكة الراحمة وولديه هو منتهى شقائه المنجدد باستمرار. قل لي متى شاهدت اني الامير ملويزال؟ كم يتحنى الملوك الاشقاء أمثالي الذين يفقدون اولادهم ان يحتضلوا بهم احياء، حتى ان كانوا معاقين متخلفين، عندما يكونون واقفين من نصيبتهم.

كميليو : منذ ثلاثة ايام، لم ابصر الامير، يا مولاي. عمادا يشغله عنا يا ترى ؟ هذا ما لا علم لي به غير اني لاحظت، يا للأسف، انه مغيب عن البلاط منذ بضعة ايام، وأنه لا يواظب كالعتاد على ممارسته الاميرية. بولكسان : لقد غطرت بهالي نفس هذه الافكار، يا كميليو، وهذا ما يلفتني، الى حد اني بنتت العيون لمراقبته في عزله. وهكذا علمت بأنه يتردد بصورة مستديمة على راع وضيق، كان في الماضي، كما قول لي، رجلا معدما لا يساعده احد، والآن لا يدري حتى جيرانه كيف توصل الى التثاء ثروة طائلة غامضة المصدر.

كميليو : لقد سمعت الناس يتحدثون عن هذا الرجل، يا مولاي. وغيل لي ان له ابنة قل ان تمتع بنات جنسها بمثل جمالها الرائع وخصالها الممتازة، وقد ذاع صيتها بشكل غريب عجيب لا يصدق بعد ان عمت شهرتها الارحاء منطلقة من كورعها الحثير

بولكسان : هذا ما تبني به معلوماتي ايضا. غير اني أعتنى ان تتحقق هذه الصيادة ولدي ران تجتذبه الى العنصر على طعم صانرتها في غائمة المطاف. سترافقي في الذهاب الى ذلك المكان. لأنني أفضّل ان اطرح على الراعي بعض الاسئلة بدون ان يعرف من انا. ولا اخال صعبا ان أستخلص من

سأطه سر موافقة ابني على التردد اليه. ارجوك ان تساعدني في هذه المهمة
أن تدع جانباً تفكيرك في صقلية.
لميلو : سمعا وطاعة، يا مولاي الكريم.
ولكسان : حلت عليك البركة، يا كميلو الأمين. هيا نتكرو.
(يخرجان).

المشهد الثالث في بوهيميا — عبر الحقول

(يدخل لوتريكوس)

لوتريكوس (يتشدد) : عندما الترجس يهر
وأكاف الوادي تنمطر
يهبط الوحي على المتمد
فوق وشاح الثلج المتجلد.
وفي ربي الورد والياسمين
يفرد المصفور للرياحين
ناشرا بهجة العيش الرغد
في الناس كأيام الصيد السميد
ها هي القبرة والبنفسجة
وطائر الباز والموسجة
تنسجم كلها لتعمم بالهاء
كأنها تهزج من بعد العناء

أقد خدمت الأمير فلورنزاله وفي أيام العز لرتدت الحرير المصنوب.
 لكنني الآن بعيد من هذا الامتياز المشرف.
 غير أنني لن احزن يا عزيزي
 اذا ما البدر غاب عن ليالي
 كي أتبه في مغامرة جريئة
 ثم أرتد عن غلطتي البذيئة
 واذا ما اتست في وجهي السيل
 ونشر سري في الدرب الطويل
 فنور الحق يهديني ويهديني
 الي حيث يرتاح قلبي ويسعدني.

انا أتاخر بمختلف السلع، سيما الطيور تني أعشاشها والقطس ترتفع أسعاره.
 ابي دعائي لوتوليكوس لاني ولدت في حمى زحل، فكان نصيبي ان التعاطي
 اختلاس ما صغر حجمه من الاصناف. فالايو والخيوط في أيدي البنات
 التشيطات قد حاكت لي هذه الحلة لأزّين بها حصاني، وأتأهي بها عندما
 أمارس مهتي بمهارة للصوم. اما المشاق التي تؤدي إليها السرقات الكبيرة
 بعد الجهد بالمباط، فالاختناق بحبالها يرعني ويطيّر له صولبي، ويهيب بي
 للرجوع عن عني وسلوك الطريق القويم، مع العلم بأني لا أبالي بمستقبل
 حياتي. (يرى المهرج) ها هوذا سيد سمين.

(بمثل المهرج)

المهرج : لندرس المسألة. احد عشر خروفاً تعطي خمسة وعشرين أقة من
 الصوف. وخمسة وعشرون أقة من الصوف تساوي ليرة استرلينية وثلثا واحدا
 تقريبا. فكم ثمن الف وخمسة عشرة جزء من الصوف؟
 اولوليكوس (على حدة) : اذا اطبق القمح فكّيه، سيكون الحجل من نصيبي.
 المهرج : انا لا يعني ان احسب هذا بلون ورقة (يسحب من جيبه ورقة)
 ماذا عليّ ان اشر لعبد جزائنا؟ ثلاث أقات من السكر وخمسة أقات من
 الكروية والارز. فمافنا فعل اختي بالارز؟ هذا لا يعني لأن ابي هو الذي

لأرسل إليها أعداد حفلة العيد، وقد سجلت جميع ما يلزم. ها قد صنعت
خمسة وعشرين ضمة للجزائريين، وكلهم يدرسون ثلاث طبقات من الأصوات،
وجميعهم يحفظون الأناشيد. لكن أغلب أصواتهم من الطبقة الوسطى والصنعة.
ويهمهم عزيمت يرافق أشاده بمزامير القرية. لا بد لي من إحضار الرعمران
لثوبين قرص حلوى الأجاص. إن حب الهال والملح لا حاجة اليهما. لأنهما
غير مسجلين، بل يلزمني سبع حبات من جوز الطيب وجنفر أو اثنين من
الزنجبيل، وهذا يكفي الحصول عليه. ثم أربع أقات من الخوخ المجفف
ومثلها من الريب.

أوتوليكوس (يزحف على الأرض): آه! لماذا أتيت إذا إلى هذا العالم؟
المهرج (يندفع نحوه): باسم السماء، لا تتذمر.
أوتوليكوس: النجدة، النجدة! خلصوني من هذه الأسماك البالية، وإلا مت.
المهرج: وأسفاه! أيها المسكين، عوضاً عن تنظيفك من هذه الأسماك،
أراك بحاجة إلى استبدالها بغيرها نظيفك وتستر جسمك.

أوتوليكوس: يا سيدي، إن التفرز الذي تثيره في هذه الأسماك يؤلمني أكثر
من سيور الجلد التي رلت على ظهري بقساسة وبأعداد لا تحصى تناهز
المليون.

المهرج: لهفي عليك أيها الثمير! إن مليون جلدة تمر عليك أوّل الولايات
وتؤدي بك حتماً إلى الموت الزؤام.

أوتوليكوس: لقد تعرضت للسرقة والسرق، يا سيدي، عندما جردت من
دراهمي ومن ملاسبي، وأقيت عليّ هذه الأسماك المهلهلة الذرية.

المهرج: ومن كان الجاني، فلارس أم راجل؟
أوتوليكوس: هو راجل، يا سيدي المطوف، هو راجل بدون شك.

المهرج: في الواقع، لا بد من يكون راجلاً، إذا نظرنا إلى الملابس التي
تركها لك. لو كانت تخص فارساً لكنت أفضل من هذه بما لا يقاس.
هات يدك لأساعدك. هيا، هات يدك.

(يساعده على الوقوف)

أوتوليكوس : أرجوك يا سيدي الحقن ان ترفع بحالي. آه!

المهرج : لهفي عليك، ايها المسكين.

أوتوليكوس (ينقاد الى المهرج) : أرجوك، ثم أرجوك يا سيدي، ان ترفع بي، لاني اعشى على لوح كظي من ان يفصل عن بدني.

المهرج (يسنده) : ماذا تقول؟ ألا تقوى على الوقوف؟

أوتوليكوس : مهلاً، يا سيدي. (يمد يده الى جيب المهرج ويبحث) لوف بي، يا سيدي. لقد اسليت الي بصيحتك هذا معروفا لن انساء ما حيث.

المهرج : هل انت بحاجة الى المال؟ يمكنك ان اعطيك قليلا من.

أوتوليكوس : كلا، يا سيدي الكريم، كلا. أستعملك بكل عزيز. انامي حوالي ثلاثة أوباع العمل حتى اصل الى قريب لي كنت معوجهاً اليه، وهو يعطي كل ما أحتاج اليه. فأرجوك ان لا تقدم لي مالا، لان هذا المرض يحتر في قلبي.

المهرج : ما هي هيئة الفتى الذي سلبك؟

أوتوليكوس : هو غبي، يا سيدي، كأمثاله الذين كنت اراهم قابعين تحت القناطر. ولقد شاهدته في الماضي يخدم في قصر الأمير. لا يخفي ان اقله يا سيدي الكريم، لاية فضيلة قد طرد من البلاط.

المهرج : لأية فضيلة؟ بل قل لاية وذيلة. إذ لا احد يطرد من البلاط بسبب فضائله. لذا بكرم الفضلاء، ليقرأ، ومع ذلك لا أثر للفضيلة هناك الا بالفكر فقط.

أوتوليكوس : قصدت ان اقول بسبب قبحه، يا سيدي. انا اعرف جيداً هذا الرجل. لانه بعد ان اصبح مرقص فرود ثم حنجب محكمة ثم عارض طرائف بادرة ودمى متحركة، تزوج امرأة صانع لفور نحاسية وراح يتجول ليحيا ضمن دائرة ميل من مشغله حيث تقع املاكه وأراضي. وبعد ان انتقل من مهنة حقيرة الى مهنة أحقر، استقر على السرقة والاحتيال، والبعض يدعونه أوتوليكوس.

المهرج : بسر مصيره من لس دنيا أقسم لك بحياتي، انه محال خطير، يروى المجتمعات والسهرة والأسواق ومصارعات الدية.

أوتوليكوس : أحببت، يا سيدي. هو بعينه العلاج الذي سعلنا عليّ وتركتني في هذه الحالة الزرية.

المهرج : ليس من نضال أجبن منه في كل يوحيميا. كلنا عليك أن نحرّم لمرّك وتبصق علي وجهه مهرب مهرولا.

أوتوليكوس : لا بد من أن أبوح لك، يا سيدي، بأنّي لست من المقاتلين. فالجراحة تقصّي من هذه الناحية، وأنا واثق بأنّه يعرف عليّ.

المهرج : كيف حالك الآن؟

أوتوليكوس : لا بدّ لي من أن أبوح لك، يا سيدي، بأنّي لست من المقاتلين. وأتري أن استأذّنك بالرحيل علي مهل، وأتوجه الي نسبي.

المهرج : أتريد أن أوصلك الي الطريق؟

أوتوليكوس : لا، لا، يا سيدي الكريم. اشكرك.

المهرج : الوداع إذاً. عليّ أن اذهب لشراء بعض البهارات لأجل عيد جزّات الصوف.

أوتوليكوس : أتمنى لك حظاً سعيداً، يا سيدي العطوف. (يخرج للمهرج) ادع، فإنّ محفظة نفودك ليست مليئة لشراء البهارات، رسألتك بك الي حقلة جزّات الصوف. فإذا لم أحوض هذه السرقة بغيرها، وإذا لم أستعجّر لنا عدداً كبيراً من الخراف، أنسر مهارتي وينوّن اسمي من الآن وصاعداً في سجل اهل الفضيلة.

نعالّ نمرح، نعالّ نمرح

عليّ الدروب نهزج ونفرح

نلقب الخالي لا يالي

ولا بضه سهر الليالي.

(مخرج)

المشهد الرابع في بوهيميا - داخل كوخ

(يدخل فلوريزال وبرديتا جنباً إلى جنب)

فلوريزال (متكبراً يزي راج): هذه الملابس غير العادية لكل من مناسباتك الحلوة، تزيد العمر طولاً وبهجة. فأنت لست براهية، بل أنت زهرة تنضجت في مطلع نيسان. وعيد الجرات هو بالحري اجتماع آلهة لطيفة أنت ملكتها. برديتا: مولاي الجليل، لا يبق لي أن ألومك على مفالاتك، فأعذرني لذا اشرت إليها. انك أخفيت شخصك البيل، قبلة هذه لبلاد، تحت ملابس الرعاة هذه، وأنا الفتاة النحيلة قد أبرزتني كآلهة. من حسن حظنا أن نعيدنا تتيح لنا هرح المآدب التي يشيل الناس على مآكلها الدسمة ويهضمونها كالعادة. وإلا كنت نخبجت من لوتداتك هذه الثياب التي تظهر فيها كأنك ألفت على تذكري بما كان عليّ أن أرتديه.

فلوريزال: انني أبارك اللحظة التي طار فيها صفري عبر حقل والدك. برديتا: أنسى أن يجعل الإله المشتري الحق لي جانبك. الفارق بيتاً، في الواقع، يقلني. فإن سموك لم نحدد الخوف، بينما أنا في هذه اللحظة أرتجف لصكرة أمكان مرور والذي صدفة في هذا المكان، كما حدث لك أنت قبل. ليتني اعرف موقعه عندما يعلم أن لآبته علاقة بفتاة من هذا المستوى الوضيع. ماذا يقول؟ وكيف يتسنى لي أنا أن أتحمّل نظراته على سوء هذه القناديل الكاشفة التي تزين احتفالاً كهذا غير مأثوف بالنسبة إليّ؟

فلوريزال: لرجو أن توافقي دائماً في الأفراح. لا تنسى أن الآلهة ذاتها حين تتدلل ألوهيتها أمام جيروث الحب تتخذ أشكالاً غريبة من الحيوانات. فتشلا صبح المشتري ثورا وزمجر، وأمسى نبتون الفجّ كبشاً وثغا وإله النار، وإله الذهب، وأبولون قد صار راحياً نظيرك في هذه اللحظة. ولم يكن تحولهم

هذا إلا ليزيدهم جمالاً وسماءً وعفةً، ما دامت رغباتهم فيه في ما وراء حدود الشرف، وشهواتهم ليست أقوى ولا أحر من إيمانهم.
برديا : لكن تصميمك، يا مولاي، لا يمكنه أن يجابه سلطة الملك الذي سيضطر حينئذ إلى اللجوء إلى أحد حليين: إما أن تقطع عن مشروعك أو أن تفقد حياتك.

فلورينزال : عزيزي برديا، أرجوك أن لا تقلقي لهذه الأفكار المخاطنة ولا تتوَجَّسِ خوفاً من فرحة هذا العهد. سأكون لك، يا حبيبتى، ولن أكون لوالدي. لأنى لا أستطيع أن أسطر على نفسي ولا أن يمتلكني أحد، إن لم أنصّبك أنت بالذات. لقد قررت هذا، حتى إن عائدتي الظروف والأقدار. فالزنى المرح يا صديقتى، وإطردى عنك هذه المخاطر المزعجة. ها هم صيوفك قد اتلوا. فاجتسمي وليظل معياك الصبوح مشرقاً كما لو كان اليوم عرسك الذي أقسمنا كالآنا على إحيائه في يوم غريب.

برديا : ليت حسن الحظ يشملني برعايته الخاصة في هذه الظروف! (يسلم فراسي، ثم يولكسان وكسليم يحكمون ثم للمرح ومبا وركاس وغيرهم).
فلورينزال : ها هم صيوفك قد اتلوا. فاستعدي لاستقبالهم بسرور، فحوردهم انشراحاً.

الواعي (لبرديا) : تبا لك يا ابنتي. عندما كانت زوجتي على قيد الحياة في مثل هذا الوقت، كانت تهتم بالخيز والشراب والطعام، كسيدة وخادمة للترفيه عن الجميع، تمنى وترقص ثارة فوق طرف الطاولة وطورا في وسطها متوكئة حينا على كتف هذا الضيف وحينا على ذاك، وخداها متوردتان من الحركة. وعندما تروي عطشها بكأس شراب تقدم لكل واحدة من ضيفاتها جرة. أما أنت فتصير في رابوة كأنك ضيفة لا مضيفة لجميع الحاضرين. أرجوك أن تكرمي هؤلاء الأصدقاء، وإن كنت لا تعرفينهم بعد، لأن الفضل طريقة لتوطيد صداقتنا الحميمة هي إنشاء علاقات طيبة مع المجموع. ها، تنشطى وأرنى ما أنت قادرة على عمله كسيدة هذا العهد. ها، ها استقبلي الجزاكين إذا أردت أن يزدهر قطيعك الممناز وينمو انتاجه.

برديا (لبولكسان) : اهلا بك يا سيدي. لقد شاء لي أن يحسن استقبالك

في هذا النهار. (لكميليو) مرحبا بك انت ايضا يا سيدي. ناويسي هذه الزهور يا دركاس. ارجوكم، يا سادتي المحترمين، ان تقبلوا هذه الزهور البهية التي تحتفظ بتضارتها ورائحتها طووال ايام الشتاء، فهي خير تذكّار لهذه المناسبة السعيدة. اهلا بكم، شرفتم عيدنا.

بولكسان : شكرا لك ايها الزائفة الجميلة. احسنت صنعا بتقديم هذه الازهار الشائبة لنا ونحن في هذا العمر.

برديتا : السنة تشرف على نهايتها، يا سيدي، في فترة لواخر هذا الصيف الذي لم ينته بعد، ولم يبدأ فصل الشتاء البارد المتظر. أعتقد بأن اجمل زهور هذا الفصل يمكننا ان نذكر القرنفل والمتور اللذين يمتزجها الناس من مبهجات الطبيعة، وكلاهما لا وجود لهما في حديثنا القروية، وأنا لا اكثرت لحياتهما.

بولكسان : لماذا، ايها الفتاة الحلوة لا نبالين بهما؟

برديتا : لاني سمعت انهما، في فن تنويمهما، تحتاجان الى عون طبيعي خلّاق. بولكسان : وعندما يتم ذلك لا يسع الطبيعة ان تكامل الا بما تبتدعه هي نفسها من تطور. وبذلك يكون الفن الذي يساهم في التجميل منتقاً من الطبيعة ذاتها. وهكذا، ترين ايها الصبية الزائفة ان لا بد من تطعيم الجرح البري بنضن مضر للحصول على نوعية افضل، وبهذا الاسلوب نجعل القشرة الخشنة تستمد النعومة من برهوم كريم الاصل، وهذا فن رفيع قائم بذاته لتغيير أوصاف النبات وتحسينه عقوبا بواسطة ليست عريضة عن الطبيعة ذاتها. برديتا : هذا ما يجري فعلا.

بولكسان : فما عليك الا ان تزودي غني حديقتك باضافة القرنفل والمتور الوها ولا تهتمي بما يُعتبر تطويرا في الارهار.

برديتا : انا لا احب ان اغرس في الارض نباتات مختلفة لجعلها كلها فصيلة واحدة، كما اني لا اشتهي ان اضع على عدي احمر لاجتذاب هذا الشاب الممجب بي واقرائه بمجرد حمله على تأمين افراح الامومة لي. هذه الازهار تمجيد: الخزامى والمنتع والمردقوش والمخطمي الذي ينلم مع غياب الشمس وينهض مع اشراقها، وقطرات الندى كدموع العذوى على وجته. هذه هي

ازهار منتصف الصيف، وأعتقد بأن تقديمها يليق بالرجال المتوسطي العمر.
فأملا وسهلا بكما.

كميليو : لو كنت من فطيمك لكففت عن الرمي، لكي اشبع فقط من بهاء
طلعتك.

يوديعا : آسف ان يصيبك الهزال حينئذ، وتجعلك رياح كانون الثاني ترتجف
من شدة البرد. (فلوريزال). كم أتسى، يا صديقي العزيز لو ان لدي ازهارا
ريحية تناسب نضارة شبابك (للقرويين الشبان) وأنتم ايضا (لسائر القرويين)
وكذلك اتم الذين لا يزال عفوان الشباب يتدفق في عروقكم طافحا بالحياة
والبهجة. يا بروسباريس، كم أؤد ان تكون لدي ازهار، سقطت اثناء طوعك،
من عجلة الآله بلوطون. ان الترحس الذي يسبق عودة السنول في مطلع
الربيع، بأسر رياح آذار برودته، والنفخ الغامق المتضوع عطره اكثر من
رموش عني جيتون واريج الفاس عشتار، وازهار الربيع الشاحبة التي يقضي
عليها مرض المقسم الممتني في بعض العذارى، قبل ان تعرف الآله هابوس
منجيا بعظم قدرته، وغيرها من الازهار الريحية كالسوسن والزنبق التي احتاج
اليها لأضفر منها لك، يا صديقي الحلو الرقيق، اكليل مجعد ألّوج به رأسك
العالي.

فلوريزال : ماذا تقولين؟ لتجعلني مني جثة في نعش.

يوديعا : بل فراشا من الورد للاستراحة عليه في ملاعبات الحب، لا جسما
هامدا ينتظر الدفن، انما غصن بان ناهض بالحياة بين فراشي. هيا عذ ازهارك.
يُحِيل اليّ اتي هنا شخص كمالي نظير عدد كبير من الذين ولتهم يزيتون رقصه
الرعاة في عيد الربيع. في الواقع، أعتقد أن الثوب الذي لوتديه له كبير
الأثر في تبدل مزاجي.

فلوريزال : ان ما فعلته الان افضل بكثير مما صنعت في الماضي. فعين
تتكلمين يا فتاتي الحلوة، أود ان لا انقطع عن سماعك تشدين، وعندما
ترسمين يحلو لي ان اراك هكذا تبحن وتشتوين وتصلفين وتصلين، كما
أتنى ان تشتغلي وأنت تفنين. وعندما ترقصين يسرنى ان اراك كموج البحر
تتحركي، وأنت توافيق على ذلك باستمرار بدون ان تتعاطي ابدا امرا سواه

لأن تصرفك جميل في أدق تفاصيله، يوج على الدول كل أعمالك كأنك ملكة رائعة للجمال كاملة الخصال.

برديا : ما أفصحك في اطرائي، وما ليلتك في التعبير عن شعورك الفياض. من حسن حظي ان يكون جمالك وثقاه ذلك الذي يورد عليك، اقوى دليل علي انتمالك براءة الي جماعة الرعاة. وإلا، حشيت يا معبودتي، ان لا تكون عاشقا حتما وغيا.

فلوريزال : لا مجال لتطرق الخوف الي قلبك، ولا لكشك بولهي واختلاصي. لكن تمالي فرقص، مات يذك، يا برديا، وهكذا كشاك ارواح المحبين في اتحاد ابدي لا يشره الانفصال.

برديا : اقسم لك بأني لا أنسى غير ذلك. (يمشي فلوريزال وبرديا متباطئا كل منهما ذراع الآخر وهما يحدثن).

بولكسان : ها هي اجمل فتاة رأيتها تصني على المرج الاخضر، وكل حركاتها وسكاتها لا لروع منها ولا لرفع، تسمو بها حولها في كل مكان مشرف. كميلو : ان ما يقوله لها من شأنه ان يصعد الدم الي وجتها حياء في الحقيقة هي ملكة كل ما يمت الي الحليب والزبدة بصفة.

المهرج (يتحاصر ميسا) : ها اعزقوا لنا لسنا بديع.

دركس (طلي حدة وهي تراقب المهرج) : ان كنت تفضل ميسا فما عليك الا ان تتاول قليلا من النوم لتجو من قبلات سولها.

ميسا : هيا اتبع الاقاع.

المهرج : لا تلفظي كلمة واحدة بعد الآن. نحن منسجمان في الرقص. اكملوا اللحن.

(رغم رعدة وراغبت يتترك فيها الجميع ما عند الرامي المجر وبولكسان وكميلو بولكسان (الرامي المعزف) : قل لي ايها الرامي، من هو هذا الشاب الوسيم الذي يراقص ابنتك؟

الرامي : اسمه دوريكلاس. وهو معتد بما حبه اياه الطبيعة من تضار وحيوية. هذا ما قاله هو لي، وأنا أصدق قوله لانه يبدو وصفا. هو يصرح بأنه يهوى ابنتي، وأنا مقتنع بذلك. لأن القمر لم يسن له ان يترأى على صفحة الماء

بهاء أصفى وأروع منه، كما تشهد بذلك أيضا عينا ابنتي الحبيبة. والحق يقال، ان لا اختلال حتى ولا بمقدار ذرة بين جبهما وتناصفهما.
بولكسان : رقصها بديع للغاية.

الراعي : كل ما تفعله بديع ايضا. لكن، ماذا أقول هنا؟ من الأفضل ان اسكت. لا حرج، ان كان دوريكلاس الشاب قد وقع اختياره عليها فهي تحمل اليه بائنة لا يسهه ان يحلم بمثلها.

(يدخل وصف)

الوصيف (للمهرج) : يا سيدي، لو انتظرت الباقع الضجول خارجاً لما رضيت ابدا بأن ارقص على صوت الطبل والمزمار، ولا كانت موسيقى القرية قد استهزئت. هو يترنم بأنغام شتى، اسرع من حركة عذ النفود، وهو يدملم بها بمهارة كأنه اتشى بالحنان سملوية تصيح اليها جميع الآذان الصاغية مدحوشة.

المهرج : ليس أنسب من توقيت مجيئه، دعه يدخل. انا احب كثيرا طرق هذه المواضيع الشقية وسماخ الموسيقى الساحرة ذات الكلمات العجيبة والثيرات الحزينة

للوصيف : لديه اناشيد للرجال والنساء بمختلف الأبقاعات. وليس من حياط ليرع منه في تفصيل رداء لكل واحد حسب ذوقه. هو يعرف اجمل اغاني الحب الممتلئة المحبون للصبا، وهذا نادر الوجود، ولديه لازمات لائفة ينخللها دمنغ دوفغ، وضم وعناق وتأجج عواطف، وغيرها مما يجيب العاشق المشتاق من ثاء وغزل واغراء، ترد عليه الفتاة قائلا: كفاك، يا هذا! ما هذه الدعابة؟ وتوقه عند حده حاتفة في وجهه : أرجوك، يا صاح، كفاك تطاولاً.

بولكسان : ما أجراك، ايها الفنى!

المهرج (للوصيف) : أصدقتي، هل تتكلم حقا عى شاب لعرب، لديه ملح معروضة للبيع؟

الوصيف : لديه اشربة من جميع ألوان قوس قزح، وبشروط انسب من كل ما يوجد في شوارع جميع قضاة بومبيا، مع انه يذكرك فيها بالجملة،

ولديه زخارف وحركات وأنسجة وشاش، ويعد شئ هذه الاصناف في
اعابه، كما لو كان كاهن الآلهة والإلهات، فيلمّح إلى القمص مثلًا كأنه
ملاك، معبرًا أن مجمل تجارته مصنوعة من الاشغال المسلوقة ضمن إطار
من المهارة والابتكار والتقوى.

المهرج : أرجوك أن تستدعيه وتساءله ان يدخل وهو يشد.
برديتا : تبّه الى علم استعمال الالتقاط المتطرفة في اغايه.
المهرج : هناك باعة متجولون يارعون أكثر مما تصورين، يا أختاه.
برديتا : لو بالمحري مما يهسي ان أقصوه، يا احبي.

(يدخل أوتوليكوس وهو يني)

أوتوليكوس : وشاح أشد يخال من البرد
ونسج يلون الغراب الاسود
وقفاز أريجه كالورد الجوري
وقناع يخفي الوجه الحوري
وأساور عقيق وقرط عنبري
وعطر يسكر العاشق الولولان
وتسريحة شعر تسمر في كل آن
يمكن ان يهديها قبي لمروسة
مع دهرس ودملج يذهب بهموسه
وكل ما يرضي للصبة الرشيقه
تعللي لشعري يا لبيبي عشيقه،
واشروا يا ضيان لصباياكم الشفر
تعالوا لشعروا قبل زوال العصر.

المهرج (لأوتوليكوس): لو لم اكن متلها بحب مساء ما كنت حصلت
على أي مال. لكن بما اني اسير هواها أود ان اصع تحت تصرفها بعض
الاشرطة والقفاظات.

مساء : هذا ما كنت موعودة به في ليلة العيد. وهي تصلني الان في حينها.
دركاس (لمساء): هل عندك هذا المئلاق بشيء آخر؟

ميسا (للهوكاس) : لقد اصطناعي كل ما وعدتني به، ومنحني فوق ذلك ما استحي ان أردّه اليه.

المهرج : أولم يبقَ من اخلاق تزيين الفتيات؟ وهل تحتم عليهن ان يرضن ثيابهن الي رؤوسهن؟ أوليس لسيك، حين ذهابتك لحلب البقرة أو الي الترائش أو الي الثور، ما يكفي من الوقت لتفصح جميع هذه التجاوزات، وهل من حاجة الي الثرثرة في هذا الموضوع امام ضيوفنا؟ يسرني ان يتحدث اصحابنا فيما يهم بصوت خافت، وأنت ايضا تخفضي صوتك ولا تطقي بكلمة اخرى. ميسا : لقد انتهى حديثي، فهيا نذهب. أو ما وعدتني بوشاح ألفه حول عنقي، وبفنازين معطرين.

المهرج (لميسا) : ألم أخبرك كيف تعرضت للسرقة أثناء الطريق، وكيف فقدت كل ما أحمل من نقود.

اوتوليوكوس : في الواقع، يا سيدي، لصوص الريف عديلون، ويجمل بالامان ان يحملوهم.

المهرج : لا تخف ها من السرقة، يا صاح، فلن تفقد شيئا وأنت بيننا. اوتوليوكوس : ارجو ذلك، يا سيدي، لان لدي سلح كثيرة غير مصرورة. المهرج : ما معك هاهنا بعض نصائد ملحنة؟

ميسا (للمهرج) : ارجوك ان تشتري بعضها. فأنا احب الانشيد لا سيما المطبوعة، ونحن واقفون بأننا اصيلة.

اوتوليوكوس : هذه واحدة لحننا جميل، كأنها امرأة مراي ولدت عشرين خمس نقود دفعة واحدة، واشتيت ان تأكل سمك الحنكليسي وأنخذ الضفادع. ميسا : هل تعتقد بأن هذا صحيح؟

اوتوليوكوس : اكثر من صحيح. هذا ما جرى تماما منذ شهر فقط.

دوكاس : بجني، أيها السماء، من الاقتران بمرايب.

اوتوليوكوس : لقد روت هذا النبا قابلة غلوتية تدعى ليكوت، وواقعت عليها عمس أو ست من النساء الحاصرات. هل انا ناقل اخبار ملفقة؟

ميسا (للمهرج) : ارجوك ايضا ان تشتري لي منها.

المهرج : ضحيا جانبا. وتعالى نفضتم أولاً ما بعجبنا من القصائد، ثم نشترى أنفسنا أخرى.

أوتوليوكوس : هذه أغنية أخرى، وهي عن حوت ظهر على الشاطئ يوم الأربعاء الواقع في الخامس من شهر نيسان علي بعد أميال من الساحل، وقد نظم كلامها لانتقاد الفتيات القاسيات القلب. يقال ان امرأة تحولت الي حوت لأنها لم تطاوع عشيقها في مبادلة الفروم رغم انها تحبه. والقصيدة تروني لحال الضحية التي جرت قصتها من مدة غير طويلة.

دركاس : وهل تعتقد بأنها حدثت فعلا؟

أوتوليوكوس : ما دامت نحمل نواحيح خمسة قصاة وشهادات أكثر مما نسمع له رزمي.

المهرج : ضحيا ليشا جانبا. ولنفضح واحدة غيرها الآن.

أوتوليوكوس : هذه أنشودة مرحة وجميلة للغاية.

ميسا : لنأخذ بعض الأغاني المفرحة.

أوتوليوكوس : هذه واحدة مرحة جدا، لكنها رائعة وليس من فاة في كل المنطقة لا تشدها، ولؤكد لك انها مرغوبة جدا.

ميسا (لأوتوليوكوس الذي يشير الي دركاس) : كلانا يعرف ان نحبها، ونود ان تشاركنا في امتداد إحدى طبقاتها، لأنها مؤلفة من ثلاث طبقات صوتية. دركاس : لقد تعلمنا لحنها منذ شهر.

أوتوليوكوس : انا أتقن الطبقة التي ثلاثم صوتي. وأنتم تعلمون ان الغناء مهنتي. اصغيا اتما الاثنان.

(انمي).

تعلوا لأن علي أن أرحل
ولا حاجة لأن تعرفوا أين أنزل

دركاس (لغني) : أين؟ أين؟

ميسا (لغني) : قل لنا أين؟

دركاس : أين، أين؟

ميسا : مراسي ينسجم مع رغبتك

فما عليك إلا أن تروح بسر
 دركاس : دعني أنا أيضا امضي الى هناك.
 ميسا : أأقصد الطاحون أم طرح الشايك؟
 دركاس : هذا وذلك ليس من مستواك.
 اوتولييكوس : لصري، ما ابعذك عن الادراك؟
 دركاس : لماذا التهجيم، يا صديق؟
 اوتولييكوس : وقد ألفت انك لي رفيق.
 ميسا : انها السائق، أما أكدت لي هواءك؟
 فأين المفرّ وأنا دوما وراءك.
 المهرج : سيأتي، بعد هبة، دور هذه الأغنية التي نشدها معا. ان والدي
 يشارك هؤلاء السادة في احاديثهم. فلتجنب ازعاجهم. هيا احمل طردك
 واتبعني. ايها الفتاتان، سأشتري لكما منه التين. وأنت ايها البائع المتجول
 اصطني أحمر ما عندك. اتبعني ايها الصيغان.
 اوتولييكوس (على حدة) : وستدفع بسخاء عنهما.

(نشد)

اشعري، يا حلوتي، الزنا
 لتزبي به وشاحك المختار
 يا بهجة الشوق والأنظار
 قلبي لا يزال في حبك محتار.
 اختاري من القطر والحرير
 والهدايا الحلوة والأزاهر
 ما ينال الاعجاب والتقدير
 ويجتذب الحبيب وفيه المحاذير.
 على البائع المتجول أقبلوا
 وعن أصنافه لا تعدلوا
 ولا تحمروا ولا تتجادلوا
 حتما لقاء نفودكم نحصلوا.

(مخرج المخرج ولوتوكور ودوكاس ومبا، ثم يدخل الوصف).

الوصيف (للمراعي المجوز) : يا معلم، هناك ثلاثة سائقي عربة وثلاثة رعاة حمم وثلاثة رعاة بقر، وكلهم رجال شبه عراة في ري الجن، ولديهم رقصنة تعتبرها الصبايا نوعاً من القفزات، لأنهن لا يشتركن فيها، ولكنهن يعبرن فيما أتيا لم تكن عبيقة، فهي ترضي البعض ممن لا يعرفون الحركات الهادئة المعروضة على المرحج الأعصر، ويعجبون بها غاية الإعجاب.

المراعي : كفى. نحن لا نريد ما يند كل ما جرى هنا من المهازل وأنا أعلم، يا سادتي، بأننا نرهق أنفسنا.

بولكسان : انتم لا نرحقون إلا من يسألونا. لرونا هذا الثلاثي من الرعاة. الوصف : إن أحد هذا الثلاثي، إذا صدقنا ما يقال، قد رفض أمام الملك، وأرداهم لا يقفز أقل من اثني عشر قدماً ونصف، وهذا ليس يزهد طفيف. للمراعي : دعك من هذه المثرثرة، ما دام ذلك يعجب هؤلاء السادة. أدخلهم إذاً حالاً وسرياً.

(مخرج ثم يعود بصحبة اثني عشر قروياً متكرين بزي الجن، مبرصون ثم يسمعون).

بولكسان (للمراعي) : ستعلم قريباً بأكثر مما تعرف. (على حدة) ألم تبلغ هذه المسائل الحد المقبول؟ لقد آن لهم أن ينفصلوا. هو ساذج ويتكلم أكثر مما يلزم. (بصوت عالٍ لفلوريزال الذي يمر) تعال إليها المراعي الوسيم. أراك مشغولاً عن الحفلة بأمر لا تمت إلى العهد بصفة. لعصري، كنت أنا شاباً وكنت اتأبط ذراع صديقتي، وكان من عادتي أن اسمعها ما يرضيها من الكلام المصول، وكنت أستاذ بكل ما يحمله القانع من اصناف حلوة لأضحه عند قديميها. أما أنت فقد تركه يذهب بدون أن تشتري منه أية هدبة فإذا اساءت حبيبك تفسر هذا الإغفال أو النسيان ولا تملك على تقصيرك كأنها مقبوضة في الحب أو في المساءة، سيتلقى المخرج في إعطائها جواباً سديداً إذا رغبت في الاحتفاظ بمودتها وعطفها.

فلوريزال : أيها الشيخ الوقور، أنا أعرف أنها لا تعلق كبير أهمية على توافه كهذه. لأن الهدايا التي تنتظرها مني هي مجموعة ومكتسبة في فزادي للفني وعنتها ليها ولم اسلمها أباه بعد. (لبرديتا) دعيني أفتح صدري أمام هذا المجوز

الذي يبدو عليه انه احب كثيراً في شبابه. هاتني يدك الناعمة كريس النعام،
الناعمة البيضاء كأسان الفتاة الحشية او كالتج النقي القابع على رؤوس
الجمال الشامخة.

بولكسان : ماذا سيجري بعد الآن؟ كم تطف هذا الراعي الشاب بسلامة
تلك اليد الناعمة البيضاء (فلوريزال) أعدوني لأنني قاطعت حديثك. ارجوك
ان تعود الى نصرحك، وأن تسمعي اعتراضك الصادق الكامل.

فلوريزال : سأتابعه، لأنني أؤمن بشهامتك.

بولكسان (بغير الي كميلو) : وجاري يشاطرك هذا الرأي.

فلوريزال : هو وغيره أيضاً وجميع من على الأرض وفي السماء وكل الكون.
لو كان رأسي مغطى بنتاج اكبر امبراطورية من جدارة واستحقاق، ولو كنت
اجمل شاب بهر بوساته العيون، وكنت حاصلاً على جميع المقدرة وكل
المعروف التي لم يسبق لأحد ان يحويها في شخصه، فإن سائر الإمتيازات
لا يكون لها وزن في نظري بدون حبها. فني سبيلها سأستخدم هذه المزايا
ولها وحدها أكرسها وبها وحدها احصرها، وإلا فلقد هور برستها في حوة القدم.
بولكسان : هذه هبة ملوكية.

كميلو : ومن يرهن على مثل هذه المودة العميقة ؟

الراعي : انسى، يا ابنتي الحبيبة. فهل افضيت اليه بما يوازها من هيام وتقدير.
يردنيا : انا لا بمعي ان ابوح بحرف من هذا القليل، كلا، ولا حتى ان
أفكر بأفضل من ذلك. لأنني على نموذج مشاعري أنيس صدق عواطفه.
الراعي : ضمي لذا يدك في يده، نتم الإتفاق بينكما. وأتسا ايها الصديقان
المجهولان تشهدان على تمهني التالي: سأزف اليه ابنتي وأمنعها بائة تساوي
ما يملكه هو.

فلوريزال : ما بالك تتكلم عن بائة؟ المهم فضيلة ابتك. فبعد موت شخص
معين، انا واثق بأن ثروة أضخم مما تصور ستظل الي وتدهشك. لكني
لنرتبط أولاً بمهد ألام هذين الشاهدين.

الراعي : هاء، هات يدك ايها الفتى. وأنت يا ابنتي هاتني يدك.

بولكسان : مهلاً أيها الراعي. لحظة، من فضلك (فلوريزال) هل والدك على قيد الحياة؟

فلوريزال : نعم، لماذا ؟

بولكسان : هل هو على علم بأمر رواجك؟

فلوريزال : هو لا يعلم، ولن يعلم به أبداً.

بولكسان : أظن ان الوالد، في عرس ابنه، هو أزعز مدعو بشرق الحفلة.

ارجوك ان تسمح لي بسؤال اضافي: هل والدك غير حليز بإبدله حكم

في قضية ما؟ ألم يفقد رشده بداعي العمر لو حمة النظر؟ هل هو قادر

على النطق وعلى السماع وعلى تمييز انسان من انسان، وعلى المسئفة في

مصالحة الحاصدة؟ هل يلزم الفرائض؟ هل عاد كلياً الى عهد الطفولة؟

فلوريزال : كلا، يا سيدي الكريم. انه يتمتع بكامل صحته وتفوق فطته

اي وحل سواه في مثل سنه.

بولكسان : أقسم بلحيتي الثائية، ان كان هنا حاله، فأنت تهين أبوته. الحكمة

تقضي بأن يختار الابن نفسه شريكة حياته. لكنها تقضي أيضاً في هذا المجال

بأن يستشير الابن أباه الذي يسه ان يرى نملاً صالحاً يكون غير عطف

لغير سلف.

فلوريزال : انا لا أعترضك في ذلك. انما لأسهب اغري، لا حاجة لإطلاعك

عليها يا سيدي الجليل، لن يدري والدي بهذا الأمر.

بولكسان : عليك ان تعطيه به.

فلوريزال : كلا، لا حاجة الى ذلك.

بولكسان : ارجوك

فلوريزال : مسحيل

الراعي : اخبره، يا ولدي، ولا تدع له أي مجال ليستاء منك عندما نلغه

أخبارك.

فلوريزال : لا، لا، هذا مسحيل. عذ علماً يفقد الزواج.

بولكسان (ينزع لحيته الطويلة ويكشف عن رأسه) . بل بالطلاق، ايها الأمير

الشاب الذي لا أستحسن مناداتك: يا ابي. أجل، انت أسط من ان أتمرف

عليك كولي هندي ووريث عرشي. أنت لا تستحق سوى الضرب بمص
الرقعة. (لراعي) وأنت أيها العائن العجوز، أنا مستاء منك لأنك بقبولك
هذا الصهر لا يسن لي أن أختصر من عمرك إلا اسبوعاً واحداً. (لبرديتا)
وأنت يا مثال الساحرة الشمطاء، أنت تدبرين طبعاً مع أي مجنون من الأسرة
المالكة تتعاملين.

الراعي : تباً لحظي العاثر!

بولكسان : سأجلد وسأنتك بالقضبان الشالكة لأجعلها أحقر من رضاعتك
(لفلوريزال) وأنت أيها الشاب المغمم الإحساس والشهامة، أعلم أنك لن ترى
هذه النعمة أبداً، لأنني أسر على أن لا تشاهدها بعد الآن. وأعلم جيداً
أنني سأحرمك من الميراث ولن أتعرف عليك بأنك ولدي من لحمي ودمي.
كلا، لم كلا. احفظ جيداً كلامي هذا، والحق بي فوراً إلى البلاط، أيها
الخيث الذي سلبنا الفراح هذه الحفلة، وإلا أنزلت بك عقوبة صارمة تكون
القاضية على حياتك. (لبرديتا) ولتدب أيها الساحرة التي لا أؤمن لك أن
تكوني من نصيب هذا الراعي الشاب الوسيم لأنني أعتبر ارتباطك به اساعة لا
تُغفر، حتى إذا تسنى لك لقد تضنيه إلى صدرك، فأني أرجو لك مئة شيعة
بقدر ما أنت رقيقة ناعمة.

(مخرج)

برديتا : إن كان الهلاك نصيبي، فلن آهاب هذا المصير. فلقد صرحت له
مراراً بأن الشمس التي تشرف على قصره هي ذقتها التي لا تحجب نورها
عن كرونا وتسطع هكذا بالسواء علينا جميعاً. (لفلوريزال) تفضل بالذهاب،
يا مولاي، وقد سبني لي وأبأنتك بما قد يسفر عن رغبتك من نتائج. أستحلفك
بكل عزيز، أن تهتم بمصالحك الخاصة. أما حلبي الغالي، الآن وقد صحت
منه، فلنني أنبذه وأنتكر له. وسأعود إلى بقراني لأحلبها ولأبكي سوء حظي.
كميليو (للاراعي) : هما إذاً، يا أبي، تكلم قبل أن يوافيك الأجل.

الراعي : أنا لا استطع أن أتكلم ولا أن أفكر، ولا أجسر على البوح بما
أنا عالم به. (لفلوريزال) يا مولاي، لقد خسرت شيئاً في الثالثة والثمانين
من عمري، كان على وشك سلوك الطريق إلى مثواه الأخير، في السرير الذي

فارق عليه والده الحياة، وعلى الأسرحة المثلثة الى جانب عظامه الشريفة.
لَمَّا الْآن، فلا بد لي من دفن يلقني بطيات كفتي ويهيل علي تراباً لم تحركه
مجرة احد من قبل. (لبرديتا) اجها الشقية الملعونة، كنت تعلمين بأنه الأمر،
وغامرت عمداً بسلامتك عواطفه. انا اذاً هالك، انا هالك لا محالة، ولو
استطعت ان أؤخر أجلي ساعة واحدة لعشت كي اموت في الوقت المناسب
المرتجي.

(مخرج)

فلوريزال (لبرديتا) : لماذا تنظرون إلي هكذا؟ انا حزين لا خائف، ومنهود
لا متقلب. فيما اني لا ازال على ما انا، ومهما سبقتي ظروفي، سأقدم
بسرعة ولن ادع احداً يعترض سبيلي.

كميليو : مولاي النبيل، انت تعرف طبع والدك. وفي هذه اللحظة لا يسمح
بإبداء اية ملاحظة، وأنا لا أظنك مستعداً لأن تفعل ذلك، لأنني أخشى ان
لا يتحمل رؤيتك فيما بيننا. وهكذا الى أن تهدأ ثورة غضب جلالة الملك، عليك
ان لا تظهر امامه.

فلوريزال : انا لا انوي ان أقصر على هذا النحو. (يجابه كميليو) انت
على ما أظن؟

كميليو : انا بفاته، يا مولاي.

برديتا (لفلوريزال) : كم مرة نبهتك الى ان الأمر سيؤول الي هذه الخاتمة.
وكم مرة قلت لك ان تسخري بالعظمة لن يدوم طويلاً، ولن تلبث حقيقة
لمري ان تتكشف.

فلوريزال : ان تزول عظمتك الا بالقضاء على عنفواني، لو تستحق الطيمة
كل ما يملأ سطح الأرض، وتقضي على معالم الوجود فيها. افصح عينك،
وانشطب اسمي، يا لي، من ورائك. (لبرديتا) فأنا مصمم على ان أوث
حك فقط.

كميليو : أصح، الى التصح.

فلوريزال : سامني الى نداء قلبي. فاذا وافق عقلي على الاستجابة، تصرفت
بحكمة. وإلا طلب هواي المائل الى الجنون، عون رغباتي وأشواق، فليسه.

كميليو : هذا محض شئطنة يا مولاي.
فلورينزال : مهما يكن الأمر، فهذا القنوط يحقق لي أمياني، وأنا أعتبره هكذا فضيلة، يا كميليو. لا بوعيسيا ولا العظمة والفضحة التي تنوبني، ولا كل ما تشرق الشمس عليه، ولا كل ما يضمه باطن الأرض وما تخفيه البحار في أعماقها من كنوز من تقوى مجتمعة على تقض البمين الذي أنسمته لحيثي. فأرجوك انت الذي كنت دوما صديق والذي الحميم المحترم، حالما ينتبه الى غيبي، لأني مصمم على ان لا أراه ابداً ان تُفخذ نصائحك الصائبة لهيب غضبه. ستخاصم لنا والحق من الآن وصاعداً. فاعلم، وغل له اني سأركب البحر مع التي حرم علي امتلاكها وأنا على شواطئه. ولحسن حظي، لنحربك بأني سأبحر في سفينة راسية بالقرب من هنا كنت اعددتها لغاية أخرى. أما الطريق الذي سأسلكه فلا فائدة من ان تعرفه ولا انا ارجب في ان أدلك عليه.

كميليو : مولاي، كم لؤد ان تكون بمسبك متأهبة لتقبل ما يسدى إليك من إرشاد او ان تكون اكثر اهتماماً بمصلحتك الشخصية.
فلورينزال : كلمة اخيرة، يا برديا. (لكميليو) سأسمع إليك بعد هنيهة.
(حدث بصوت عفت الى برديا)

كميليو : هو مصمم على الهرب، بدون تراجع. فما اسعني إذا وظفنت رحيله لأغراضه، بينما انا أنقذ حياته من الخطر. وفيما انا أثبت له إخلاصي ومودتي، أتمكن من مشاهدة عزيمتي سبيلها، وهذا الملك النجس سيدي الذي أتلهف للقاءه.

فلورينزال (يتجه نحو الباب) : ها، يا كميليو الكريم، هناك قضية ضرورية تستعجلني، وعلي ان اغادرك بدون رسميات.

كميليو : أظنك، يا مولاي، سمعت الناس يتكلمون عن خدماتي البسيطة التي أدبتها لولائك والمودة التي محضتها لياها.

فلورينزال : لا أنكر انك كنت جديراً به، وان إطرء أعمالك يطلع صدري، ولا وراء ان مكافأته لياك عنها تعادل حتماً في نظره تقديره لياك.

كميليو : بما انك مسرور، يا مولاي، باعتقادك بأني احب الملك كما احب

القرب من يلود به، أي شخصك الغالي، لرجوك ان تسبح نصيحتي، إذا
امكن تعديل مشروعك بعد درسه بإمعان، القسم لك بشرطي اني سأدلك
على مكان أمين ثلاثي فيه استقبالاً حاراً يليق بمسوك، وتستطيع فيه امتلاك
حيثك بدون ان تقوى سلطة مي للعالم على الفصل بينكما، إلا هلاكك
الذي اسأل الآلهة ان تنجيك منه. هناك تقفون بها، وفي اناء غياك ساحول
بذل كل جهدي لتخفيف وطأء حقد والدك عليك كي يعود ويشملك برعايته
الأبوية.

فلورينزال : كيف تصرف هكذا، يا كميلو؟ يكاد هذا الترتيب يكون أعجوبة.
تكلم لكي ارى فيك الرجل المخلص وأمنحك كامل قلتي باستمرار.
كميلو : هل قررت وجهة رحيلك؟

فلورينزال : لا، لم أقررها بعد. بما ان إبحارنا سيه مقامرة غير متوقعة، نخير
ذواتنا كأننا اسرى الحظ او هباء يتطاير ويضمثر مع كل هبة ريح.
كميلو : اصبر الي اذاً. ان كنت لا تريد ان تقلع عن مشروعك، وإذا
ظلت مصمماً على الهرب، فالأفضل ان تبحر الى صقلية، وهناك تقدم نفسك
وتعرف عروستك الجميلة الى الملك ليونتي، وأنا على يقين بأنها ستصبح
اميرة وترتدي كما يليق بشريكة حياتك. يخيل الي اني ابصر ليونتي يستقبلكما
ويضخكما الى صدره بشوق ولهفة تستقر من عينه دموع الفرح والمطبة.
ويطلب الصفيح منك انت ابنة كما لو كنت أباه بالذات. ويخيل يدي اميرتك
الشابة، موزعاً بين عشقته ونعمته، طارداً سيفاته الى المحرم ومكبراً حسنه
بعواطف اسرع من الوقت ومن الفكر.

فلورينزال : يا كميلو النبيل، لكي ابرر زيارتي، بأية حجة تصحني بأن أئذرع؟
كميلو : تدعي بأن والدك الملك اونغك لتتقل اليه تحياته وتقدم له تعاربه.
اما الأسلوب الذي يجب عليك ان تتجهجه حياله والأمور التي نضم اللياقة
عليك ان تظلمه عليها كأنها عن قبل ايئك عن اسرار تعرفها نحن الثلاثة
فقط، فأسكنها لك وأدلك على ما سيلمه اياه بدأ بدأ في كل مقابلة
بشكل يمنه بأهلك حائر على لفة والدك الكاملة وانك تهر عما يخاليج صميم
فؤاده.

فلوريزال : أنا شاكر غيرتك، لأن رأيتك هنا هو عين الصواب.
كميليو : هنا أقول من اندلعك وراء الحمار، في مياه غير مأمونة إلى
شواطئ، ضائعة تحيق بها جبال جرداء وحررة لا مجال لحمايتك من حدة
التحدراتها إلا إذا عرفت كيف تتحاشى هوائها المسحقة، وأنت على يقين
بأن مرسلتك في تلك الأمواج الهائجة لا تقوى على إبقائك حيث أنت
بدون أن تجلس اليأس يتطرق إلى نفسك، على كل حال، أنت تعرف أن
الإزدهار هو آمن وثاق بين المحيى لأن مواسم غرضة للفتور والتقلب تحت
وطأة البؤس والشفاء.

برديتا : هذا نصف صحيح. فالحزن يذوي الوجه، لكنه لا يشوه العواطف.
كميليو : أجل، الأمر كما تقولين، وأنا أشك بأن أباك من الآن إلى ما بعد
سبعة أعوام لن ينجب فتاة لتعزى تضارعت وسامة ونظفة.
فلوريزال : يا عزيزي كميليو، هي متغولة عليها في غلدها كما نحن متفوقون
عليها بالموك وحرقة النسب.

كميليو : لا يسعني إلا القول بأن نقص ثقافتها مؤسف جداً، لأنها تبدو
كأنها تنتمي إلى فئة أخصاف المتطمحين.

برديتا : الغف، يا سيدي. إن نورّد وجعتي شكر صريح صادق موجه إليك.
فلوريزال : ما إحلاك يا حبيبي برديتا يؤسفني إن ألفت انبياك إلى ما
نسير عليه من الشوك. يا كميليو، يا متفد أبي ومتفذي الآن، يا طيب نفوسنا،
أرجوك أن تقول لي ما العمل ؟ أنا غير مؤهل كما يترتب على ابن ملك
بوهيميا أن يكونه، ولا يسعني أن أظهر في صقلية.

كميليو : لا يفلح لك بال من هذه الناحية، يا مولاي. أظنك تعلم أن نصيبك
البقاء في هذه البلاد، وأود أن تكون مرتدياً ما يليق بالملوك كأنك تقوم
مقامي. تؤكد لك على سبيل المثال أنك لن تحتاج هنا إلى أي شيء. (كميليو
وفلوريزال وبرديتا ينسحبون جانبا).

أوتوليوكوس (يدخل) : الاستقامة المفضلة نوع من الهوس، والثقة العمياء أختها
في البلاء. فما استخفهما! لقد بهت كل ما كان لدي من لوازم الرينة البراقة:
كالحجر الكريم والأشرطة والبلور وآية المنبر والمشايخ والدختر والأعاني

والسكاكين والزناير والقمازات وسيور الأحذية والأساور والخواتم، ولم يق
لدي من سلع تملأ جمعتي. لقد تراحم الناس عليّ لشراء امتاعني كأن تحفي
مقدمة الخير والبركة على من يفتيتها. بهذه الطريقة رأيت أنها كانت نستحوذ
على أحلى بساتينهم، وما عانيت حسبته كأنه من مكاسي. لما القروي الذي
لم يقصه إلا الضليل لكي يكون رجلاً نبيهاً، فكان غارقاً في شوقه إلى
اغاني هؤلاء العتبات حتى أنه مد يده إلى جيبه قبل أن يحصل على النصف
والكلام. وهذا ما اجتذب إليّ بالي القطيع وجعل الجميع بلا استثناء أذناً
صاغية إليّ. فكان باستطاعتي أن أسلب أية ابنة حواء بدون أن يشعر أحد
بذلك. ولم يكن أسهل عندي من سحب أية محفظة من جيب أحرم رجل،
ومن استهواء المهج السكفة بأمن السلاسل. لذا فقد الجميع السمع والبصر
والاحساس ليصفوا إلى أنشودة الأعداء وليعجبوا بتكاته الطريقة. لذلك اختصت
مرصة هذه النيبوبة لأفرع معظم الأكياس الخاصة بالنفود بمثابة العيد. ولو
لم يفاجمني المجوز وهو بمضمم لائما ابنته وابن الملك، لو لم يروّع صديقي
لما كنت تركت كيباً واحداً في حوزة هذا الجيش من الأغنياء. (يعود
كميليو وفلوريزال ويردنا إلى مقدمة المسرح).

كميليو (لفلوريزال) : أجل، لكن الرسائل التي أتت في وقت وصولك، قد
بددت هذا الرب.

لفلوريزال : والأجوبة التي يعطيها الملك ليونسي؟

كميليو : سترضي والدك حمداً.

برديتا : أتخني لك النجاح. لأن كل ما تقوله يبدو لي مقنعاً.

كميليو (وهو يصراوتوليكوس) : من الموجود معنا؟ دعنا نستخدم هذا الرجل
غير سامين عن كل ما من شأنه أن يساعدنا.

اوتوليكوس (على حدة) : لو سمعني أحد قبل لحظة لما نجرت من المشقة.

كميليو : لماذا ترتجف هكذا يا صاح؟ لا تخف، يا صديقي، لأننا لا نريد
بك شراً.

اوتوليكوس : أنا متوَل مسكين، يا سيدي.

كميليو : تابر على عملك، علا أحد ينري أن يحرمك هذه الرضيعة. أمّا

ما يختص بمظاهر فقرك فسنجري عليها بعض التفهيم: إنخلع ثيابك حالاً لأن القضية عاجلة، وتبادل ملابسك وهذا الوجه. ومع أن الربح في هذه العملية ليس بهجائيه سيندبك حتماً بعض الكسب في هذه الصفقة. (يعطيه كيس نقوده).
أوتوليكوس: أأنا متسول مسكين كما قلت لك يا سيدي. (على حدة) لقد عرفتك يا حشاش

كميليو: أرجو أن تمجّل لأن هذا الوجه قد خلط نصف ثيابه.
أوتوليكوس: أتتكلّم جدّاً، يا سيدي؟ (على حدة) أهي أشم رائحة عثك، يا أذاك.

فلوريزال: أرجوك، ثم أرجوك أن تمجّل.
أوتوليكوس: لا أنكر أنني قبضت العربون. لكن ضميري لا يطاوعني على الاحتفاظ به.

كميليو: فك أنزلارك، هيا فك أنزلارك. (فلوريزال وأوتوليكوس يتبادلان ملابسهما). (ليرديتا) ألت محظوظة ابتها الأميرة. وأتمنى أن تتحقق نبوءتي في ما يتعلق بك. انسحبي إلى ملجأ أمين. ضعي قبعة حبيك على رأسك وأنزليها حتى حاجيك، وانضي وجهك بلباس ثم شئي ثيابك. وعلى قدر الإمكان انضي معالم جنمك كي تتمكني من الوصول إلى السفينة بدون أن يرمك احد لأنني انشيت عليك من الأنظار المتطفلة.
يرديتا: ها أنا لراعا، والمحجرة مرتبة بشكل يدل على أنني سأمثل دوراً في المسرحية.

كميليو: هنا لا غنى عنه. (أفلوريزال) هل انتهيت من تجهيز نفسك؟
فلوريزال: إذا صادفت الآن أبي لا يمكك أن يعرف أنني ابنة.
كميليو (ليرديتا المتكررة): لا نظري إلى قبعتك. تعالي، يا سيني، تعالي من هنا. (لأوتوليكوس) وداعاً يا صاحبي.
أوتوليكوس: وداعاً، يا سيدي.

فلوريزال: يا يرديتا، ماذا نسيا كلانا؟ كلمة واحدة من فضلك.
(يتحى بها جانباً)

كميليو: لول ما سأفعله هو اعتبار الملك بهربهما وبالوجهة التي سلكاها.

وَأَمَلْ هَكَذَا، بِمَا لِي مِنْ نَفْذٍ، إِنْ لَدَفْتُ إِلَى الْحَقِ بِهَذَا وَدَلَفْتُ لِهَذَا
 صَقْلِيَّةً الَّتِي قَاضَى بِي الشُّوْقُ كَالنِّسَاءِ إِلَى رُؤْيَيْهَا.
 فُلُورِيْزَالُ : أَرْجُو أَنْ يَحْلِفْنَا الْحَقَّ. فَلْتَنْجِبْهُ نَحْوَ الشَّاطِلِيِّ، يَا كَمِيلِيُو.
 كَمِيلِيُو : وَالْأَسْرَعُ هُوَ الْأَنْضَلُ.

(يُخْرَجُ فُلُورِيْزَالُ وَرِدِيَّةٌ وَكَمِيلِيُو.)

أَوْتُولِيْكُوسُ : الْآنَ فَهَيْتَ اللَّيْمَةُ وَاسْتَوْعَيْتَهَا. عَلَيَّ أَنْ أَتْرَهَفَ أَذْنِيَّ وَأَنْ أَتُحِ
 عَيْنِيَّ وَأَنْ أُخَفِّفَ يَدَيَّ لِأَنْ هَذِهِ كُلُّهَا لَا غِنَى عَنْهَا لَا يَخْتَلَسُ أَكْيَاسُ النُّقُودِ
 وَكَذَلِكَ الْأَنْفُ السَّلِيمُ الشَّمُّ وَالِاسْتَعَانَةُ أَثَاءَ الْعَمَلِ بِسَافِرِ الْحِرَاسِ. فِي هَذِهِ
 الْأَيَّامِ، كَمَا أَرَى، لَيْسَ سِوَى الرَّجُلِ الشَّرِيرِ الَّذِي تَزْدَحُرُ أَشْفَالُهُ (يَنْظُرُ إِلَى
 مَلَابِسِهِ) صَفْقَةً عَوفَقَةً بَدُونَ أَنْ أَحْسِبَ لِلرِّشْوَةِ أَيَّ حِسَابٍ. (يَزُونُ بَيْنَهُ كَيْسَ
 النُّقُودِ) وَأَيَّةُ رِشْوَةٍ أَحْصَلَ عَلَيْهَا سَاعَتَهَا عِلَاقَةٌ لَا شَكَّ فِي أَنَّ الْآلِهَةَ
 تَحْلِفُنَا هَذِهِ السَّنَةَ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا تَرْقُبَ جَمِيعِ الْمَفَاجِآتِ. فَلَا أُمِرُ نَفْسَهُ مِنْشَغِلُ
 فِي عَمَلِيَّةٍ مَشْهُورَةٍ. وَيَتَوَلَّى عَنْ نَظَرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَجْرُ الْقِيُودَ الَّتِي تَحْتَلِقُ قَدَمَيْهِ.
 وَلَوْ لَمْ أَتَعَمَّدُ بِأَنَّ تَنْبِيهِ الْمَلِكِ عَمَلَ شَرِيفٍ لَكُنْتُ قَمْتُ بِذَلِكَ قَوْرًا، غَيْرَ
 أَنِّي أَجِدُ الْمَكْرَ أَتَمَّجَ فِي اخْتِفَاءِ الْأَمْرِ وَبِهَذَا أَكُونُ حَقًّا أَمِينًا لِهَيْتِي.

(يَسْلُكُ الْمَهْرَجُ وَالرَّاهِيَّ)

لَأَتَقَّ جَانِبًا وَتَقَرَّبُ. هَذِهِ عَمَلِيَّةٌ جَلِيدَةٌ تَصْدُرُ عَنْ دِمَاحٍ نَشِيطٍ. فَلَيْسَ
 مِنْ طَرَفٍ أَوْ دَكَاكٍ أَوْ مَبْدٍ أَوْ عَقْدٍ جُلُوسَاتٍ أَوْ شَتَّى مَجْرَمِينَ لَا يُؤْمَنُ
 عَمَلًا لِلرَّجُلِ الْمُجْتَهِدِ.

الْمَهْرَجُ (لِلرَّاهِيَّ) : أَنْتَظِرْ، أَنْتَظِرْ. مَاذَا تَفْعَلُ الْآنَ؟ لَيْسَ مِنْ مَصْطُورٍ رَزَقَ وَالْفَرَّ
 سَرَى إِعْلَامُ الْمَلِكِ بِأَنَّهَا ابْنَةُ لَقِيْطَةٍ، وَأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ لَحْمِهِ وَدَمِهِ.

الرَّاهِيَّ : كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ تَكْفِي.

الْمَهْرَجُ : أَجَلْ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ.

الرَّاهِيَّ : أَكْمَلْ إِذَا.

الْمَهْرَجُ : قُلْ لَهُ: قَدْ نَبَّيْتُ لِي أَنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ لَحْمِكَ وَدَمِكَ، لِأَنَّ لَحْمَكَ
 وَدَمَكَ لَا يَهَيِّانُ جَلَالَتَكَ. لِذَلِكَ لَا سَبِيلَ إِلَى لَحْمِكَ وَدَمِكَ إِذْ بِنَالِ الْعِقَابِ.
 ثُمَّ أَرَهُ جَمِيعَ الْأَدَلَّةِ الَّتِي وَجَدْتُهَا حَوْلَهَا وَكُلَّ الْعَلَامَاتِ الَّتِي يَعْرِفُهَا الْجَمِيعُ،

فضلاً عن كبتها. وهذا يؤكد لك، يجملك تستفيد حقاً وأنت تستعين
بالمثانون.

الراعي : سأروي للملك كل ذلك كلمة كلمة. سأخبره باتحركات ابنه الذي
استطاع القول عنه انه لم يحسن التصرف كرجل شريف، لا نحو ابيه، ولا
بحوي، حين سعى لترويجي ابنة الملك.

المهراج : صهر الملك، هذا أقل ما يمكنك ان تصيح بالنسبة اليه. حيث
تقدم أمة دملك لا تقدر بشئ.

أوتوليكوس (على حدة) : هذا تليل لا بأس به، يا محتال.
الراعي (يأخذ رزمة) : ها نقابل الملك. ففي هذه الرزمة ما يكفي ليحير
أرجح العقول.

أوتوليكوس (على حدة) : لست أدري ماذا سينجم عن حرب سيدي الصغير.
المهراج : أتمنى من كل قلبي ان يكون في القصر.

أوتوليكوس : مع ان الشرف ليس من صفاتي، يا للأسف، فقد يتسنى لي
ان اكون شريفاً بالصدقة. لذا علي ان اخفي ما يشير الى اني بائع متجول.
(ينزع لحية المستعارة ثم يتقدم نحو الرئيس) الى اين تذهب في هذا الاتجاه،
ابها القروبان؟

الراعي : الى القصر، لذا اذت لنا، يا محترم.
أوتوليكوس : هل تستخدمك الى هناك بعض القضايا؟ وما هي؟ ومع من؟
ماذا تحوي جنة الرزمة؟ اين تقطن؟ ما هو اسمك وعمرك؟ ماذا تملك وما
هي اسئالك؟ اجبني بكل دقة عما يمكن ان تعرف به عن شخصك بصدق
وصراحة.

المهراج : انا ورفيقي من اللطف الرجال، يا مولاي.
أوتوليكوس : هذا كذب ونفاق. كل واحد منكما أحدث من رفيقه. انا
لا أريد ان يكذب علي احد. فالكذب يصلح للتجار الذين غالباً ما يخشوننا
نحن رجال السلاح. ما دنا لا يحد السيف بل بالنقود القضية تشتري
ما يحلو لنا، فلا عطر من ان يقدموا لنا مجاناً حتى تكذب ما يفوهون به.
المهراج : كنت سيادتك على وشك ان تتخفي بهدية لو لم تسحبها بأدب.

الراعي : لا تعصب يا سيدي. هل انت من رجال الحكم؟
أوتوليكموس : ان غضبت او لا، فأنا من رجال الحاشية. لولا ترى مظاهر
الحكم متجلية على ملابسني هذه؟ أليس في عطفوتي وقع البلاط؟ لولا يشم
انفك رائحة البلاط الفاتحة مني؟ لولا تنعكس على دماءك انفة اهل البلاط؟
أوتظن، لأنني سأثلك ان تفيدني مفصلاً عن احوالك الشخصية، فاني لست
من رجال الحاشية؟ انا من اهل البلاط من قمة رأسي الى أخمص قدمي،
وأستطيع على هوائي ان أسهل او أعزل لك قضائك في البلاط الملكي.
لذلك أنذرك بأن تعلمني فوراً عن كل ما يمت اليك بصلة.
الراعي : انا لادم لأقابل الملك.

أوتوليكموس : ومن يتوسط هاك بينك وبينه؟
الراعي : بكل صراحة، لست ادري.
المهترج (يصوت خافت للراعي) : هل التوسط في لغة البلاط معناه الرشوة؟
صارحتني بأن ليست لديك نية من هذا القبيل.
الراعي : انا ليس لدي ديك ولا دجاجة ولا طيور أهدبها.
أوتوليكموس : كم نحن سعداء لداً بكوننا رجلاً غير بسطاء! مع ذلك كان
بإمكان الظروف ان نجعلنا نولد منهم. لذلك علينا ان لا نتشامخ على اي
إنسان.

المهترج (للالراعي) : لا يد من اد يكون سيادته احد كبار رجال الحاشية.
الراعي : ان ملابسني تدل على ثرائه. لكنه لا يرتديها بأناقة.
المهترج . يلوح لي ان نيله يعادل ما يلبسه من عجرفة. ولؤكد لك انه شخصية
كبيرة وقد عرفت ذلك من اسنائه النظيفة.
أوتوليكموس (للالراعي) : وهذه الرزمة، ماذا تحوي؟ وماذا يوجد في هذا
الصندوق الصغير؟

الراعي : في داخل هذا الصندوق وهذه الرزمة اسرار يجب ان لا يطلع
عليها الا الملك نفسه، وسهرتها قبل مرور ساعة، اذا تمكنت من التحدث اليه.
أوتوليكموس : اهن، يا ترى، ضُيِّت شيتي؟
الراعي : لساداً تقول هذا، يا سيدي؟

أوتوليكوس : لأن الملك ليس في القصر. لقد ذهب على متن سفينة الجديدة للترويج عن نفسه وتبديد كآبته، وتشتق الهواء النقي. فان كنت مطلماً على الأمور الهلّة، علمت ان الملك يشكو من آلام شتى.

الراعي : هذا ما يقال، يا سيدي. والسبب هو ابنه الذي ينوي ان يتزوج ابنة احد الرعاة.

أوتوليكوس : اذا كان هذا الراعي لم يقع بعد في يد العدالة، عليه ان يهرب سرياً. لأن ما سيقاسيه من العذاب وسيتأبه من الألم يكسر ظهر رجل صنفيد ويحطم قلب غول شرس.

المهزج : أتظن ذلك؟

أوتوليكوس : لن يتحمل وحده كل ما تنتدعه سيكته من عذاب ألم وانتقام مرير، انما جميع اهله ايضاً حتى الجيل الخامس من ذريته ستمر أعناقهم في حل المشقة. هذا مؤسف حقاً، ولكن لا عني عنه. هذا الملعون، سارق الماعز، مربي الخراف، يريد ان يجعل من ابنته لميرة صاحبة سموم. يقول البعض ان عقابه يجب أن يكون الرجم بالحجارة. لكن هذه المعية لطيفة بالنسبة الى جرمه كما اقول انك، ونظراً الى فظاعة تحويله عرشنا الى زريبة مواشي تكون مئة كهذه أهون المينات وألطفها رضم قلوبتها.

المهزج : هل ررق هذا العجوز في حياته ابناً، يا سيدي؟ هل سمعته يعلن ذلك؟ ارجوك ان تفينني، يا سيدي.

أوتوليكوس : له لمن يستحق ان يسلخ جلده حياً، ثم ان يدهن عسلاً ويوضع في وكر الزناهر، حيث يُستنقى حتى يدب الموت في ثلاثة أرباع جسمه، ثم يشع في الكحول لو غير مادة محرقة وهو مضجج بدمائه في آخر يوم خوفه تفويم المناخ ويعرض على سائط من القرמיד وقد حُبّنت أشعة الشمس الحادة حتى يمسى طعنة الذهاب. لكن ما نفع التحدث عن هذين المسحين، هذين الخائنين اللذين تُنسم لآلامهما، لأن اثمهما هائل طعيق؟ ألا قل لي، لأنك رجل حرّ شريف، ماذا تريد من الملك ؟ فيقدر ما تفصح عن رغبتك التي أظنها نستحق الأخذ بعين الاعتبار، بقدر ما يسؤل لك ولرفيقك امطحابكما معي ومثولكما بين يدي الملك، بعد ان أتمس كم كلمة مناسبة عي أذنه

لصالحكما، فإن كان هناك رجل بعد الملك يشنى له عذمتكما فهو، بدون شك، أنا الواقع لماكما.

المهرج (يصوت غافق للراعي) : يبدو لي انه راسع السلطة والنفوذ، فاقرب منه واعطه بعض القطع الذهبية. ومهما كانت السلطة كالذهب الخشن فهي اغلب الأحوال يجعلها الذهب أطوع من بياضك. لئله ما بداحل كيس نفودك وبدد عك كل قلق، ثم تذكر ما قال: سيرجم ويسلخ جلده حيا.

الراعي (لأوتوليكوس) : اذا تكلت، يا سيدي، وديرت لنا امرنا، فللك هذه القطع الذهبية. وأستطيع ان أتخفك بشيها أيضاً. وسأترك لك هذا الشاب رهبة الى ان أسلمك المبلغ بكامله.

أوتوليكوس : سيتم ذلك عندما ألي بوعدي طبعاً.

الراعي : أهجل، يا سيدي.

أوتوليكوس : حسناً. على كل حال اعطي نصفه (يدس في جيبه القطع الذهبية التي ينأوله ليلها الراعي. للمهرج) هل انت شريك في القضية؟ المهرج : ألي حد ما، يا سيدي. لكن مهما كان حالتي يرئى له، ارجو ان لا يسلخ جلدي وأنا حي.

أوتوليكوس : هذا حال ابن الراعي فقط. سيثنى ويجعل عبرة لمن يشير. المهرج : هذا مطمئن للغاية. حيا نذهب لمقابلة الملك، ولنظهر امامه بيوعة مرضية. بحب ان لا يعرف انها انتك ولا اختي، وإلا هلكنا معاً. سأعطيك يا سيدي، بقدر ما استلمت من المعجوز عندما تقضي حاجتي. وأنا أمكث عندك كرهينة، حسب ما قال، الى ان تستلم كامل المبلغ.

أوتوليكوس : اني أمتنك على الباقي. نقداً نحو الشاطئ واقفا الى اليمن. سألقي نظرة على ما وراء السياج ثم أتبعكما.

المهرج : يارك الله همة هذا الرجل.

الراعي : حيا تقدم كما طلب منا. حقاً لقد ارسلته السماء لإنقاذنا.

(يخرج الراعي والمهرج)

أوتوليكوس : كم وددت ان اكون شريفاً. لكن حظي لم يسمح لي يوماً بذلك. وما هو قد وضع اللقمة سائفة في فمي. جعلني ان أنعم الآن بحظين

لا يستهان بهما: حصولي على الذهب الوافر، وفرصة استخدام نموذج سيدي الأمير. ومن يدري كم سيعجل ذلك على تقديمي في المكانة والرفعة؟ سأقود هذين المنفلين إلى السفينة كأعميين. فإن حسن لديه أن يستمع إليهما فخير على خير، وإذا وجد أن الإزعاج الذي أسببه له في غير محله، فليعاملني كمحتال أفاك إن شاء، ويعلمني كيف أتصرف في المستقبل كوسيط. أنا الآن ومن التجربة التي تعرضني إما للمذلة وإما للمفخرة. على كل حال، سأقدمها للأمير، فربما وجد لحالهما بعض الفائدة.

الفصل الخامس

المشهد الأول

في سقاية - في القصر الملكي

(يسجل ليوتي وكليوباترا وديون وبولين وبعض رجال الحاشية)

كليوباترا (ليوتي): لقد اشتغلت كثيراً يا مولاي، ووهنت فطكت من التعب والعلاب، مع أنك لم ترتكب إلماً لكي تكفر عنه. ولقد عرضت بالتوبة عن جميع أخطائك. أخيراً، افعل ما يطلبه منك السماء، وانسِ الشر وسامح كما غفر لك من أسأت إليهم.

ليوتي: ما دامت ذكرها محفوظاً في صدري وفضيلتها حاضرة في ذهني لن أنفاسي عما ألحقته بي من قلق وهم يهبط عزمي ولن أغفل عما تركته في نفسي من تخاذل وخنوع، إذ ألقيت عرشي بدون وريث وعجلت بالموت على ربيعة عمري التي لم يأمل زوج بالحصول على مثلها.

بولين: هذا صحيح يا مولاي. ولو تسنى لك أن تفتن بفتيات العالم، واحدة فواحده، وأن تقطف من كل منهن زينة جمالها لتجعل منها امرأة كاملة الأنوثة، ستظل التي قتلها مفضولة على جميع بنات جنسها.

ليوتي: أنا مؤمن بذلك. تقولين أنني قتلها. أجل، أنا ارتكبت هذه الجريمة النكراء، وتذكيري بها مكنكلاً أمده طعنة سحلاء من يدك في صميم قوايدي.

فهذا اللوم على شفتيك القسي بما لا يقاس مما هو في ضميري وأمر الف مرة من العلقم ارجوك ان تكوني رقيقة المصطفة، ومن الآن وصاعداً ان لا ترددي هذا على سمعي الا نادراً.

كليوباترا : لا تكرري ذلك ابداً، يا سهنتي. اذ يمكنك ان تسردني لي الف حكاية انسب منها تبرز طيبة قلبك.

بولين : انت تمنني ان تراه معزوجة ثاقبة.

ديون : ان لم يدرج هذا في تسمياتنا، نصبح بلا رحمة تجاه الدولة، ولا هم لنا حال ذكرى اسمه العظيم. انت قلما تشكرين بالأخطار المحيطة بالمملكة وهي على وشك تفكيك الأجيال الصاعدة وقرضها في حال عدم ايجاد ولي عهد يستلم زمام العرش من بعده. هل من خير افضل من التمتع بالقبطة التي كانت الملكة الراحلة تتم بها؟ ليس اصلح من السعي الى توطيد أركان السلطة لتأمين الحاضر وتقاض المستقبل، ومن اعادة الهناء الى سرير صاحب الجلالة على يد رفيقة جديدة خطوة رفيعة.

بولين : ليس من امرأة تليق بمقامه بعد التي غابت. علي كل حال تعمل الآلهة على تميم مشيئتها الغامضة. أولم يعلن الكاهن الأكبر ابولون الوقور، في بحر ارشاده ان الملك ليونتي لن يكون له وريث قبل ان يلتقي ولده الصانع. ألمنا وطيد بأن يرجع هذا المفقود فيحقق لنا أغلى آمانياتنا وأحلامنا كبشر. اذ لا يسعنا أن نعصور رؤية ابنخون ينتح قبره ويعود الي، هو الذي لا أشك بأنه هلك كما هلك ولده. وأنت ترتني أن يخلو الملك مشيئة السماء ويعاكس ارشادها. (ليونتي) لا تهتم بأمر الخلف، فالعرش لن يعدم وريثاً مثله. الإسكندر الكبير ترك عرشه لمن بين أعوانه كان الأجدر، وهكذا تسى لخلفه ان يحظى بمصير افضل.

ليونتي : يا بولين الكريمة، انا اعلم انك تحفظين لهرميون اغلى ذكرى وأكبر اعجاب. وأنا ألوم نفسي على عدم اصغائي الى نصحتك. الآن فقط أناكمل في عمي زوجتي الملكة بإكبار، وأنسى أن أجي من جديد ثروة من اللحنان بقربها.

بولين : وأن ترعاهما اكثر من ذي قبل بالحب والاهتمام.

ليونتي : حقاً ما تقولين. وبما ان لا امرأة أولى منها، فلا زواج موقفاً ينتظري

بعد اليوم. أنا أعتبر امرأة غيرها لا توليها بالحسنات، وأعصمها بمعاملة أجود منها؟ هذا يكفي لكي تعود روحها الطاهرة الى جسدها وترجع الى مسرح هذا العالم حيث كنا نلتقي كلانا كمنزئين آهات النفس الممذبة. هـ لماذا كنت أقل عطفاً عليها؟

بولين : لو كانت تتمتع بالمقدرة، لحن لها ان تصرف على غير هذا النحو. ليونتي : لقد كانت متفكرة، ولو كانت لا تزال على قيد الحياة لحرصتني على قتل المرأة التي قد تزوجها.

بولين : لو كنت ظلها الهائم على الأرض لقطعت مثلها وأنفرتك بأن تعطي بسحنة هذه المرأة الغريبة، وسألتك ما الذي اعجبك في ملامحها الغريبة حتى اخترتها؟ ولصرخت عندئذ على سمعها بصوت عالي يصم الأذان هذه الكلمة الوحيدة : « نذكرني »

ليونتي : كانت نظراتها كالكوكب النيرة، بينما غيرها كانت عمولها كالفضم المظني. لا تخشى علي من امرأة سولها لأنني لا أنوي ان أتزوج، يا بولين. بولين : أقسم لك انك لن تتزوج، الا اذا ولقت انا بحرية وعلاية.

ليونتي : أبداً، يا بولين. أقسم لك بأمر ما لدي اني لن أتزوج. بولين (لجمال الحاشية) : أرجوكم، يا سادتي، ان تشبهوا على يمينه.

كليرمان : انت تلزمينه بتجربة قاسية جداً. بولين : الا اذا اعترضت سيبله امرأة اخرى شبيهة بهرميون كصورة طبق الأصل عنها.

كليرمان : سيدتي الكريمة. بولين : لقد انتهى الحديث. (ليونتي) مع ذلك اذا شئت، يا مولاي، ان تتزوج وأنت بحاجة ماسة الى ذلك، كما ألاحظ، فوضني ان أختار لك الملكة الجديدة التي لن تكون شابة نظير الأولى، لكنها ستكون مدعاة فرح للملكة المتوفاة، لو عادت، بأن تراها بدملة عنها.

ليونتي : عيريني بولين الوفية، لن أتزوج الا عندما ترضين بذلك. بولين . سيتم الأمر حين تقوم الملكة الأولى من بين الأموات، وإلا لن يحدث ذلك مطلقاً.

(يدخل احد الزوجات)

الوجه : هناك شاب يدعى انه الأمير فلوريزال ابن بولكسان، تصحبه اميرة من اجمل ما شملت عيناى من حسان، يريد مقابلة سوك.

ليوني : لانا لا يأتينا كما يقتضيه مقام والده؟ فوصله المفاجيء بدون موعد يوحي الي بأن ريلته غير قانونية، لكنها ضرورية بحكم الأسبب القاهرة او الطوارئ. فما هو مسوله؟

الوجه . يراقبه عدد قليل من الأشخاص مظاهرهم جميعاً زربة.

ليوني : أتقول ان اميرة تصحبه؟

الوجه : أجل، وبوأي هي نصيب ليس له مثل على الأرض، ولم تشرق الشمس على صبة افضل منها.

بولين : يا هرميون، ها هو الحاضر يتشامخ على الماضي الأولى منه بما لا يقاس. وعلى هذا الأساس يتسابق الى القبر ما نراه اليوم يتراكم متواحماً على وجه الأرض. (الوجه) انت قلت لي ان ليس لشخصها شيء. وهكذا كانت في الماضي لشمارك تفيض اعجاباً بجمال الملكة، فما هذا التراجع المؤسف من قبلك؟ يبدو عليك انك تذهي القصور على من هي أكمل منها فضيلة وبهاء.

الوجه : عضواً يا سيدي. الأولى كدت أسأها فسامحني. اما الثانية فمعي لأنها نظرك ستحوز حتماً على رضاك فهي امرأة، في حال تصميمك على تأسيس أسرة جديدة، فادرة على تدبيل عواطفك القديمة، واستهواء جميع حارفيها واستغلاب اعجابهم بلا استثناء.

بولين : ماذا تقول؟ حتى النساء؟

الوجه : سيحبها النساء لأنها امرأة متفرقة على معظم الرجال، والرجال لأنها جوهرة نادرة بين جميع بنات حواء.

ليوني : يا يا كليومان، جئنا بهؤلاء الضيوف، انت وجميع اصحابك البلاء. (يخرج كليومان مع رجال العاشية والوجه) ان مجيئهم المفاجيء حقاً لأمر غريب.

بولين : اذا كان اميرنا الشاب، لزلة البس، حيا في هذه الآونة لكنا نراه

نظيره تماماً. إذ ليس بينهما من فارق في العمر سوى شهر واحد.
 ليونتي : أرجو أن تكف عن الكلام. أنت تعلم أنه لا يحجم حتى عن
 الموت في سبيلي عند الإقتضاء. لا شك في أنك عندما أقابل هذا الوجه
 ستقودني بأفلاكك إلى التفكير بشكل يسد علي منافذ المفعول. ها هم آتون.
 (يدخل كليمان وفلوريزال ويردنا والحالية)

كانت والدتك أمينة في حظيرة الزواج ابها الأمير الشهم لأنها منحت
 والدك الملك سلاً مثاليًا عندما جلبت بك. لو كان لي من العمر إحدى
 وعشرين سنة فقط لتجلبت لعينيك صورة أميك في هيكلك الحالية، فأنت
 وسيم الظلمة تطفح محة وحيوية إلى حد أنني أود أن ادعوك لحي كما
 كنت ادعوه، وكنت حدثتك عن بعض الأعياب صيغية كنا نقوم بها معاً
 في ذلك الزمان فأهلاً بك وبأميرتك الحلوة التي تضارع الآلهة سحراً وبهاء.
 واحمرته، لقد قددت شاباً وصبيته، لو ظهرا الآن بين العلاء، لكانا انجبا
 أنجالاً يوازوكما بالرقه والوسامة. ثم لشدة حوسي فقدت مودة والدك وصداقته.
 فما أثقل هذا اليأس والشقاء الذي يحجم كالكابوس على صدي. واليوم
 لا أتمنى على الحياة إلا أن تحمسي به ولو مرة واحدة لأظفيء لهي شوقي إليه.
 فلوريزال : بناء على لوامره نزلت إلى شواطئ صقلية، وقد كلمني أن أقدم
 لك من قبله أصدق تهنياته كملك صديق يستطيع أن يهديها إلى أخيه المحبوب.
 ولو لم يضعف العجز، بسبب تقدمه في السن، من قواه البدنية اللازمة لتحقيق
 اللقاء، لكان هو نفسه اجتاز البر والبحر الذي يفصل بين عرشكما لكي
 يشاهدك ليرط ما يحفظه لك في أعماق قلبه من محبة وإخلاص وقد كلمني
 بأن أنوب عنه بالتمهيد لك عن مشاعره هذه وهي أغلى عليه من التاج
 والصولجان.

ليونتي : أهلاً بك يا أخي الشهم الكريم لأن ما بدر مني نحوك من شكوك
 وأذى يحرك من جديد عذاب ضميري. ويوادر طيبة قلبك لثرحب بي
 ولرعايتي ما هي في الحقيقة إلا اتهام صريح لي بأن تقصيري طال مداه.
 فذهني أرغب بك كما تستقبل الأرض جمال الربيع. (يشير إلى بردنا) هل

عرض بولكسان هذه الخطة الرائعة للمخاطر والمتاعب، ثأني وتسلم على رجل لا يستحق كل هذا الإهتمام والإنزعاج.

فلوريزال : هي آتية من ليبيا، يا مولاي.

ليونتي : حيث المقلل أسماروس النيل الشهير الذي يربيه ويجهله الجميع. فلوريزال : نعم، من تلك الاصقاع نحن آتون، يا مولاي. وقد غادرناه وهو حزين دافع المين لأنه فارق ابنته لأول مرة. ومن هناك دفعتنا الرياح الجنوبية ووجهتنا الى طرفكم لتنفيذ الأمر الذي أصدره آلي والذي يهارة سوك. ونحن وصلت، أرجعت عدداً كبيراً ممن رافقني من الرجال ليعودوا الى يوهيميا ويخبروا بما لقيناه من نجاح في ليبيا وبوصولي الميمون مع زوجتي الى بلادكم المصيبة.

ليونتي : نطلب من الآلهة الأجلّة ان يطهروا أجواءنا من كل رجس ما دمت أنت فيما بيننا. ان والدك رجل قنيس وسيد فاضل، أعطأت أنا بحقه رغم صلاحه وشهامته. فلما قنيتي السماء من ولدي الحبيب، بينما هو باركة ومنحته فيك ابناً جليلاً فاضلاً ممزّزاً. فما اسعدني ان يتسنى لي في هذه اللحظة ان أقر عيناً بآبن وابنة رائعين نظيركما.

(يسلم وجه)

الوجه : ايها المولى الكريم، ان ما سأنبئك به يكاد لا يصدق، ولو كانت الدلالة على حقيقته قوية جداً. اسمح لي ايها المولى العظيم ان اتقل ما كلنني به ملك يوهيميا من غاطر السلام، وأن اطلب منك ان تعقل ابه بصرف النظر عن مقامه الرفيع وما يستوجب من اكرامه، لأنه تخلى عن والده وعن مستقبله وهرب بصحبة ابنة احد الرعاة.

ليونتي : آين ملك يوهيميا؟ تكلم.

الوجه : هنا في المدينة. وقد تركته منذ لحظة. ان حديتي المتقطع يرور دهشتي ورسالتي. فسيما هو مقبل الى بلاطك، بدون شك، لملاحقة الشاب والمصيبة الهارين صادف في الطريق والد المدعية بأنها اميرة بصحبة اخيهما، وقد غادر الثلاثة بلادهم حلسة.

فلوريزال : كمهلو خاني وهو الذي صان شره ووفاه حتى الآن في وجه جميع العواصف التي هبت عليه في البلاط.

ليوتي : من؟ كمهلو؟

الوجه : لقد تحولت الى كمهلو، يا مولاي. وهو الآن يستجوب هؤلاء الأشخاص المساكين. لم أبصر في حياتي أحداً تصطك ركبته من شدة الخوف هكذا. هم جاثون يقبلون الأرض ويحرقون بعظماء الآلهة لدى كل كلمة يلقظونها. بينما ملك بوهيبا يمد أذنه عن سماعهم ويتهمم بألف جريمة وجريمة.

برديتا : مسكين والدي! لقد سلمتنا الأقدار الى أيدي الجواسيس لأنها لا تريد أن يتم زفافنا.

ليوتي : هل اتينا متزوجان؟

فلوريزال : لا، لم تنزوج بعد، يا مولاي، ولا حظّ لنا بتحقيق هذه الأمنية على ما يبدو. سابقاً كما ألاحظ كانت النجوم تتحني لتبيل الوديان. أما اليوم فأرانا ضحايًا لعة مأكرة.

ليوتي (يشير الى برديتا) : هل هي ابنة ملك، يا مولاي؟

فلوريزال : أجل، حالما تصبح شريكة حياتي.

ليوتي : هذه المرة، اذا حكمت من خلال استعجال ابيك، فان نحقق هذا الحلم يستغرق بعض الوقت. انا مستاء جداً لكونك قطعت حبل مودة برطك بها الواجب النوي. وأنا مستاء كذلك لكون عروس احلامك غير شنية بالصفات الحميدة كما هي ثرية بالمال لتستحق ان تكون من نصيبك.

فلوريزال (لبرديتا) : ارضي وأسك عالياً، يا عزيزتي. عندما يصبح الحظ عدونا المنظور ويتضاقر هو وأبي، ويتكران كلاهما لنا بنية تحطيم امانينا، فلا قوة في الدنيا تستطيع ان تنال من حنا وتفصل بيننا. (ليوتي) أستحلفك يا مولاي ان تذكر ايام كنت في مثل عمري وفي مثل وضعي، وأن تذكر ايضاً انواقك في ذلك العهد البهيج لتتافع عن قضيتي. فان والدي لا يسه أن يرفض لك طلباً مهما كان عسيراً بل يستسهل المعص اكراماً لك.

ليونتي : اذا كان الأمر كما تقول، سأطلب منه ان يرضى بخطيئتك ويبارك زفافكما.

بولين (لليونتي) : مولاي الملك، ارى في محياك نصارة الشياطين القبيحة. قبل وفاة السلطنة بشهر، كانت المسكينة تستحق منه نظرة الإعجاب هذه التي تشيع الآن من عيشتك، ولم تمنحها ليها.

ليونتي : كنت أفكر فيها أثناء تأملاتي الأخيرة. (لفلوريزال) لكي لم أرد بعد على سؤالك. أنا ذاهب الي والدك. وبما ان رغباتك تندرج في اطار الأخلاق الحميدة، فأنا أظن صدقكما وصدقته، وسأقابلة حالاً لمفاوضته في الأمر. اتبعوني اذاً ولا تحظروا خطتي في المصل. تمال يا مولاي العزيز.

(يخرج الجميع)

المشهد الثاني

في صقبة - قرب القصر

(يدخل لوتوليكوس ولعد الوجهاء)

لوتوليكوس : قل لي يا سيدي، هل كنت حاضراً حين انكشفت الحقيقة؟ الوجهاء : كنت حاضراً عند فتح الرقعة، وسمعت الراعي المحجوز يقص الحادثة المذكورة. وعلى هذا الأساس، بعد فترة من الدهشة امرنا جميعاً بمغادرة القاعة. عندئذ فقط خيل لي اني سمعت احداً يقول للراعي: ان الولد قد وُجد. لوتوليكوس : يسعدني ان أطلع على نهاية هذه القصة.

الوجهاء : لقد سردت لك تفاصيل الحادث. انما لاحظت بعض التبدل في تصرفات الملك وكميليو يستدعي الدهشة. يظهر لي ان الإثنين لكثرة ما أظالا النظر احدهما الى الآخر تعبت عياهما، وكان سكوتهما فصيحاً ينطق بما يخفاه في صدورهما، وكذلك حركاتهما تم عن افكارهما كأنهما وقفا

على الخير البتة من عالم عشت فيه الرشوة والإنحلال الخلقي. وكانت علامات التعجب مرسمة على وجهيهما. أما المتفرح البارغ، حسب ما نطقته به أنظاره، فلم يستطع أن يحدد ما إذا كان الفرح والألم قد غلبه، والأرجح هو المزيد من هذا وذلك من المشاعر المكتومة.

(يدخل وكيل بولين)

ها هوذا وكيل السيدة بولين، ويمكنه أن يزيدكم تفصيلاً. كيف تسير الأمور يا سيدي؟ إن هذا النبأ الذي يؤكد لبعض صحته يشبه إلى حد بعيد قصة قديمه مريّة. هل وجد الملك ورثته؟

الوكيل: لا غير أصح من الحقيقة التي يُنتها الظروف. إن ما نسمعه ستروى إلى رؤيته لتعدد الشواهد عليه: هناك معطف الملكة هرميون والعقد حول عنق الإبنة، ورسائل التيفون، وعظمة مظهرها، وشبهها بوالدتها، ومعالج نيلها الذي يرفعها بطيعة الحال فوق مستوى نواضعها وجميع البديهيّات التي كانت بكل تأكيد أنها ابنة الملك ليونني. هل حضرت المقابلة بين الملكين؟ روجر: كلا.

الوكيل: إذا حسرت مشهداً كان من الواجب عليك أن تراه، مشهداً لا سبيل إلى وصفه. إذ كنت ترى فرحاً ينبع دعولاً بشكل يزول الهجوم عن الصدر ويستلزم دموع الإتهاج. هناك أنظار شائخة إلى السماء وأيد مرفوعة إلى السماء وغموص في تعابير الملامح لا تقوى على تفسيرها الميون الفاضحة والملابس الفاخرة. وقد أخرج السرور الملك عن نفسه عنفوا وجد ابنته، كما لو كان هذا الفرح قد انقلب بغتة إلى نوح في مأتم شحوص عرّض عليه، لصرخ: والدتك، آه من والدتك. ثم طلب المساح من البوهيمي. ثم عاتق صدره، ثم من جديد ضمّ ابنته إلى صدره، وأخيراً شكر القراعي المعجوز الذي ظل كجسر قديم عبرت عليه أجيال عديدة واستغلات مه سلطات مختلفة. إننا لم نسمع أحداً نكلم عن مقابلة كهذه شوّهت الرواية التي لوردتها وتمتدت كل وصف.

روجر: لرجوك أن تخبرني ماذا حل بأغنيون الذي اتعد الطفلة. الوكيل: هذه أيضاً حكاية قديمة ستجد من يرونها عندما تسود الثقة وتفتتح

الآنان اسماعها. لقد مَزَقَ جسمه الذهب، كما يؤكد ذلك ابن الرامعي، الذي روى الحادثة بسذاجة، وقد عرفت بولكن منديله وعاتمه حالما ظهرا الى حيز الوجود.

الوجهية : ومادا حل بسيفته وبألرجال الذين رافقوه؟

الوكيل : تعرض الجميع تحت أنظار الراعي للمرق مع سيدهم بشكل جعل كل الأدوات التي ساهمت في التعرف على الطفلة تضيق حين وجدت هي. لكن ما أشبه الصراع بين الفرع والأكم الذي نشأ في نفس بولين. فتارة اجتاحت الحزن فؤادها بفقد زوجها، وطورا إتجه املها الى السماء حين جرت استشارة الآلهة. فأنهضت الأميرة عن الأرض وطوقتها بذرعيها، كأنها نحشي ان تلفدما وودت ان تخفيها في صدرها.

الوجهية . هذا المشهد الجليل يليق بالأمرء ان يشاهدوه بما ان مطليه هم من الملوك.

الوكيل : ان احدي حسنات هذا المنظر المؤثر الذي بهر عيوني واستدرّ دموعي أثناء سرد تفاصيل موت الملكة، وقد اعترف به الملك نفسه وأسفه له، هو لمت انتباه الإبنة الكئيبة الحزينة. فيمد ان يدور منها دلائل الأسى، افلتت منه أنه اسم، ونزفت عيناه دمعاً، ان جمل التعبير، ولنا ولقي من جهتي بأن الأكم ناض من قلبه المنقيض سبلاً من العبرات. عندئذ تفتت هوافف من فذ قلبه من الصخر وأغمي على كثير من الحاضرين، وأجهش الباقون باليكاء. ولو أمكن كل من في الدنيا ان يروا ذلك المشهد، لعمّ الحنند المسكونة بأسرها.

الوجهية : وهل عادوا الى فيلاط؟

الوكيل : لا، لقد حدثوا الأميرة عن تمثال امها الذي أوكلت حراسته الى بولين. وقد استغرق صنعه عدة سنوات وأكمه منذ عهد قريب الحات الكبير جولير روماتو الذي تلمذ على الفنان البارع وفاتيل الذي لو تسنى له امتلاك الأبدية واستطاع نفخ روح الحيوة في اعماله لقام بوظيفة الطبعة بقدر ما اتقن صنعه وغلد همتها ان تحت تمثال هرميون على صورة هرميون الحقيقية

بمهارة لا يعورها سوى النطق والحركة. الى هناك مضى الجسمه وكلهم عطاش الى سهل الحب يرومون ان يرووا غليلهم منه.
 روجو : لقد غامرني الشك بأن لبولين ضلعاً في هذه القضية الهامة، لأنها منذ وفاة هرميون لم تتأخر عن زيارة ضريحها المتفرد سراً مرة أو مرتين كل يوم. هل تريدون ان نذهب ونضم الى جموعهم حيث تقام حفلة العيد؟
 اللوجيه : ومن لا يود ان يكون هناك وقد تسنى له ان يحظى باحتياز قبوله بين الحاضرين؟ فلي كل رقة عين تحدث أعجوبة جديدة، وغناينا عنه يضر كثيراً بمعرفتنا. فلنذهب.

(يخرج الروحية)

لوتوليكوس : في تلك اللحظة فقط، لو ملكت مصر وجودي، لانها على التقدير والإكرام. فأنا الذي أوصلت الرجل الى المعجوز وابنه الى السلبية حيث كان الأمير، وأعلمته بأنني سمعتهما يتكلمان عن رزمة لست ادري ما فيها. وعن موضوع آخر لا ادري ما هو، لكنه حتى تلك الساعة كان مشغولاً بمن أعتقد انهما ولده وابنة الراعي، وكان قد اصابه دوار البحر وهو ايضاً يشكر منه، ولم يكن حاله بأحسن من حاله، فبقي السر بدون ايضاح. لكن ذلك لم يؤثر عليّ. فان كنت انا من اكتشف ان هناك سراً فقد جاءت بلدتني عملاً في غير محله بين العديد من اسائاتي الأخرى.

(يصل الراعي والمهرج بلباس فضة)

لقد احسنت الى هؤلاء عن غير قصد، وها هم في انهي مظاهر خناهم. الراعي (للمهرج) : انا سعيد بمصادفك، يا سيدي. لقد رفضت ان تقاتلني في ذلك اليوم لأنني لم أولد في أحضان الوجاعة. هل ترى نياي هذه؟ قل لي انك لا تبصرها، وانك تصرّ على عدم تصديق تأكدي اني خلقت وجيهاً. الأولى بك ان تصرّح بأن هذه المعاطف لم تخصص لمن ولدوا في أحضان الوجاعة. هيا كذب ما أكرره على سمعك، وانتظر مني ما يثبت لك اني متحدر من سلالة الأشراف الريمة الشأن.

لوتوليكوس : الآن اجئت بأنك، يا سيدي، من اصل سامي. المقام. المهرج : أجل، ومنذ اربع ساعات، أنا أزدد عليك ذلك.

الراعي : وأنا أيضاً، يا ولدي.

المهترج : وأنت أيضاً. غير أنني كنت وجيهاً قبل أبي. لأن ابن الملك أمسك بيدي ودعاني اسمه. إذ ذاك دعا الملك أبي اسمه. حينئذ ما كان من الأمير لشي ومن الأميرة אחي إلا أن دعوا والدي إياهم، وعلى هذا الأساس بكها وكانت تلك الدموع الأولى التي زرفها ضمن إطار الوجاهة الأصيل.

الراعي : سجد فسحة كافية من العمر، يا ولدي، لكي نعرف غيرها من الدموع.

المهترج : أجل، هذا صحيح، وإلا لن يسعدنا الحظ في مجال ضيق كالذي نحن نخط له.

أوتوليكوس : أقول لك بتواضع، يا سيدي، إن تصفح عن كل ما أسأت به إلى مقامك السامي، وإن تحدث عني مولاي الأمير بما يحسن نظرتي الي.

الراعي : أرجوك أن تفعل ذلك يا بني. ولتصرف بما يليق بما وقد بتنا الآن حقاً من الوجاهة.

المهترج (لأوتوليكوس) : أرجوك أن تصلح مجرى حياتي.

أوتوليكوس : أجل، إن كان هذا يرضي سيادتك.

المهترج : هات يدك. سأقسم للأمير مؤكداً أنك من نخيرة الشبان الشرفاء في بوهيبا.

الراعي : نعم، يمكنك أن تعلن هذا، أما لا أقسم بيميناً لتأكيد.

المهترج : إن لم أقسم لتأكيد الآن ولما وجيه سأدع حفلة الناس والقرويين يذبحونه، وأنا سأقسم وأؤكد له للبلاد.

الراعي : وإن كان هذا خطأ، يا ولدي؟

المهترج : حتى إن كان من انقطع الأعطال، فإن الوجه الأصيل يمكنه أن يقسم ويؤكد ذلك لمصلحة صديقه. (لأوتوليكوس) سأقسم للأمير بأنك رجل قوي مفتول الساعدين وإنك لا تسكر ابداً. أنا أعلم جيداً أنك لست رجلاً قوياً ولا مفتول الساعدين وإنك تسكر على الدوام. لكن هذا لا يهم. سأقسم بذلك لأنني أود من كل قلبي أن تكون رجلاً قوياً متين المضلات.

أوتوليكوس : سأبدل جهدي لأكون عند حسن ظنك، يا مولاي.

المهرج : أجل، وبأي ثمن، كن رجلاً شديد البأس، وإذا تجاسرت وسكرت بدون أن تكون رجلاً قوياً فأنا لن تعزبني الدهشة، وأنت يمكنك أن تحجب ثقتك عني. اسمع، إن الملوك والأمراء انسيابنا فاصيون لمشاهدة تمثال الملكة البليغ الصنع. نهيا لثبما وستلاقي هناك سادة كرماء.

(يستدق)

المشهد الثالث

في عهد صغير ملاصق لقصر بولين

(مدخل ليونتي وبولكنسا وفلوريزال وبردينا وكينلو وبولين)

ليونتي : يا بولين الكريمة الفاضلة، اشكرك على الترحمة الخيرة التي جددت بها عليّ!

بولين : مولاي الملك المبجل، إن لم أكن دوماً صالحة الأعمال، فتنبني لم تكن يوماً سيئة. ولقد رددت لي جميع خدماتي أضعافاً مضاعفة. لكن فضلك الأكبر هو زيارتك بيني المتواضع مع شقيقك المتزوج بولكنسا وهذين المحظيين ورثتي عرشك، ولن انسى فضلك الكريم عليّ ما حيت.

ليونتي : هذا الشرف يسبب لك الإرتباك، يا عزيزتي بولين. لقد أتينا لمشاهد تمثال الملكة، وفي انجبارنا مدخل قصرك سحرتنا التحف النادرة التي قرينة. غير أننا لم نبصر ما جاءت انتي لراه، ألا وهو تمثال والدتها.

بولين : عندما كانت الملكة على قيد الحياة لم يكن لها من شبه. كذلك في سائنها، أنا واثقة بأن شخصها يفوق كل ما ابتكتك أن تشاهده من صنع البشر. لذلك أحرص عليه في مكان حرز، فهو ما هنا. فاستعد لثري المرأة المنبوذة في ابهي ما يتجلى به الموت من نوم هادئ. انظروا وقولوا

لي كم هو جميل! (تزيح ستاراً وتكشف عن تمثال هرميون). انا احب صحتك لانه ابلغ ما يعبر عن دهشتك. لكن، تكلم لولا يا مولاي. ألا تلمس قوة الحب بينهما؟

ليوتي : هذا وضعها الطبيعي. أنهي عليّ باللائمة ايها الحجر العزيز، حتى أقول حقاً أنك شخص هرميون. أنت بالعري أشبه بها إذا لم تتهمني، لأنها كانت تجسد الرقة والسماحة. أما لم تكن التجاعيد تشوب محياها هكذا، يا بولين، لأنها لم تقدم في السن بهذا المقدار كما تظهر الآن اماتاً. بولكسان : لا، لا، لم تبلغ هذا العمر.

بولين : ان نبوغ النحات تجلّى هكذا بعظمة عندما كبرها ستة عشر عاماً، وجعلها كأنها لا تزال على قيد الحياة الى هذه الساعة.

ليوتي : أجل، لو كانت لا تزال حية. وهي في هذه الساعة تعبد الى أنظارني مشهداً معزّياً كالشهد المولم الذي يعذب الآن نفسي. أجل، كانت تبرز في عينيها هذه الثقة وفي محياها هذه الحيوية والعزّة والحيّة، مع انها ليست سوى حجر بارد، لكنه يذكرني بما استقبلتني به من حرارة الشوق يوم كنت أغازلها لأول مرة. لقد صمقتني براءة هذا التمثال الذي يُخيّل لي، وإن يكن جناداً، انه يلومني على ما قبلت به بقلب متحجر كالصخر الأحمم. هذا التمثال آية في الابداع، وعظمت الخلافة تذكرني بذنوبي تجاه من نستحق ذكرها كل اكرام وتمجيد. فتعويضاً عن تقصيري حيالها، أوجه كل اعتفاري وندامي الى ابتها المتعجبة المتألّمة نظيري.

برديا (جلّية على ركبتيها) : دعني أنصرف، ولا تقل ان ذلك تزلف مني اذا جشوت والتمست بركتك. يا سيدتي الملكة العزيزة، أنت التي انتهت حياتك عندما كدت ابداً انا حياتي، هاتي يدك لأقبلها تقديراً ونسناً. بولين : صبراً، يا عزيزتي، التمثال قد تمّ صقله من عهد قريب جداً ولم يجف بعد طلاؤه.

كيبليو (ليوتي) : ان أملك، يا مولاي، لا يزال حياً بقدر ما هو جرح مؤدك عميق، اذ ان ستة عشر شتاء لم تبرّد رياحها العاصفة لظني عذاب نفسك المبرح. وما عالج شعورك من فرح في هذه الأثناء، لم يمض طويلاً،

لأن الألم لا يزول الا عندما يرتاح الضمير من تأنيب صاحبه بعد الندم والتعويض عن الإساءة.

بولكسان : اعي العزيز، اسمح لمن سبب لك هذا العذاب ان يادر الي تحفيف حزنك بما يشاطرك اياه من الأسى والأسف.

ليوتي : لا تسلبوا السر.

بولين : لا لزوم لأن تطيل النظر اليها، فلا يحمل اليك انها ستحرك عما قريب.

ليوتي : كما تشائي. كم اود ان اموت لأنني لم اعد قادر على تحمل عاء شقائي. من صبح هذا التمثال؟ ألا يخجل اليك، يا مولاي، انها تنفس

وان الدم الذي يملأ عروقها لن يلبث ان يدور في انحاء جسمها؟

بولكسان : هذا عمل جبار وشهد على عبقريته فذة حتى ليظن الناظر اليها كأن حرارة الحياة تدب في أوصالها وتنبطى على شفتيها.

ليوتي : لست أدري ما تطوي عليه نظرة هاتين الصبيحتين النجلوين من حركة براقة تمجد بوع صانها.

بولين : سأسأل الستار، لأن تأثير مولاي تمدى كل الحدود، حتى ظن ان التمثال يبيض بالحياة

ليوتي : آه يا بولين المحلوة، لرجوك ان تدعيني أعتقد بذلك مدة عشرين سنة متتالية. لأن كل حجاج الدنيا المقبولة لا تساوي لحظة سعادة في هذا الأمل فدعيني لملأ نظري منها.

بولين : انا حانقه، يا مولاي، لأنني تركتك تبلغ كل هذا التأثير الذي يزيدك حسرة وتقصما.

ليوتي : اكملني، يا بولين، لأن هذه الحسرة عزيزة على فؤادي كأخلص التعزبات القلبية. مع ذلك يخيل لي ان نسمة من عيرها تهب علي وتتمشي. ما ابرع الإرميل الذي تحت هذا التمثال الناطق البليغ. لرجو ان لا يسحر احد مني ان وددت ان أظله.

بولين : تما لك نفسك، يا مولاي الرزين. ان الطلاء لا يزال وطباً على شفتيه وأحشى ان تشوهه بتفليك اياه وأن توسخ شفتيك برت دهانه. هل أسدل الستار؟

ليونتي : كلا. ليس قبل مرور عشرين سنة.
يردنيا : وأنا سأظل طوال هذه المدة من التأملات.

بولين : قفوا حالاً عند هذا الحد وغادروا المسجد، وإلا استعدوا للمفاجأة الجديدة. إذا كان لا يزال لكم قوة نظر تطلّوا جيداً على التمثال كي أجعله يتحرك فعلاً، وأدعه يزل عن قاعدته ويصافح يد كل منكم مسلماً. انما ارجو ان لا يحامر أذهانكم ابداً، وهذا ما أتمسك به، بأن قوى الشر تساعدني على تنفيذ ما أقبل.

ليونتي : سمعني ان اشاهد وأسمع كل ما تتوصلين الى حملها على عمله وعلى قوله، اذ ان الأسهل عليك ان تدعيها تنطق من ان تدعيها تتحرك. بولين : لا بد لك من ان تستعيد ليمانك بالواقع ظلوا جميعاً في امتحكم بدون حراك، وان كان حكم من لا يصدق أذنيه وعينه، فالأولى به ان ينسحب فوراً.

ليونتي : تصرفي. فلا احد منا يغادر مكانه.

بولين : اصدحي انتها الموسيقى، وأبغظيها من سباتها. (تسمع انغام موسيقية) حان الوقت، فانزلي عن قاعدتك. كفي عن ان تظلي حجراً. تقدمي وأدعني جميع من يقفرون فيك مدهوشين. ها سأقدم فيرك، فتحركي وسري. (تنزل هرميون يهلوء عن القاعدة. لليونتي) ها هي تتحرك كما رأيت. لا تراجع، ان حركتها برقة طبيعية كما ان تصرفاتها شرعية. لا تنجسها قبل ان تراها مائة ثانية، وإلا تكون قتلها مرة اخرى. ها مد اليها يدك. عندما كانت صبية، التست انت رضاها، لما الآن بعد غيابها، فقد بات عليها هي ان تلتمس محبتك وعطفك. (تفتح له هرميون ذراعيها. ويمادر ليونتي الى ممانتها).

ليونتي : انها ليست باردة. فاذا كان هذا سحراً فان تعاطي السحر يفسد هكذا حالاً وضرورياً أكثر من التفنية.

بولكسان : ها هي تقبله.

كميليو : وتطوّق حقه. ان عادت حقاً الى الحياة، فتكلم لداً.

بولكسان : أجل، ولشرح لنا كيف قامت من بين الأموات، وأين عاشت طوال هذه المدة؟

بولين : إذا كنتم، برهاناً على وجودها حية، تكفون بشهادتي وتأكيدي، فسأصبحون كأناكم نستمعون إلى حكاية خرافية قديمة. كما لا مجال لأي شك في أنها حية، وإن لم تكلم. احرصوا قليلاً. (ليردجا) أرجوك أن تدعني ألتقي السيدة اللطيفة. لركمي وأعطني بركة والدك (لهرميون) التقى، يا سيدتي. ها إن عزيزنا بردينا المفقودة وجدت.

(نمر إلى بردينا التي ترتدي على صدرها)

هرميون . أيتها الآلهة، اغضيني انظرك، واتري بركاتك كالورد على رأس ابنتي. قل لي يا حيتي، من الذي عثر عليك ورباك؟ أين عشت؟ وكيف اعتديت إلي بلاط إبيك؟ اسمعي، أنا علمت من بولين بأن رعية الآلهة جعلتها تأمل حتى الآن بوجودك على قيد الحياة. وأنا تجللت طويلاً لأرى هذه الخاتمة السعيدة.

بولين : ستفص عليك ذلك فيما بعد، خشية أن يكر فرحكما بعض التفاصيل الكمية. انهبوا معاً، يا من يسركم أن تكسبوا خير عيرة من هذه الأحداث. دعوا الجميع يشاطرونكم بهجتكم أما أنا العجوز الثائرة فسأنطوي على نفسي تحت الحصان جافة، وهناك سأندب الوفيين الذي لم أحر عليه رغم البحث طوال حياتي، ولبيكي حتى تضجحل آمالي وأحلامي.

ليونتي : هدئي روحك يا بولين. عليك أن تقبلي العريس الذي أقدمه الآن لك كما استلمت من يدك المرأة التي احببتها في الماضي هذا اتفاق بيننا اتسم وأصر على تنفيذه لا محالة. لكن كيف وجدت لي زوجي؟ هذا ما لا بد لك من شرحه لي. لأنني شاعقتها ميتة، كما غيّل لي، وقد رددت كلاماً كثيراً فوق ضريحها. أنا لا أريد أن أذهب في البحث بعيداً، لأنني أعرف جيداً عواطفها ورغبتها هي أيضاً في أن تجد لك زوجاً جليداً شريفاً لا تقاً. اقتربي، يا كميلو، وتناول يدها، أنت الذي نخولك مأثرك ونفائك هذا المجد الرفيع بأن يحبك ملكان دفعة واحدة. لنخرج من هذا المكان (لهرميون) تطلمي إذاً إلي أختي، وسامحاني كلاهما، لأنني نظرت إلي ما

يكنه كل منكما من مودة نحو الآخر بمن الفرة والحسد. (يشير إلى فلوريزال وهرميون) هذا هو صهركما، ابن الملك بولكسان الذي شاءت السماء أن يكون خطيب ابنتي. غليها، يا بولين الكريمة، إلى حيث نستطيع الاستفسار بهدوء، لتلقى الأجوبة عن الدور الذي قام به كل منا ضمن الفترة الزمنية الطويلة التي فصلت بيننا. هما غليها.

(يخرج الجميع).

﴿ تَمَّت ﴾

تليجرام



سور الأزليّة

تجبرام



نواكش في بحر الكتب

Bibliotheca Alexandrina



0463862

الكتاب
في بحر الكتب

الكتاب
في بحر الكتب

زهرة العمر بقلم : محمد خطاب

لرب الجسد لا يعادل أم القلب حين يتنلى بالحبة والحرمان
ومن أحب نفوس الجسد قد تلثم .. لكن الروح تنف حول القلب
لللكوم محاولة رفق جراحه .. بالأمن تهددت الجراح حين رأسها
صدقة في الشارع .. نفس الابتسامة .. نفس لغة العيين .. كان
الزمان توقف عندها لم يتقدم العمر بها مثلي ولم يعرف الشيب
طريقه لشعرها .. نصارتها نأسر قلبي .. و عذوبة نطق اسمي يطلق بي
بين النجوم .. أنجب من ثواني تعادل عمري كله .. دموعي تفرق
بين أجفاني .. وزغرات محب تفرق ما تبقي من جسد ناله
التمعب .. أتوكتا علي ذكريات نقرتها في وجداني .. و أحاديث عطرت
كوني برفتها .. اخفت بين الجمع نعاد جسدي ينقل كلفلي و هركتي
مثل الأطفال مصورة بين مجهول لم أختره و ماضي لم أنه



Bibliothèque Alexandrina



0463862

